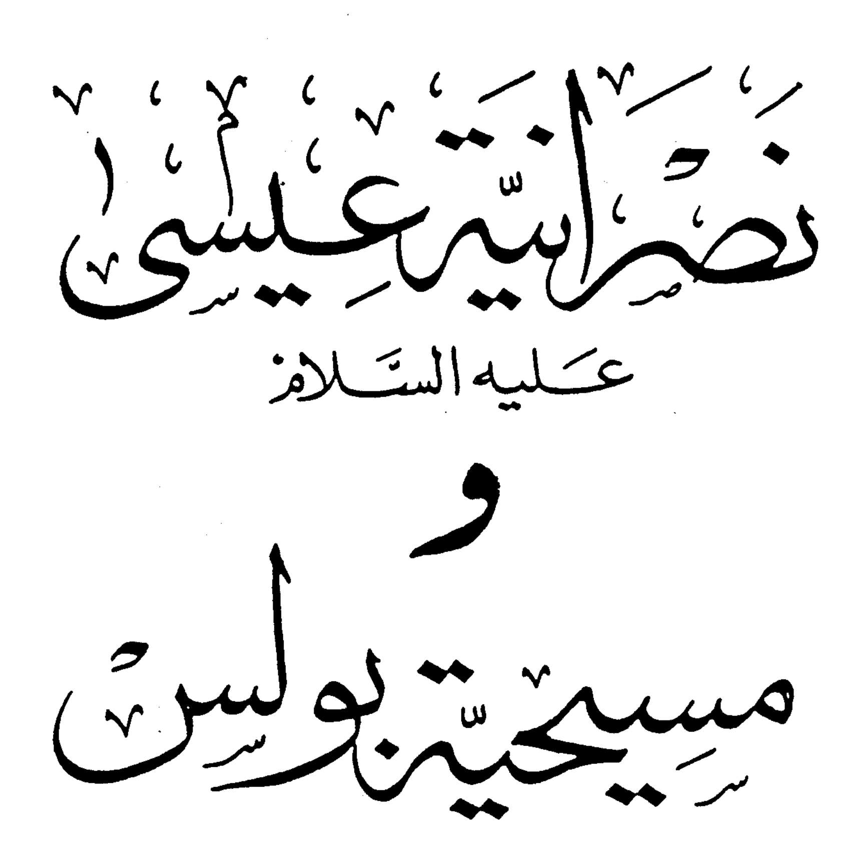
الله

جوهر الايمان فى صحيح الأديان .

بين التوراة والانجيل والقرآن



صلاح العجماوى

الطبعة الأولى ابريل ١٩٨٩ - رمضان ١٤٠٩

يطلب من : المؤلف ٧٠٢٥٦٢ - ٣٤٧٦٧٣٠ - ٣٤٥٩٧١٧ القاهرة
ص.ب. رقم ٧٠ الدقى فاكس ٣٤٥٩٧١٧

ومن : لواء الحمد للنشر والاعلان ت ٥٩٦٤٤٠٣
١٣ شارع بورسعيد - الشاطبى الاسكندرية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

(سورة المائدة)

فهرس المحتويات

رقم الصفحة

تقدمة

تناولت فى الجزء الأول من هذا الكتاب ، ما اتسع له المقام فى موضوع اليهود واليهودية وهم الشطر الأول من أهل الكتاب حسب تسمية القرآن الكريم ، حيث أنزل الله عليهم كتابا من السماء هو التوراة ، فأضاعوها وفرطوا فيها ، ثم اصطنعوا لهم كتابا غيره دبجته أقلام أحبارهم ، وملأوه زورا وبهتانا ، ثم قدموا عليه كتابا آخر أسموه "التلمود" ، مدعين أنه يحوى أصول التشريع اليهودى الذى أتى به موسى عليه السلام ونقلوه عنه شفاهة ، وتطاولوا فيه على مقامات الأنبياء ، بل لقد تطاولوا فيه على عزة الله ذاتها ، مصطنعين لهم ربا وإلها خاصا بهم ، يظلهم - دون سائر البشر - برعايته وعنايته ، ويسخر لهم الأشياء والأشخاص فما خلقت الدنيا إلا من أجلهم ، وما خلق البشر إلا لخدمتهم مطايا لهم ، وما خلقت الأرض إلا لهم يتبوأون منها حيث يشاءون ، ثم هم فى آخر الأمر عالم قائم بذاته ، منعزل عن بقية البشر ، فهم الشعب المختار ومن عداهم "جوييم" أى سوقة ورعاع ، وقد لعنهم الله تعالى فى قرآنه الكريم جزاء ما قتلوا من أنبياء وما خربوا من ديار ، ولقد قال عنهم القرآن الكريم :

«لُعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون»

٥ المائدة ٧٨ - ٨٠.

ووصفهم الله بعد ذلك بأنهم أعداء للمؤمنين :

«لتجدنّ أشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين أشركوا»

المائدة ٨٢

النصارى :

ثم تنتقل الآية الكريمة بعد ذلك إلى الشطر الآخر من أهل الكتاب ، الملقبين بالنصارى :

«...ولتجدنّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين . وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين . فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم» . ٥ المائدة ٨٢ - ٨٦

ومن ثم فإن الشطر الثانى من أهل الكتاب ، هم "النصارى" الذين آمنوا بعيسى عليه السلام نبيا ورسولا من عند الله ، واتبعوا الحق الذى جاء معه ، ولم يشركوا مع الله أحدا من خلقه ، أو يتخذوا معه أندادا وذرية ، فأولئك ينطبق عليهم ما ينطبق على المؤمنين من حسن الجزاء والمثوبة فى الآخرة ، وفيهم قال الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم :

«وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا ، أولئك لهم أجرهم عند ربهم ، إن الله سريع الحساب» ٣ آل عمران ١٩٩

وفيهم يقول أيضا :

«ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء

الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين . وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين»

٣ آل عمران ١١٣ - ١١٥

فالنصارى إذن هم أتباع النبى عيسى عليه السلام الداعى بالحق إلى عبادة الله الواحد والذى أرسل إلى اليهود ليقوم ما أعوج من سلوكهم ، وما ران على أخلاقهم من الأنانية والآثرة ، وما لابس عقائدهم من الضلال ...

«فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله ، آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين».

٣ آل عمران ٥٢ - ٥٣

فالحواريون الذين عاصروا عيسى عليه السلام وتتلمذوا عليه ، هم بحكم القرآن الكريم مؤمنون بالله ربا واحدا لا إله غيره ، فهم فى ذلك حكمهم حكم المسلمين ، وما عيسى فى عقيدتهم إلا نبى ورسول مثل باقى الأنبياء والرسل ، أما أولئك الذين سموا أنفسهم "مسيحيين" نسبة إلى المسيح ، فقد اتبعوا البهتان الذى جاء به بولس اليهودى الأصل ، عدو النصرانية الحقة ، الذى حارب المسيح واتباعه فى أول عهدهم ، ثم دخل تحت عباءة "المسيحية" ليهدمها من الداخل وينحرف بها عما جاء به عيسى عليه السلام . ونحن إذا استعملنا لفظ "المسيحية" فى هذا الكتاب فإنما ذلك جريا وراء ما تعارف عليه القوم وما وصفوا به أنفسهم ، ونعنى بها مسيحية بولس ، وليس دين عيسى عليه السلام . فالنصارى هم أتباع عيسى الحقيقيون الذين قال القرآن الكريم عنهم إنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وهم من الصالحين المتقين ، وقال عنهم كذلك :

«وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون» ٥ المائدة ١١١

أما أولئك الذين ينعتون أنفسهم بالمسيحيين ، نسبة إلى أنهم ليسوا فقط اتباع المسيح ،لكنهم يتخذون منه ربا أيضا ويجعلونه شريكا لله فى ملكوته ، فهم الذين عنيناهم فى هذا الكتاب ، والذين قال القرآن الكريم عنهم :

«وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، إن كنتُ قلتُه فقد علمتَه ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ، إنك أنت علام الغيوب . ما قلتُ لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنتَ أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد . إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم». ٥ المائدة ١١٦ - ١١٨

المسيحية:

والمسيحية منبثقة من اليهودية ، وخارجة عليها ، فقد ولد المسيح عليه السلام فى وسط يهودى ، فهو منسوب الى داود ، ومن أقواله "ما جئت لأنسخ الناموس بل لأكمله" . فهو امتداد لما جاء به موسى عليه السلام ، وان كان ثورة على اتباعه وسلوكهم بعد ان طغت عليهم المادية ومن كلماته المأثورة: انما بعثت للخراف الضالة من بيت اسرائيل .

وأتباع الدين المسيحى هم المعبر عنهم فى القرآن الكريم بلفظ "النصارى" .

ولقد لقى المسيح من اليهود عنتا كبيرا ومقاومة عنيفة ، حيث كانت دعوته معنوية وروحية ، أما هم فسلوكهم مادى دنيوى ، ومن هنا جاء التعارض ، فهم لم يقاوموا أى نبى من أنبياء بنى اسرائيل السابقين وما أكثرهم ، لأنهم لم يكونوا يحاربون فيهم نزعة التميز والتحيز والتعصب والعرقية ، حتى لقد صار منهم كهنة وأحبار ذوو إمتيازات مستمدة من تعاليم موسى ، بينما كان عيسى يحنو على المستضعفين منهم والمساكين ، والخطاة بصفة خاصة ، حتى لقد قالوا على لسانه : ان فرح السماء بخاطئ واحد يعود الى الطريق القويم ، اكثر من فرحها بتسع وتسعين لا يخطئون!!

ولقد أيد الله نبيه عيسى بالمعجزات ، معجزة مولده ، ومعجزة تكلمه وهو فى المهد صبيا ومعجزات شفاء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله كما جاء بالقرآن الكريم ، ولكن اتباع المسيح غالوا جدا فى ذكر تلك المعجزات وتعددها فى الكتاب المقدس ، حتى لقد خرجت عن مفهوم العمل الخارق الى مفهوم الصنعة أو المهنة المتكررة مثل الطبيب المتخصص الذى يقوم بجراحات مستعصية ، فأصبح لديه مهنة مستقرة يلجأ اليه كل ذى مرض عضال ، والفرق بين الحالين ان الطبيب يستعمل مبضعه أو سماعته ، أما المسيح فكان يشفى بلمسة من يده أو من ثوبه باذن الله تعالى .

ولقد كان حقد الكهنة عليه كبيرا ومعاداتهم له قاسية ، لأنه عراهم وكشف سوءاتهم وشهر بهم ، فحملوا عليه حملة شعواء انتهت بان حاكموه محاكمة صورية وحكموا عليه بالصلب ، وقرروا الخلاص منه . . . .

واتباع المسيح نسبوا اليه فى الكتاب المقدس أقوالا لم يقلها ، فنسبوا اليه انه قال انه "ابن الله" وان من رآه فقد رأى الله "الآب" ، ثم خرجوا

بفلسفة الثالوث "الآب ، والابن ، والروح القدس" ، ثلاثة أقانيم فى أقنوم واحد ونسبوا اليه انه الله متجسدا فى صورة إنسان ليكّفر عن خطيئة الانسان الاول ، والبشرية جمعاء ، وذلك لأن الله منسوب اليه العدل والرحمة معا ، فالعدل يقتضى معاقبة الانسان على خطيئته ، وهذه الخطيئة لا تمحى الا بسفك الدم حسب شريعة اليهود ، ولكن رحمة الله تتغلب فتبرز عملية الفداء والخلاص من الذنب والخطيئة بموت الاله المتجسد فداء للانسان الخاطئ . ومن هنا كانت فكرة التقاء اللاهوت بالناسوت ، أو توحدهما فى راى الفلسفة المسيحية ، وهى نقطة الخلاف مع الاديان الأخرى .

والله تعالى قد أخبرنا فى القرآن الكريم انه انزل على المسيح انجيلا مشابها ومصدقا للتوراة التى أنزلها على موسى ، وان القرآن جاء مصدقا لهما وناسخا لهما ومهيمنا عليهما فى نفس الوقت ، ولكننا نجد ان الكتاب المقدس يحمل الينا أربعة أناجيل بدلا من انجيل واحد ، وذلك بخلاف أناجيل كثيرة أخرى دشنتها الكنيسة وحرمت قراءتها ومن بينها انجيل مميز يعزى الى أحد الحواريين يدعى برنابا ، بينما الاناجيل الأربعة المعترف بها ينسب بعضها الى قديسين لم يروا المسيح أو يأخذوا عن تعاليمه وانما ينقلون عن ناقل عن ناقل ، والنقل اذ ذاك شفاهة لا كتابة مع شئ من التغيير والتحريف ، تدل عليه الاختلافات الواضحة بين الاناجيل وبعضها البعض مما سيرد ذكره تفصيلا فيما بعد .

والمسيح بعث لبنى اسرائيل . بنص بعض الاناجيل ، فرسالته رسالة خاصة لقوم معينين هم اليهود ، فلما اعتنق شاول اليهودى المسيحية - أو تظاهر بذلك - وسمى نفسه - بولس الرسول - أدخل على المسيحية الكثير من الابتكارات والاقوال التى لم يقلها المسيح ، وخرج بالمسيحية من حيزها المحدود الى العمومية والشمولية ، فتوسعت المسيحية وانتشرت فى كثير من آفاق الارض بمفاهيمها المصطنعة - حتى لقد قيل ان مسيحية اليوم ، ومسيحية الغرب بوجه خاص ، هى من عمل بولس الرسول ولا تتمشى مع دعوة عيسى عليه السلام كما سوف يتضح فيما بعد .

ولقد أتيح لى - كما أتيح للكثيرين - أن أرى وأستمع إلى تسجيل بالصوت والصورة لمناظرة كان لها ضجة فى الأواسط الدينية فى كل من مصر والعالم الإسلامى ، تلك هى المناظرة التى عقدت بالولايات المتحدة الأمريكية مؤخرا بين اثنين من الدعاة أحدهما قسيس مسيحى متعصب اسمه جيمى سوريجارت Jimmy Swegart يظهر كثيرا على شاشة التليفزيون الأمريكى ، والآخر مسلم من مواطنى جنوب افريقيا اسمه أحمد ديدات Ahmad Dedat ، وقد عقدت تلك المناظرة فى أوائل عام ١٩٨٧ فى إحدى المدن الامريكية - أغلب الظن أنها باتون روج أو بتسبرج - وقد حضرها جمهور كبير من بضعة آلاف ، نصفهم على وجه التقريب ممن يعتنقون المسيحية ، ونصفهم من المسلمين . وقد بلغ الاهتمام مداه بهذه المناظرة لدرجة أن تم تسجيلها على أشرطة (ڤيديو) وتم توزيعها على نطاق واسع .

أما موضوع المناظرة فكان : هل الكتاب المقدس هو كلام الله أو بمعنى آخر هل هو من عند الله؟ IS THE BIBLE THE WORD OF GOD ?

وأعطى كل متناظر مدة نصف ساعة يشرح فيها رأيه ، ثم فتح مجال لأسئلة الحاضرين ، وكان كل متناظر يحظى بالتصفيق المدوى من بعض الحاضرين أو غالبيتهم ممن يتبعون عقيدته ، حتى انك لتظن أن الاقتراع فى نهاية المناظرة سيكون فى جانب هذا أو ذاك ، بما يفهم منه تغليب رأى على رأى ، لكن الأغلب أن هذا الاقتراع لم يتم - عقب المحاضرة على الأقل ، إذ أعلن فى نهايتها أنه سيعقبها لقاء آخر ، وأغلب الظن أن أحدا من المشاهدين لم يخرج عن عقيدته لينضم إلى اتباع العقيدة الأخرى ، حيث أن التعاطف الدينى مثله مثل التعاطف الكروى لا تفهم له أسباب أو أسانيد إلا عند القلة القليلة الواعية التى تبنى رأيها على دراسة سليمة وأسباب واضحة ، أما الغالبية العظمى فإنها تهمل العقل وتسير وراء العاطفة وما هكذا يجب أن تكون العقيدة الدينية .

ولقد استهل جيمى سويجارت كلمته بإعلانه انه لا يثق بأن القرآن الكريم هو من عند الله سبحانه وتعالى ، ولا أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول ونبى من عند الله رغم أنه لا القرآن ولا محمد عليه السلام كان من ضمن موضوع المناظرة ، إذ كان جوهر المحاضرة هو الكتاب المقدس وهل هو من عند الله ، ولكن يبدو أن سويجارت أراد أن يتبع تكتيكا استراتيجيا مفاده أنه يبدأ الهجوم على خصمه ، قبل أن يبدأ الخصم الهجوم عليه ، ولكن هذا لم يكن ليفت فى عضد أحمد ديدات رغم انه يتكلم في وسط جمهور غير جمهوره ، وفى بلد غير بلده ، وبلغة قد لا تكون لغته ، إلا أنه والشهادة لله كان منافسا قويا ومدافعا صلبا استحق تقدير الحاضرين من مسلمين وغير مسلمين .

فإذا تطرقت إلى موضوع المناظرة ، لوجدت أن سويجارت قد تعصب لرأيه من أن الكتاب المقدس هو كلام الله ، وأن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، ليس نبى الله فحسب ، بل انه ابن الله "الحبيب" بل أنه فى أحد صوره "الله" ذاته قد تجسد فى صورة بشرية ليحمل عن البشرية وزرها الذى ارتكبه أبو البشرية آدم .

وبهذا الاستهلال من جانب سويجارت وقبل أن يسمع دفوع منافسه ، يكون قد أغلق أمام نفسه وضميره كل فرصة للاقتناع بالرأى الآخر ، أو تفهم ما يبديه منافسه من أسانيد وبراهين تقيم الدليل القاطع أن الكتاب المقدس ليس من كلام الله سبحانه وتعالى ، بل أنه ليس من كتابة أو أقوال النبيين موسى وعيسى عليهما السلام ، بل أن كتبه وأسفاره وإصحاحاته جميعها مكتوبة بأقلام بشر جاءوا بعد عصر النبى موسى والنبى عيسى عليهما السلام ، وأن الدليل على ذلك :

١- ما جاء ببعض الطبعات من أن الكتاب المقدس مدون بأقلام بشرية ، حرره أكثر من ٤٠ كاتبا جاءوا من أماكن مختلفة ، لم يعاصروا هذين النبيين ولم يكن التدوين من املائهما أو إيعازهما .

٢- إن هناك اختلافات كثيرة بين بعض نسخ الكتاب المقدس وبعضها الآخر سواء الأصول والتراجم ، ولو كانت من عند الله لكانت نصا واحدا لا يتغير .

٣- إن بعض نسخ الكتاب المقدس قد حذف منه واستبعد منه سبعة كتب أو سبعة اسفار ، موجودة فى بعض الطبعات ومحذوفة من الطبعات الأخرى ، وإن هذا الحذف والاستبعاد لم يكن نتيجة سهو أو خطأ ، بل إنه حذف مقصود واستبعاد مرتب ، مما يعنى أن دعاة هذا الكتاب المقدس لم يكونوا راضين عن هذه الأسفار فاستبعدوها إما لعيب فيها ، أو لتعارض مع بعض الأسفار الأخرى ، فهى إذن ليست من كلام الله ، ولو كانت كذلك لما كان من حقهم أن يستبعدوها أو لما كانوا جرأوا على استبعادها .

٤- إن بعض أسفار الكتاب المقدس قد حوت روايات مشينة عن بعض الانبياء ، خاصة أنبياء بنى اسرائيل ، فهل يستساغ أن يرد فى كلام الله سبحانه وتعالى أى قول فيه فحش أو إسفاف يتعلق ببعض أنبيائه المختارين ، وما الحكمة من إيراد هذه الأحداث المشينة المنسوبة إلى هؤلاء الأنبياء ، ومنهم انبياء ملحوظون كيعقوب وداوود وغيرهما [١]

٥- إن الأقوال المنسوب صدورها عن الأنبياء بالكتاب المقدس ، لم ترد بصيغة المتكلم : قلتُ ... وفعلتُ ... وقيل لى ... وإنما بصيغة الغائب المروى عنه ، قال ... وفعل ... وقيل له ... مما يؤكد أن كتاباتها ليست بأقلام أولئك الأنبياء المنسوبة اليهم تلك الأقوال ، كما لم يرد بها نص واحد على لسان الرب الإله ، كما يعبرون عنه ، بل كل النصوص للغائب أو المبنى للمجهول ، مما يدل على أن الكاتب أو القائل شخص ، والمروى عنه شخص آخر .

---

(١) ذكرنا بعض هذه الروايات بالجزء الاول من هذا الكتاب المعنون : "اليهود واليهودية" الفصل الرابع بعنوان : توراة الكتاب المقدس تنسب بعض المخازى لانبياء بنى اسرائيل .

٦- إن كتابة هذه الفصول أو الأسفار قد دونت بعد عشرات ومئات السنوات بعد ذهاب أصحابها المروية عنهم أو المنسوبة اليهم وذلك باعتراف مروجي الكتاب المقدس أنفسهم وأن معظم هؤلاء المدونين لم يعاصروا أو يشهدوا أولئك الآنبياء الذين يروون عنهم . مما يحمل على الاعتقاد بأن هذه الروايات والأقوال مختلفة أو على الأقل محورة ، نتيجة الاسترسال فى نسخها ونقلها راو عن راو .

ولقد ختم أحمد ديدات كلامه بالآية الكريمة التى استهل بها مناظرته :

"فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون" البقرة ٧٩

ويبدو أن جيمى سويجارت لم يفهم هذا التحذير القرآنى ، الذى ينذر بأشد العقاب أولئك الذين يكتبون بأقلامهم كتبا "مقدسة" ثم يدعون انها من عند الله .

وقد حدثتنا الآنباء أن سويجارت قد أدين فى تصرفات غير أخلاقية وغير دينية ، ولا يسعنا إلا أن نقول : اللهم لا شماتة ...

الفصل الأول

الكتـــاب المقدس

الكتاب المقدس

يعتبر الكتاب المقدس هو الكتاب الديني الشامل لتعاليم العقيدة المسيحية، وهو يحوي بين طياته كلا من العهد القديم اليهودي والعهد الجديد المسيحي، ويشتمل العهد القديم على ٣٩ سفرا تبدأ بالأسفار الخمسة الأولى التي تعرف بأسفار موسى وهى التكوين والخروج واللآويين والعدد والتثنية، ويكنى عنها بالتوراة بديلا للتوراة المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى والمشاراليها في القرآن الكريم،وهى ليست ماحواه لوحا الحجارة اللذين أعطاهما الله لموسى فوق الجبل حسبما جاء باسفار الكتاب المقدس ، اذ أن لوحى الحجارة يفترض أن يشتملا على تعاليم الله سبحانه وتعالى الى بني اسرائيل وتكون عن لسان الله سبحانه وتعالى، في حين أن الأسفار الخمسة المشار اليها هى رواية عن الله وعن الأنبياء، وليست على لسان الله سبحانه وتعالى ولا على لسان أحد أنبيائه فضلا عن أن اللوحين اللذين أعطاهما الله لموسى، قد حطمهما موسى عندما رأى خروج بني اسرائيل عن الأوامر والتعليمات التي أصدرها اليهم للسير عليها في فترة غيابه،للقاء ربه. فالأسفار الخمسة اذن وبالتالي بقية الأسفار في العهد القديم ليست كلام الله سبحانه وتعالى، وليست كلام موسى نفسه اذ وردت بصيغة الاخبار عن موسى نفسه وعن الله سبحانه وتعالى وليست على لسان أى منهما، فضلا عما ورد بها من ألفاظ لا تليق بمقام الله ولا بمقام انبيائه، ولما حوته من اسفاف في القول واللفظ والتعبير.

والجزء الثاني من الكتاب المقدس والذي يعبر عنه بالعهد الجديد هو ما يخص العهد المسيحي بالذات ويحوي الأناجيل

التي اعترفت بها الكنيسة وهى أناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا بالاضافة الى أعمال الرسل ويحوي ٢٧ سفرا، وكل سفر منسوب كتابته الى أحد القديسين، والذي لا يرقى بحال من الأحوال الى منزلة الانجيل المنزل من لدن الله سبحانه وتعالى.

والعهد القديم اليهودي من الكتاب المقدس قد وضعه كاتبوه في الأصل باللغة العبرية، أما العهد الجديد المسيحي فقد كتبه كاتبوه في الأصل باللغة اليونانية، وقد ترجم كلاهما الى لغات كثيرة منها الانجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية وغيرها، وترجم كذلك الى اللغة العربية، ولم تثبت الترجمات على صيغة واحدة، وانما جرى تعديلها وتنقيحها المرة تلو المرة، مما تسبب في تغيير الفاظ ومعان كثيرة، بل لقد كانت هناك أخطاء في النسخ والنقل بعضها نتيجة سهو أوخطأ،وبعضها نتيجة اغفال بعض العبارات أو اضافة بعض عبارات تعبر عن وجهة نظر الناسخ أوالناقل شخصيا. بحيث أصبحت الصيغة النهائية الموجودة حاليا، لاتمثل تمثيلا صادقا الأصل المنقول عنه ولا تطابقه تمام المطابقة.

فلو أخذنا على سبيل المثال الترجمة الانجليزية الأولى التي وضعت في أوائل القرن السادس عشر نقلا عن الأصل العبري والاغريقي، وهى الترجمة التي وضعها وليام تندال وكانت سببا في اعدامه حرقا بعد شده على الخازوق في اكتوبر عام ١٥٣٦، حيث اتهم وليام تندال بأنه تعمد افساد معاني الكتاب المقدس، فأحرقت تراجمه باعتبارها تراجم زائفة. ورغم ذلك فقد أصبحت ترجمة تندال هى الأصل في التراجم الانجليزية التي جرى تطويرها وتنقيحها المرة تلو المرة، حتى جاء عهد الملك جيمس في أوائل القرن السابع عشر، فأمر بوضع ترجمة عرفت باسمه في عام ١٦١١ حيث أمر بتأليف لجنة من سبعين شخصا لمراجعة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، فانتهت الى النسخة المعروفة

باسم نسخة الملك جيمس King James Version، ثم وجد بها الكثير من الأخطاء فجرى تنقيحها مرة أخرى في سنة ١٩٠١ وسميت باسم الترجمة القياسية المراجعة Revised Standard Version وهى التي يجرى تداولها في الوقت الحاضر، رغم أن التطوير والتعديل والتنقيح والتصحيح لازال مستمرا ولم يستقر الوضع بعد على نسخة تكون هى نهاية المطاف، وذلك لان الأصل المترجم عنه مفقود.

أما التراجم العربية التي تتبناها السلطات الدينية الرسمية وتمثل وجهة نظرها فقد جرى التعليق عليها من هذه السلطات في بداية كل كتاب أو سفر وسنشير الى بعض هذه التعليقات فيما بعد. ولقد وضع الباحث المسلم اللواء مهندس أحمد عبد الوهاب دراسة مستفيضة لذلك في الكتاب الذي وضعه واختار له عنوانا: "اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية." *

وقد أشار الكتاب الى التراجم الآتية :-

١- الكتاب المقدس للكاثوليك : طبعة دار المشرق بيروت ١٩٨٣ اعتماد اغناطيوس زيادة مطران بيروت.

٢- الكتاب المقدس للبروستانت : طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط - العهد المئوي - ١٨٨٣ - ١٩٨٣.

٣- التوراة للكاثوليك : طبعة دار المشرق بيروت ١٩٨٤ اعتماد بولس باسيم النائب الرسولي للاتين.

---

* الناشر مكتبة وهبة بالقاهرة

٤- العهـد الجديـد للكاثوليـك : طبعة دار المشرق بيروت ١٩٨٥ اعتماد بولس باسيم

٥- العهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية : بيروت ١٩٦٩.

وهـذه التراجـم كلهـا باللغـة العربيـة يضاف اليهـا باللغة الانجليزية والفرنسية : -

٦- King James Version المعروفـة بترجمـة المـلك جيمس.

٧- Revised English Standard Version المعـروفة بالترجمـة القياسيـة المراجعـه. وتقابلهـا الترجمـة القياسـية الأمريكية American Standard Version عام ١٩٠١

٨- La Bible طبعة لويس سيجموند باريس عام ١٩٨٠.

٩- Traduction Oecumenique De La Bible ويـرمز لها بالترجمة الفرنسية المسكونية باريس ١٩٨٦.

وتقول دائرة المعارف الأمريكية : لدينا شواهد وفيرة تبين أن الكتبة قد غيروا بقصد أو بدون قصد في الأسفار والوثائق التي كان عملهم الأصلي كتابتها أو نقلها. وقد حدث التغيير بدون قصد حين اخطأوا في قراءة بعض الكلمات أو سماعها أو هجائها، أو اخطأوا في التفريق بين ما يجب فصله من الكلمات وما يجب أن يكون تركيبا واحدا. وكانوا أحيانا ينسخون الكلمة أو السطر مرتين وأحيانا ينسون كتابة الكلمة أصلا، بل كانوا ينسون نقل فقرات بأكملها. بل يحدث أنهم كانوا يغيرون في النص الأصلي عن قصد اذا تصوروا أنها مكتوبة خطأ في النص الذي بين أيديهم.

وعلى هذا فليس هناك ما يؤكد أن وثائق العهد القديم أو العهد الجديد لم تتعرض لعوامل الفساد في النسخ على الأقل في الفترة التي سبقت اعتبارها أسفارا مقدسة.

ولقد كتبت أسفار العهد القديم بدءا من القرن الحادي عشر قبل الميلاد وحتى القرن الأول الميلادي،وأخذت صورتها النهائية في القرن الأول الميلادي.وقد نسخت النصوص مرارا وأعيدت كتابتها باليد، وحدث كثيرا أن الحواشي التي كانت مدونة في الهامش كانت تضاف الى النص. وقد أكدت الوثائق التي عثر عليها في البحر الميت عام ١٩٤٧ ضرورة اجراء تغييرات على النسخة العبرية الحديثة في سفر اشعياء على سبيل المثال.وقد ورد في المدخل الى العهد القديم في ترجمة التوراة للكاثوليك أن هناك عددا من النصوص المشوهة التي تفصل النص المسوري (العبري) الأول عن النص الأصلي نتيجة أن تقفز عين الناسخ الى كلمة تشبه الكلمة التي وقف عندها، ولكن في سطر أو سطور لاحقة تاركا كل ما بين الكلمتين دون نقل، كما أن هناك احتمال التكرار، وكذلك قد لا يستطيع الناسخ قراءة نص لرداءته فيكتبه من تلقاء نفسه أو يخلط بينه وبين غيره في النقل.

وبصورة عامة يعطي الناسخ لنفسه الحق في تعديل مايرى تعديله اذا كان هناك لهذا سبب عقائدي أو شخصي من وجهة نظر الناسخ.ولقد كتبت جميع أسفارالعهد الجديد بدون استثناء باللغة اليونانية ولم يكن من بينها سفر واحد كتب بخط مؤلفه، وعلى هذا فان الكتاب المقدس مجهول المصدر على وجه اليقين.(١)

ويقول كتاب صدر في الولايات المتحدة عام ١٩٦٩ ثم ترجم الى العربية عام ١٩٧١ ببيروت ويوزع كنشرة تبشيرية، وعنوانه : "هل الكتاب المقدس حقا كلمة الله؟" ويرد الكتاب على هذا التساؤل أن من يقارن أعدادا كبيرة من المخطوطات القديمة

بعناية يتمكن من استبعاد ما شابه من أخطاء مثل الاضافة الزائفة على انجيل يوحنا بالاصحاح الخامس التي تقول :(في السماء . الآب والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد) وهذه العبارة لم تشملها أى مخطوطة يونانية طوال القرون الثلاث عشرة الأولى ، بل أن هذه الكلمات قد حذفت نهائيا من كثير من الترجمات ،مثل ترجمة حريصا العربية ،والترجمة البروتستانتينية العربية تضعها بين قوسين مما يدل على أنها ليست ضمن النص وانما هي دخيلة عليه . كما أن ترجمة الكاثوليك للكتاب المقدس تقول :(لان الشهود في السماء ثلاثة ، الآب والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد ، والشهود في الأرض ثلاثة هم الروح والماء والدم ، وهؤلاء الثلاثة هم في واحد) يوحنا ٥ : ٧-٨ .

وتقول الترجمة البروتستانينية للكتاب المقدس التي أوردت نفس النص تقريبا تعليقا على ذلك ، أن هذه الكلمات ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها ، وان ذلك لم يرد في النصوص اليونانية المعول عليها ، والأرجح أنه شرح أدخل على النص في بعض النسخ . وان دل هذا على شيء فانما يدل على أن صيغة التثليث هذه فقرة مزيفة مدسوسة على الكتابات الأصلية للكتاب المقدس من عمل كاتب مجهول .(٢)

ومن الملاحظ أن صيغة التثليث قد اختفت من التراجم الكاثوليكية الفرنسية الحديثة التي ظهرت منذ أكثر من ٧٥ عاما ،كما أنها اختفت من التراجم البروتستانتية الحديثة التي ظهرت من أكثر من أربعين عاما بينما هي لاتزال في الترجمة العربية للكتاب المقدس للبروتستانت ولو أنها وضعت بين هلالين علامة على عدم أصالتها كذلك اختفت صيغة التثليث من التراجم الكاثوليكية العربية الحديثة مثل العهد الجديد للكاثوليك والعهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية .

---

(١) و (٢) لواء أحمد عبد الوهاب. كتاب اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية . نشر مكتبة وهبه ص ٤٠، ٤١.

هذا وان بعض تراجم الكتاب المقدس تخلط بين السيد المسيح وبين الله عز وجل فتضع المسيح في مقام الله سبحانه وتعالى : "كان الكلمة الله والكلمة هو الله..."باعتبار أن لفظ الكلمة يرمز الى المسيح عليه السلام كما ورد ذلك في كثير من الأناجيل، وان كانت تلقبه في بعض الأحيان (ابن الله) وأحيانا أخرى (ابن الانسان) واللقب الأخير هو الذي كان المسيح عليه السلام يحرص على نعت نفسه به - كما ورد في مختلف الأناجيل، كأنما كان المسيح يخشى أن ينسب اليه بعض أتباعه أنه أكثر من انسان، وقد ورد في انجيل برنابا ما يفيد ذلك.

بل ان ترجمة الملك جيمس الانجليزية والترجمة القياسية (النموذجية) الانجليزية ايضا قد عبرت عن المسيح بلفظ Servant of God أى خادم الله أو عبد الله،كما أن الترجمتين الفرنسيتين لوى سيجو والمسكونية أوردتا النص المرادف لهذه الكلمة Serviteur De Dieu

أما الترجمة العربية للكتاب المقدس للبروتستانت، فقد ذكرت : (هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي، وضعت روحي عليه...) اشعياء ٤٢ :١

هذا وقد بشر النبى اشعياء بنبى عظيم يرسله الله وينتظره العالم، من صفاته أنه عبد الله ورسوله وقد نوه كاتب انجيل متى أن المقصود بذلك هو المسيح، فضمن ذلك الاصحاح الثاني عشر عبارة ١٨ :٢١ .

لكن كلمة (عبدي) في الترجمة العربية استبدلت بكلمة (غلامي) ثم (فتاى) ثم (ابني) وبذلك تكون كلمة (ابن الله) هى تحوير في الترجمة عن قصد أوغير قصد لكلمة (عبدالله) وهو ما جرت عليه معظم الترجمات العربية : الكتاب المقدس للبروتستانت والكتاب المقدس للكاثوليك والعهد الجديد

للمطبعة الكاثوليكية التي استبدلت كلمة (عبدي) بلفظ (فتاى).
فاذا قدرنا أن التراجم العربية منقولة أساسا من الترجمة الفرنسية أو الانجليزية وهذا هو الأقرب حيث أن ثقافة من يقوم بهذا العمل في الوطن العربي، اما ثقافة فرنسية أو ثقافة انجليزية، فان اللفظ المستخدم في التراجم الفرنسية هو Serviteur وهو في التراجم الانجليزية كلمة Servant وكلا اللفظين ليس لهما في العربية الا مرادف واحد هو (خادم) أو (عبد).

نأتي بعد ذلك الى تعليقات مترجمي الكتاب المقدس في ترجمات الكاثوليك والبروتستانت المختلفة، اذ أن هناك قاعدة أصولية وضعها علماء الكتاب المقدس الذين عكفوا على ترجمته الى اللغة الفرنسية تقول: "من أراد أن يطالع مؤلفا قديما يجب عليه أن يتثبت من أصله" وتقول دائرة المعارف الأمريكية (١٩٥٩) فيما يتعلق بالكتاب المقدس: " لم تصلنا أى نسخة بخط المؤلف الأصلي لكتب العهد القديم، أما النصوص التي بين أيدينا فقد نقلتها الينا أجيال عديدة من الكتبة والنساخ. ولدينا شواهد عديدة أنهم قد غيروا فيها بقصد أو بدون قصد." *

ويقول المدخل الى العهد القديم في ترجمة التوراة للكاثوليك تحت عنوان "تشويه النص Corruptions Textuelles": لاشك أن هناك عددا من النصوص المشوهة التي تفصل النص المسوري (العبري) الأول عن النص الأصلي، فمن المحتمل أن تقفز عين الناسخ من كلمة الى كلمة أخرى تشبهها وترد بعدها ببضعة أسطر مهملة نسخ كل ما يفصل بينهما. او أن تكون الكتابة رديئة فلا يحسن قراءتها، فيكتبها من عندياته أو يخلط بينها وبين غيرها، كما أن بعض النساخ الأتقياء، قد قاموا بحسن نية باجراء تصحيحات لاهوتية لتعابير لم تكن مفهومة لهم أوخشوا أن يساء تفسيرها. كما أن بعض النقاد لم يترددوا في تصحيح نص مسوري (عبري) طالما لم يعجبهم لاعتبار أدبي

عقائدي .

أما ترجمة الكاثوليك للعهد الجديد، فتقول أنه بينما كان المسيح عليه السلام وتلاميذه يتكلمون اللغة الآرامية، فان مخطوطات أسفارالعهد الجديد مكتوبة باللغة الاغريقية على مخطوطات بالية تختلف نصوصها اختلافا كبيرا، وأقدم هذه المخطوطات كتابان مقدسان على الرق يرجعان الى القرن الرابع، أحدهما ما يسمى بالمجلد(الفاتيكاني) وهو محفوظ بمكتبة الفاتيكان وهو مجهول المصدر ومصاب بعطب وأضرار كبيرة، وينقصه بعضالأسفار والرسائل، أما المجلد الثاني فيعرف بالمجلد (السينائي) نسبة الى سيناء حيث عثر عليه بدير سانت كاترين ،وأضيف اليه رسالة برنابا (انجيل برنابا) التي لم تعترف بها الكنيسة لمخالفتها للأناجيل الأربعة التي اعتمدتها الكنيسة، وذلك بفعل بولس كما سيأتي عليه الكلام في الفصول التالية .

ويضيف التعليق بترجمة الكاثوليك : أن نسخ العهد الجديدالتي وصلتنا ليست كلها واحدة،

بل فيها فوارق مختلفة الأهمية ولكنها كثيرة جدا . فقد نسخ العهد الجديد عدة مرات بأيدي نساخ متفاوتي الصلاح والصلاحية لهذا العمل، وما من واحد منهم معصوم من الخطأ، أدخلواعلى النص قراءات جديدة تكاد كلها خطأ . ومن الواضح أن ما أدخله النساخ من تبديل وتعديل على مر القرون قد تراكم فوق بعضه البعض، فكان النصالذي وصل في آخر الأمر الى العصر الذي كانت فيه الطباعة ميسرة، نصا مثقلا .بمختلف أنواع التبديل ،كان آباء الكنيسة يستشهدون به لسوءالخط من ذاكرتهم بغير مراعاة للدقة الواجبة، حتى وصل في آخر الأمر بعيدا كل البعد عن الأصل الذي لايرجى الوصول اليه، وأصبح الحل الذي يراه آباء الكنيسة وعلماء المسيحية ازاء ذلك، هو قبول الوضع الحالي بكل ما عليه

من مآخذ باعتباره أفضل ما وصلت اليه جهودالبشرية .حتى لقد عقبت على ذلك مصادر مسيحيةموثوقة ، بأن العهد الجديد الحالي هو عهد مؤقت معرض للتغيير والتبديل حسبما تأتي به الأيام .*

هذا وقد أوردنا في الجزء الأول من هذا الكتاب الخاص باليهود واليهودية فصلا خاصا بالكتاب المقدس فليرجع اليه القارىء اذا أراد .

* لواء أحمد عبد الوهاب . المرجع السابق

* المصدر السابق

الفصل الثانى

التمهيد للنصرانية
يحيى (يوحنا المعمدان)

يحيى أو يوحنا "المعمدان"

لا يذكر المسيح عيسى بن مريم ألا ويذكر معه يحيى أو يوحنا كما تلقبه الأناجيل ، لما بينهما من نسب وقربى ، وتقارب فى تاريخ الميلاد ، فيحيى ابن زكريا عليه السلام وأمه اليصابات من بنات هارون وأخت زوجة عمران - أم مريم - وبذلك يكون يحيى ابن خالة مريم أم المسيح . ولمولد يحيى كما لمولد مريم وابنها المسيح ، قصة يرويها القرآن الكريم وترويها الأناجيل .

فقد كان زكريا رجلا صالحا يدعو الناس إلى الاستقامة والهدى ، نذر نفسه لخدمة المعبد حيث يفد الناس للاستغفار من ذنوبهم ولعبادة خالقهم ، وكان زكريا وأمـرأته كما كانت اختها أم مريم وزوجها عمران ، كانوا جميعا من سلالة داود ، وكانت أمرأة عمران رغم تقدمها فى السن حاملا ، يلعب الجنين فى بطنها ، فأرادت أن تشكر خالقها بأن تهب له ما فى بطنها - بزعم أنه سيكون ذكرا - تهبه لخدمة المعبد شأنه فى ذلك شأن أفراد أسرتى زكريا وعمران .

وذكر القرآن الكريم هذا الموقف فى سورة آل عمران:

"إذ قالت امرأة عمران: رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى إنك أنت السميع العليم . فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى . وإنى سميتها مريم ، وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا..."

آل عمران ٣٥ - ٣٧

ورغـم أن أم مريم كانت تحسب أن وليدها سيكون ذكرا تهبه لخدمة الله ، وقد جاءت أنثى ، فإنها لم تشأ أن تخلف وعدها لله ونذرها للمولود

ليكون فى خدمة الخالق ، فإنها دفعت بمولودتها إلى أيدى الكهنة ليتعهدوها بالتربية الصالحة ، وليعدوها لخدمة المعبد .

ولما اختلف الكهنة فيما بينهم من منهم يكفلها ، احتكموا إلى القرعة وخرجت القرعة على زكريا زوج خالتها ، فتولى رعايتها بصدر رحب وأجلسها فى المحراب فى مكان التعبد - حيث يحضر المتعبدون للاستغفار والتعبد لخالقهم . وكان زكريا كلما دخل على مريم المحراب وجد عندها أشكالا وألوانا من الأطعمة غير مألوفة فى ذلك الآوان ، فإذا سألها من أين لك هذا قالت هو من عند الله :

"وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم ايهم يكفل مريم . وما كنت لديهم إذ يختصمون" . ٣ آل عمران ٤٤

"وكفلها زكريا وكلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا . قالت هو من عند الله . إن الله يرزق من يشاء بغير حساب" ٣ آل عمران ٣٧

وفى كفالته لمريم ، تحركت فى أغوار زكريا عوامل الأبوة ، فاتجه إلى الله ، بالدعاء أن يهبه الولد ليرث عمله ومكانته :

"ذكر رحمة ربك عبده زكريا . إذ نادى ربه نداء خفيا . قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الراس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا . وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت أمرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا ، يرثنى ويرث من ال يعقوب واجعله رب رضيا" . ١٩ مريم ٢ - ٦

دعا زكريا ربه بهذا الدعاء وهو اليائس من أن ينجب بعد أن تقدم به العمر ووهن منه العظم وامرأته عاقر فأنى له أن ينجب ولكنه طامع فى كرم ربه ، وكيف ييأس من رحمة الله .هو المقيم على طاعته الساهر

فى خدمته ، وقد رأى عند مريم آيات من آيات ربه وقدرته عز وعلا .

"هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة أنك سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين" . ٣ آل عمران ٣٨ - ٣٩

فاستجاب له ربه وأرسل إليه الملائكة يبشرونه وينقلون إليه عن لسان ربهم:

"يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا" . ١٩ مريم ٧

ومع فرحته بهذه البشرى ، كان كمن لا يصدق ، فأخذ يناجى ربه كأنما ليستوثق:

"قال رب أنى يكون لى غلام وكانت أمراتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا" . فرد عليه الملك : "قال كذلك قال ربك هو علىَّ هيِّن وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا" .

"قال رب اجعل لى اية . قال ايتك ألآ تكلم الناس ثلاث ليال سويا . فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا" . ١٩ مريم ٨ - ١١

طغت عليه الفرحة حتى لقد استكثر أن يجاب طلبه ، وأن يستجاب دعاؤه ، ورغم علمه بأن الله لا يكثر عليه شىء ، ولا يستعصى على قدرته أى فعل ، حتى لو لم تكن الأسباب متوفرة ، وقد كانت أسباب الإنجاب فعلا غير متوفرة لزكريا ، فأمرأته عاقر لم تنجب رغم مرور السنين الطويلة عليها ، وهو قد فاته سن الإنجاب ، فسأل ربه أن يجعل له

برهانا - ليس من باب سوء الأدب وهو المؤمن الموغل فى إيمانه ولكن من باب الرجاء ، ولم يخيب الله رجاءه ، وجاءه الرد إنك لن تستطيع أن تكلم الناس ثلاث ليال متعاقبة - فلما خرج على الناس أقبلوا عليه كعادتهم يحدثونه ويستفسرونه فى شئون دينهم ، ولكن لسانه عجز عن أن يتحرك بالرد عليهم ، وفمه أغلق دون خروج الكلام منه ، وحنجرته لم تخرج صوتا ، وكان هذا هو البرهان بصدق البشرى وكان حريا به أن يشكر ربه ، وأن يهيب بالناس أن يسبحوا ربهم آناء الليل وأطراف النهار ، ولما كان عسيرا عليه أن يتكلم ، فلم يكن أمامه من وسيلة إلاّ أن يشير إليهم بإيماءة من رأسه ، وإشارة من يده ، واستمر حاله هكذا ثلاثة أيام وثلاث ليال ، (وإن كان إنجيل لوقا قد ذكر أنه استمر على عدم النطق حتى ولد له يحيى ، وبعد أن سماه يوحنا كما سيرد فيما بعد) .

وهكذا صدقت البشرى وزال عن الزوجة عقرها ، واسترد الشيخ المسن قدرته على الإنجاب ، فحملت اليصابات فى شيخوختها ، وولدت يحيى الذى لم يسمى باسمه أحد من قبل .

وكان مولد يحيى مقدمة لحدث أكبر ومعجزة أصعب ، إذ ما لبثت العذراء مريم بنت عمران أن حملت بعيسى عليه السلام ، وحمل الله يحيى أعباء النبوة وهو بعد صبى:

"يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا . وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا . وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا" . ١٩ مريم ١٢ - ١٥

فكان يدعو الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد ، الذى خلقهم ورزقهم وبيده كل الخير لهم . وكان يدعوهم إلى الأغتسال فى نهر الأردن ليتخففوا من ذنوبهم ، وعرف عنه الزهد والتقشف ، فكان يهيم على وجهه فى البرارى والجبال ويتغذى على ورق الأشجار ، ويشرب من ماء الآبار أو الأنهار ، وقد يأكل الجواد أو العشب مما يصادفه فلم يكن مترفا فى

طعامه أو شرابه ، وينام حيث يكون ، فى مغارة بالجبل أو حفرة فى الأرض ، ويقال أن الوحوش إذا لقيته لم يكن يلقى إليها بالا ، فلا يخاف منها ولا يجزع ، أما الوحوش فكانت تطأطئ بـرؤوسها إجلالا له واحتراما لقدره ، ثم تتركه وتنصرف دون أن تلحق به أى أذى ، بل كان هو كثيرا ما يلقى إليها طعامه ويبيت هو على الطوى فارغ البطن لم ينل طعاما [١] .

وقد قام يحيى بتعميد عيسى بن مريم فى نهر الأردن ، بل إن عيسى عليه السلام لم يجهر بدعوته إلاّ بعد أن قضى يحيى نحبه ، ويقال أن يحيى قال يوما لعيسى - عليهما السلام: يا عيسى استغفر لى ربك فأنت خير منى ، فرد عليه عيسى قائلا: بل أنت خير منى ، سلمت على نفسى وسلم الله عليك .وذلك إشارة إلى قوله تعالى عن يحيى فى سورة مريم:

"وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا" .

الآية ١٥

فى حين ذكرت السورة نفسها على لسان عيسى:

"والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا"

الآية ٣٣

وروى عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، أنه خرج يوما على الصحابة فوجدهم يذكرون الأنبياء ولم يذكروا يحيى ، فقال : "وأين الشهيد بن الشهيد ، يلبس الوبر ويأكل الشجر مخافة الذنب . أين يحيى بن زكريا" .

أما استشهاد يحيى واستشهاد أبيه زكريا من قبله فلذلك قصة لا بد أن تروى فى هذا المقام .

---

(١) إقرأ كتاب عبد الرزاق نوفل "يوحنا المعمدان"

ذلك أنه يروى أن بعض المجوس ممن يطالعون النجوم قد جاءوا إلى أورشليم ، يسألون عن مولود ولد بأرض فلسطين سيكون له شأن عظيم وسيصبح ملكا لليهود - يقصدون عيسى بن مريم - فلما سمع منهم ذلك هيرودس ملك فلسطين ، طلب منهم أن يخبروه به فور عثورهم عليه ، ولكن المجوس لم يعودوا إليه لإخباره ، ولما استقصى هيرودس عن ذلك علم أن زكريا قد رزق بمولود جديد ، وظنا منه أن هذا المولود هو المقصود بالنبوءة فقد طلب من زكريا أن يحضر ولده ليقتله ، ذلك أن هيرودس قد قرر أن يقتل كل طفل حديث الولادة في بنى اسرائيل طالما لم يتجاوز عمره سنتين ، ولكن زكريا قال له لا أعلم أين ولدى ، ولم يكن فى رده هذا كاذبا إذ كانت زوجته اليصابات أم الولد حين سمعت بما انتواه هيرودس من قتل كل طفل حديث الولادة ، قد أخذت وليدها وهامت به على وجهها صوب الجبال ، فما كان من هيرودس إلاّ أن أمر جنوده ، بقتل زكريا ، فقتلوه فى المعبد بين الهيكل والمذبح ، وهذا هو الشهيد الأول .

أما عن استشهاد يحيى ، فكان أيضا على يد ابن هيرودس الذى تسمى باسم أبيه ، وكان حاكما على ربع دولة اليهود ، وكان أخوه فيلبس حاكما على ربع آخر ، وذهب هيرودس لزيارة أخيه فيلبس الذى استقبله أحسن أستقبال ، استقبال ملك لملك ، وأخ لأخيه ، وكان لفيلبس زوجة اسمها هيروديا وابنة شابة اسمها سالومى ولقد فتن هيرودس بزوجة أخيه وبأبنته وبدلا من أن يقابل جميل أخيه بجميل مثله ، زين له الشيطان أن يستولى على زوجة أخيه ، وكيف له أن يستولى عليها إلاّ بالاستيلاء على ملك أخيه ، وشجعته هيروديا على ذلك ، فتم له أسر أخيه فيلبس وإيداعه السجن ، وظن أن الأمر قد استتب له ولا حائل يحول بينه وبين زوجة أخيه ، ولكن يحيى النبى التقى الواعظ إستنكر ذلك علانية وعلى ملأ من الناس ، فما كان من هيرودس إلاّ أن سجنه هو الآخر ، ولم يقم بقتله خوفا من غضب الناس ، ثم لم يلبث هيرودس أن قتل أخاه ليخلو له الجو مع عشيقته دون عائق ، وأراد أن يسترضى يحيى على أساس أن هيروديا قد أصبحت بلا زوج ، وأن زواجه منها أصبح ممهدا ولكن يحيى أعلن أن الشر لا يعالج بالشر ، وأن زواج هيرودس من أرملة أخيه على هذه الصورة

غير جائر ، فحقدت عليه هيروديا كما حنق عليه هيرودس ، ولكن نظرا لمكانته بين الناس ، تركه حيا ولكن سجينا .

ووقعت سالومى الشابة ابنة هيروديا فى غرام يحيى وعرضت نفسها عليه ولكنه وهو النبى المصلح قد تمنع عليها واستنكر أفعالها فحنقت عليه هى الأخرى .

وفى يوم عيد ميلاد هيرودس والحاشية كلها مجتمعة بالقصر تحتفل بعيد الملك ، وقد لعب الخمر بعقله وأمعن فى المفاسد ، طلب هيرودس من ابنة أخيه الجميلة أن ترقص . وقد وقع فى غرامها هى الأخرى ، فتمنعت ، فوعدها أن هى رقصت أمامه ليجيبن مطلبها أيا كان ، فلما رقصت وتمايلت زاد افتتانه بها ، ومالت إليه تستنجزه وعده ، فقال أطلبى وسوف ألبى ما تطلبين ، فقالت: رأس يحيى . ولم يتمالك الملك المخمور أن يرجع عن وعده ، فأشار إلى جنده بقتل يحيى وإحضار رأسه على طبق ليقدمه إلى سالومى وأمها مكافأة لهما . وهكذا كان استشهاد يحيى فى سبيل مواعظه واستقامته وامتناعه عن أن يساير الملك وعشيقته فى أن يبارك زواجهما وامتناعه عن الابنة الشابة التى أرادت أن تطارحه الغرام فأبى عليها ، وكانت حياته ثمنا لإبائه .

قصة يوحنا فى الكتاب المقدس:

وردت قصة يحيى فى الكتاب المقدس - فى إنجيل لوقا فى الاصحاح الأول على الوجه الآتى ، ويلقب هنا باسم يوحنا:

(كان فى أيام هيرودس ملك اليهود كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا - أى من أولاد أبيا بن رحيعام بن سليمان بن داود - وامرأته من بنات هارون واسمها اليصابات . وكانا كلاهما بارين أمام الله سالكين فى جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم ولم يكن لهما ولد ، إذ كانت اليصابات عاقرا ، وكانا كلاهما متقدمين فى أيامهما) .

(فبينما هو - زكريا - يكهن فى نوبة فرقته أمام الله حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر . وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجا وقت البخور ، فظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور . فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف ، فقال له الملاك لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات ستلد لك أبنا وتسميه يوحنا . ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته لأنه يكون عظيما أمام الرب ، وخمرا ومسكرا لا يشرب ، ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس ويرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلههم . ويتقدم أمامه بروح ايليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكى يحيى للرب شعبا مستعدا . فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا لأنى أنا شيخ وامرأتى متقدمة فى أيامها . فأجاب الملاك وقال له أنا جبريل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا . وها أنت تكون صامتا ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذى يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامى الذى سيتم فى وقته ، وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من إبطائه فى الهيكل فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه قد رأى رؤيا فى الهيكل . فكان يومئ إليهم وبقى صامتا) .

(ولما كملت أيام خدمته مضى إلى بيته . وبعد تلك الأيام حبلت اليصابات امرأته وأخفت نفسها خمسة أشهر قائلة كذا قد فعل بى الرب إلى الأيام التى فيها نظر الى لينزع عارى بين الناس) .

(وأما اليصابات فتم زمانها لتلد فولدت ابنا وسمع جيرانها وأقرباؤها أن الرب عظم رحمته لها ففرحوا معها . وفى اليوم الثامن جاءوا ليختنوا الصبى وسموه باسم أبيه زكريا . فأجابت أمه وقالت لا بل يسمى "يوحنا" فقالوا ليس أحد فى عشيرتك تسمى بهذا الاسم . ثم أومأوا إلى أبيه ماذا يريد أن يسمى فطلب لوحا وكتب قائلا اسمه "يوحنا" فتعجب الجميع . وفى الحال انفتح فمه ولسانه وتكلم وبارك الله - فوقع خوف على كل جيرانهم . وتحدث بهذه الأمور جميعها فى كل

جهال اليهودية . فأودعها جميع السامعين فى قلوبهم قائلين: أترى ماذا يكون هذا الصبي ، وكانت يد الرب معه) [١] .

وجاء فى الاصحاح الثالث من انجيل لوقا:

(وفى السنة الخامسة عشر من سلطنة طيباريوس قيصر إذ كان بيلاطس النبطى واليا على اليهودية ، وهيرودس رئيس ربع على الخليل وفيلبس أخوه رئيس ربع على ايطورية وكورة تراخونيتس . . . كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا فى البرية فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا كما هو مكتوب فى سفر أقوال أشعياء النبى القائل صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب . اصنعوا سبله مستقيمة . كل واد يمتلئ وكل جبل وأكمة ينخفض وتصير المعوجات مستقيمة والشعاب طرقا سهلة ويصير كل بشر خلاص الله) .

(وإذ كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون فى قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح أجاب يوحنا الجميع قائلا أنا أعمدكم بماء ولكن يأتى من هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أحل سيور حذائه هو سيعمدكم بالروح القدس ونار . . . أما هيرودس رئيس الربع فإذ توبخ منه لسبب هيروديا امرأة فيلبس أخيه ولسبب جميع الشرور التى كان هيرودس يفعلها زاد هذا أيضا على الجميع أنه حبس يوحنا فى السجن) .

وفى إنجيل متى جاء بالاصحاح الثالث:

---

(١) حيث ان هذه الرواية لم ترد فى اى من الاناجيل الاخرى فالارجح ان تكون منقولة من القران الكريم خاصة ما اشارت إليه بان احدا لم يسبق له ان تسمى بهذا الاسم ، وهو ما يقابل فى القران "لم نجعل له من قبل سميا" . كذلك عدم قدرة زكريا على الكلام وإن كان القران قد حدده بثلاث ليال "قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا" إلا ان توراة الكتاب المقدس حددت ذلك بطول مدة حمل زوجته حتى ولادتها .

(وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلا توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات . . . ويوحنا هذا كان لباسه من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد طعامه جرادا وعسلا بريا . حينئذ خرج إليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن واعتمدوا منه معترفين بخطاياهم) .

(فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم: يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ، فاصنعوا اثمارا تليق بالتوبة . ولا تفكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبراهيم أبا لأنى أقول لكم أن الله قادر على أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم) .

(حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه ولكن يوحنا منعه قائلا أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلى فأجاب يسوع وقال له اسمع الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر حينئذ سمح له) .

الفصل الثالث

مولد المسيح

- الاختلاف فى نسب المسيح بين إنجيلى متى ولوقا .
- الغموض يكتنف حياة المسيح حتى بدء رسالته

مولد المسيح

ولقد كان مولد المسيح آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته ، أراد الله بها أن يبين لليهود الذين خرجوا عن تعاليم أنبيائهم وأغرقوا فى المادية وتكالبوا على حب المال ، حتى أن كهانهم قد جعلوا لكل ذنب كفارة مادية وقرابين يقدمها العامة للمذبح كأنما الله هو الذى يأخذها ، وما يأخذها فى واقع الأمر إلا الكهنة وسدنة الهيكل ، سواء كانت ذبائح أو محرقات ، أو كانت مشغولات من الذهب أو الفضة أو الأحجار الكريمة أو الأقمشة المزركشة من الديباج والحرير أو الجلود المدبوغة أو البخور وغيرها .

وصدق والله حيث يقول : "لا ينال اللهَ لحومُها . . . . . ."

ومعلوم ان كل شئ عند اليهود له ثمنه حتى لقد أقام الكهنة سوقا تجاريا داخل فناء هيكل سليمان ، تدخله المواشى والحيوانات المختلفة ، كما أنشأوا سوقا للصرافة حيث يبادلون الزائرين عملاتهم المختلفة بعملة إسرائيل المفروضة عليهم - لكل فعل مكس معين يتقاضاه الكهنة حتى يضمن المذنب الغفران .

وكان اليهود لا يؤمنون الا بحياتهم الدنيا ، فلا حياة أخرى ولا بعث ولا حساب بعد الموت ، ومن هنا كان يستساغ أن يفعل كل فرد ما يقدر عليه دون خشية من حساب أو عذاب أو لوم الا ما كان له جزاء مقرر فى أثناء الحياة ، أما خشية الله وحساب الضمير فلا وجود له فى إعتقادهم .

ولقد أراد الله تعالى أن يكون مولد عيسى خروجا عن المألوف ، فالمعروف أن يكون الحمل والوضع نتاج لقاء بين ذكر وأنثى ، فأراد الله تعالى أن يذكر اليهود بأن مشيئته وقدرته يمكن أن تخرج بالأشياء عن مألوفها ، وقد خلق الله آدم من قبل بلا أب أو أم ، ولم يكن خلق آدم نتاجا لهذا القانون الجارى من لقاء رجل وأنثى ، والله يفعل ما يشاء ،

"إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون" خلق آدم من غير أب أو أم وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق الناس أجمعين من ذكر وأنثى مجتمعين وفق قانون معين محدد ، وبقى أن يبرهن انه قادر -سبحانه- على أن يخلق انسانا من أنثى بلا ذكر -وكان ذلك هو المسيح- حتى يبرهن الله إكتمال قدراته كلها فى الخلق .

ولقد رأينا مريم وقد إعتكفت فى الهيكل تصلى للرب وتتفرغ للعبادة ، لا يشغلها عن العبادة شاغل ، وبينما هى كذلك اذ رأت ملكا فى صورة إنسان ، ففزعت وقالت من أين جئت وماذا تريد ، إنى أستنجد بخالقى منك وأستنجد بنخوتك وضميرك ان كنت متقيا الله ، فرد عليها لا تخافى ولا تفزعى انما أنا رسول ربك مرسل اليك من قبل الله سبحانه وتعالى لأهب لك غلاما زكيا . قالت كيف يكون لى غلام ولم يقربنى انسان ولم أكن سيئة السلوك ، قال هذه إرادة الله وما يريده الله يكون وما أسرع وأهون أن تتحقق مشيئة اله فى لمح البصر .

ولقد جاء فى سورة آل عمران :

"وإذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ." آل عمران ٤٢ - ٤٣

"إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فإنما يقرل له كن فيكون ." آل عمران ٤٥ - ٤٧

كما جاء فى سورة مريم :

"واذكر فى الكتاب مريم اذ أنتبذت من أهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا أليها روحنا فتمثل لها بشرا

سويا . قالت إنى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا . قالت أنّى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا . قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله اية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا ."

٩١ مريم ١٦ - ٢١

نعم كان هذا أمر من الله سبق قضاؤه ويتحتم تنفيذه .

"فحملته فانتبذت به مكانا قصيا . فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا . فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا . وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا . فكلى واشربى وقرى عينا ، فاما ترين من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا ." مريم ٢٢ - ٢٦

ليس أصدق من هذا وصفا ولا أروع من هذا رواية توضح إشفاق مريم من لقاء قومها وما سوف يرمونها به من سوء الظن . وهم الماديون الذين طغت عليهم المادة وأنكروا الغيبيات فكيف سيصدق قومها أن هذا من فعل الله وقدرته ومشيئته ، فما كان منها الا ان توارت عن العيون حتى لا يثير انتفاخ بطنها القيل والقال ، حتى كان أوان الوضع وإضطرها المخاض وآلام الولادة أن تركن الى نخلة منعزلة فى مكان ناء خال من الناس ، فلما وضعت مولودها إحتارت كيف تلقى الناس وما عساهم يقولون عنها ، وإذا إحتجبت عنهم فمن إين لها الطعام والشراب لتستدر اللبن الذى تطعم به مولودها . ولكن الله هيأ لها كل شئ ، فالماء يجرى تحت أقدامها فى جدول رقراق عذبا فراتا ، وغذاء من ثمار النخلة رطبا شهيا فما أروع حكمة الله .

ولكن هل تستطيع أن تغيب عن قومها الى الأبد ، لقد تمنت لو ان الله أماتها ولم يوقفها هذا الموقف الذى لا تدرى كيف تخرج منه . فأوحى الله اليها اذا رأت أحدا من الناس أن تقول انها نذرت لله صوماً ، فلن تكلم

أى انسان فأدخل هذا الإيحاء السكينة فى قلبها ، وتشجعت على ملاقاة الناس ، وقررت ان تخرج من عزلتها وتأتى قومها فهى لم ترتكب إثما ، والله الذى أراد لها هذا كفيل بالدفاع عنها أمام الناس وإظهار براءتها ، فحملت وليدها وخرجت من عزلتها :

"فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا . يا أخت هارون ما كان أخوك إمرأ سوء وما كانت أمك بغيا . فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ."

مريم ٢٧ - ٢٩

موقف محرج فقد تحقق ما كانت تخشاه وها هم أولاء أهلها وقومها يستنكرون ما خرجت به عليهم ، وأخذوا يذكرونها بأنه لا أبوها عمران ولا أمها حنة كانا أهل سوء لقد كانا خادمين للهيكل وكانا من أهل التقى ، فكيف بها تخرج عن سلوكها ، وتذكرت ما أوحى به اليها من عدم الرد عليهم ، فلم تجد ما يمكن أن تتفوه به سوى ان تشير لولدها لعل الله يستنطقه بالحقيقة ، وقد صدق حدسها ، وإستنطق الله الطفل الرضيع ليكفيها مؤونة الرد :

"قال إنى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ." مريم ٣٠ - ٣٣

تكلم عيسى وهو طفل رضيع لا يفترض فيه أن يقدر على الكلام أو يحسنه ، وهو ما لم يتوقعه القوم حين قالوا مستغربين "كيف نكلم من كان فى المهد صبيا" وقد كفاها عيسى مؤونة الجواب ، اذ خاطبهم هو مبينا لهم الحقيقة وهى أنه آية من آيات الله ، خلقه الله على غير القانون السارى العمل به وهو ضرورة اللقاء بين الرجل والمرأة لينتج مولودا . وهو نسيج وحده كما كان آدم وحواء قبله نسيجى وحدهما ، وهى قدرة الله

على الخلق لا يستعصى عليه شئ سبحانه . تلك هى قصة مولد عيسى بينّها الله لنا فى القرآن الكريم ردا على أراجيف المرجفين الذين يرمون مريم بالإفك والتهم الباطلة ، وردا فى نفس الوقت على الذين يزعمون بأن عيسى أن هو الا ابن الله ، وما حاجة الله -جل وعلا- فى أن يتخذ ولدا والناس كلهم خلقه وصنعته ، مثلهم مثل سائرمخلوقاته من جماد ونبات وحيوان ، وجودهم رهن مشيئته ، فإذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون .

"ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون . ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه ، إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون . وإن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ."

مريم ٣٤ - ٣٦

تلك هى نظرة الاسلام فى معجزة خلق عيسى عليه السلام ، كائنا من كائنات الله ، ومخلوقا من مخلوقاته ، والله لم يتخذ صاحبة ولا ولدا .

"لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ."

والآن ننتقل الى روايات الأناجيل عن مولد عيسى عليه السلام .

الإختلاف فى نسب المسيح بين إنجيلى متى ولوقا:

ولد المسيح كما رأينا من أصل يهودى ، فأمه مريم بنت عمران وبنت حنة أخت اليصابات أم يحيى ، من عشيرة اليهود ومن قوم داود وكان مولده فى بلاد اليهودية . وقد خوطبت مريم فى القرآن الكريم بـ"أخت هارون" أى أخت موسى وهما من صلب اسرائيل ، كما ذكر فى الأناجيل أنه من نسل داود .

وبالرغم من أن النسل الثابت للمسيح بشريا هو عن طريق أمه مريم ، إلا إننا نجد أن الأناجيل -إنجيل متى وإنجيل لوقا- قد تحدثا عن نسبه عن طريق "يوسف النجار" خطيب أمه . وقد إختلفا فى شجرة نسب يوسف هذا وإن كانا قد أرجعاه الى صلب إبراهيم واسحق ويعقوب حتى داود ، وبعد داود إختلفا فذكر إنجيل متى أن يوسف هذا من أولاد داود عن طريق ابنه سليمان من زوجته التى كانت لأوريا الحثى التى أوردنا قصتها من قبل حين رآها داود وهى تستحم فوق سطح منزلها المجاور له ، ففتن بها وأحضرها ..... ثم تزوجها داود بعد ذلك وأنجب منها سليمان .

أما إنجيل لوقا فيرجع نسب "يوسف النجار" خطيب مريم الى داود الملك عن ابنه ناثان وليس عن طريق ابنه سليمان . ويتفق الانجيلان فى شجرة النسب من ابراهيم حتى داود الملك (١٤ جيلا) فأما إنجيل متى فيعدد أبناء داود عن طريق سليمان حتى يوسيا ويكينا الذى ولد فى سبى بابل (١٤ جيلا أخرى) ثم حتى يوسف النجار (١٤ جيلا ثالثا) فقسم بذلك أسلاف ابراهيم الى ثلاث مراحل كل مرحلة تشتمل على أربعة عشر جيلا متعاقبة .

أما إنجيل لوقا فان إتفق مع إنجيل متى فى الأسلاف من إبراهيم حتى داود ، فانه نسب يوسف النجار بعد ذلك الى ناثان بن داود وسلسل منه أربعين نسلا - جيلا - حتى وصل به الى يوسف النجار فى مقابل ست وعشرين جيلا فقط فى إنجيل متى ، ولم تتفق الاسماء فى أى

منهما الا فى إثنين فقط "شالتئيل" و "زربابل" رقم ٢٩ و ٣٠ فى سلسلة شجرة إنجيل متى ورقم ٣٥ و ٣٦ فى سلسلة شجرة إنجيل لوقا تبعهما عشرين نسبا فى سلسلة الشجرة فى إنجيل لوقا للوصول الى نسب يوسف النجار . حسبما يتضح ذلك فيما يلى .

وقد ذكر إنجيل متى أن يوسف النجار ولد لأب إسمه يعقوب ، بينما ذكر إنجيل لوقا انه ولد لأب إسمه مالى . وبينما لم يرد اسم يوسف فى أصلاب يوسف النجار فى إنجيل متى ، فقد ورد إسم يوسف ثلاث مرات ضمن أسلاف يوسف النجارفى إنجيل لوقا ، كما ورد فى هذا الإنجيل الأخير اسم يهوذا وشمعون ولاوى وهم من أسباط يعقوب بن إسحق (وتكرار اسم يهوذا ولاوى مرتين لكل منهما) بينما لم يرد أى من هذه الأسماء فى إنجيل متى .

والملحوظة الجديرة بالاثبات ، أنه قد ورد بالاصحاح الأول من إنجيل لوقا بالعبارة ٦٣ عندما أرادوا ان يطلقوا على يوحنا أسم أبيه زكريا ، قالت أمه "لا بل يسمى يوحنا" فقالوا لها ليس أحد بعشيرتك تسمى بهذا الأسم "بينما يذكر الاصحاح الثالث من نفس الإنجيل أن أحد أسلاف يوسف النجار هو يوحنا بن ريسا وأبو يهوذا - جيل ٣٨ من ابراهيم - العبارة ٢٧ من ذلك الاصحاح . فأى تناقض هذا؟ ومن أين جاء إنجيل لوقا الإصحاح الأول بأنه لم يسبق له أن سمى فى عشيرة اليهود من اسمه يوحنا؟ وهل نقل عن القرآن الكريم قوله "يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا" الآية ٧ من سورة مريم ، ويحيى فى القرآن هو يوحنا فى الأناجيل؟[١]

وفيما يلى أنساب يوسف النجار فى كل من إنجيلى متى ويوحنا .

---

(١) وهذا يؤكد الراى الذى إنتهينا اليه سابقا ان كثيرا من روايات الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد منقول عن القران الكريم .

نسب المسيح من واقع الأناجيل عن طريق يوسف النجار :

إنجيل متى:

١- يسى
٢- داود
٣- سليمان(من زوجة أوريا)
٤- رحيعام
٥- أبيا
٦- آسا
٧- يهوشافاظ
٨- يورام
٩- عزيا
١٠- يوثام
١١- أحاز
١٢- حزقيا
١٣- منسى
١٤- آمون
١٥- يوشيا
١٦- يكنيا
١٧- شالتئيل
١٨- زربابل
١٩- أبيهود
٢٠- الياقيم
٢١- عازور
٢٢- صادوق
٢٣- أخيم
٢٤- أليود
٢٥- أليعازر
٢٦- مثان
٢٧- يعقوب
٢٨- يوسف النجار

إنجيل لوقا:

١- يسى
٢- داود
٣- ناثان
٤- متاثا
٥- مينان
٦- مليا
٧- الياقيم
٨- يوثان
٩- يوسف
١٠- يهوذا
١١- شمعون
١٢- لاوى
١٣- متثات
١٤- متثات
١٥- اليعازر
١٦- يوسى
١٧- عير
١٨- المودام
١٩- قصم
٢٠- آوى
٢١- ملكى
٢٢- نيرى
٢٣- شالتئيل
٢٤- زربابل
٢٥- ريسا
٢٦- يوحنا
٢٧- يهوذا
٢٨- يوسف
٢٩- شمعى
٣٠- متاثيا
٣١- مآث
٣٢- نجاى
٣٣- حلى
٣٤- ناحوم
٣٥- عاموص
٣٦- مثاثيا
٣٧- يوسف
٣٨- ينا
٣٩- ملكى
٤٠- لاوى
٤١- متثات
٤٢- مالى
٤٣- يوسف النجار

كما يلاحظ أن إنجيل لوقا لم يقطع بأن عيسى عليه السلام ليس له أب من البشر ، إذ ورد بالإصحاح الثالث عبارة ٢٣ (وإبتدأ يسوع - يقصد بدأ بشارته - وكان له نحو ثلاثين سنة ، وهو على ما كان يظن إبن يوسف ابن مالى بن متثاب . . . . .) وأخذ يسلسل آباءه حتى وصل الى يعقوب ابن إسحق ابن ابراهيم بل وحتى وصل الى آدم "ابن الله" ويفهم من هذه الإشارة الى إحتمال أن المسيح هو ابن يوسف النجار .??

بل لقد ورد فى الاصحاح الثانى من نفس الانجيل إبتداء من العبارة ٤٠ (وكان الصبى - يقصد المسيح عيسى بن مريم - ينمو ويتقوى بالروح ممتلئا حكمة وكانت نعمة الله عليه . وكان أبواه يذهبان كل سنة الى أورشليم فى عيد الفصح . . . .) ويقصد بأبويه هنا يوسف النجار ومريم .

وفى العبارة ٤٦ وما بعدها (وبعد ثلاثة أيام وجداه فى الهيكل جالسا فى وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم . وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته . فلما أبصراه إندهشا وقالت له أمه: يا بنى لماذا فعلت بنا هكذا - وكان قد غاب عنهم ثلاثة أيام - هو ذا أبوك - تقصد يوسف - وأنا كنا نطلبك معذبين . . . .)

فهل لا تفهم من هذا ان إنجيل لوقا يشير الى إحتمال كون المسيح ابنا ليوسف النجار؟؟ وهو نفس ما ذهب إليه اليهود من نسب المسيح ، بل لقد رموا مريم زورا وبهتانا بأنها قد أتت به من أب غير شرعى .

ولقد تصدى القرآن الكريم لتبرئة مريم من هذه التهمة ، بل لقد أشار الى أن الله تعالى قد إصطفاها وفضلها على نساء العالمين وليس أكبر من ذلك شهادة فى حق مريم ، تكفل بها القرآن الكريم ، بل لم يكن فى الأناجيل الأربعة التى بين أيدينا مثل هذا الدفاع القوى المتين الذى يمنع أى ليس فى نسب المسيح عليه السلام .

"وإذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ."

آل عمران ٤٢

الغموض يكتنف حياة المسيح حتى بدء رسالته:

لم تحدثنا الأناجيل باسهاب عن طفولة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، ولا عن صدر شبابه ، فيما عدا ما ذكر عن ميلاده ، ثم عن الإيحاء بسفره مع أمه مريم العذراء ورجلها يوسف النجار الى مصر هربا من طغيان هيرودوس وإزماعه قتل الطفل الوليد الذى أشيع أنه سيكون ملك اليهود .

والقصة تبدأ حينما جاء رجال من المجوس الوثنيين من الشرق ، وقد جاءوا يسألون عن طفل يهودى مولود سيصير ملكا لليهود ، وقد أنبأتهم بذلك نجومهم ، فلما علم بذلك هيرودوس -وكان لا يعلم شيئا عن مولد الطفل بعد- سألهم أن يتحروا ذلك ثم يعودون لإخباره أين هو ، وكان يزمع فى نفسه أن يقتله ، وتقول الأناجيل أن الملاك قد ظهر لمريم وأوعز لها أن تهرب بالطفل بالسفر الى مصر وأن تنتظر به هناك ، وسافرت "العائلة المقدسة" كما يسميها التراث المسيحى الى مصر وبقيت هناك حتى بلغ الطفل أشده ، ويقال أن العائلة المقدسة مكثت بعض الوقت بضاحية الزيتون وعين شمس تحت شجرة كانت تعرف الى عهد قريب بأسم شجرة العائلة المقدسة ، والتى أشيع ان العذراء مريم قد ظهرت عندها فى المساء منذ بضع عشرة سنة . كما يقال ان مريم وإبنها ويوسف قد إنتقلوا من هناك الى بعض قرى الصعيد .

ولما مات هيرودوس وزالت الأخطارعن المسيح ، ظهر الملاك لمريم من جديد وأوحى أليها أن تعود الى أرض فلسطين .

ولقد روينا من قبل نبأ افتقاد يوسف ومريم للمسيح وهو ابن اثنى عشر عاما عندما تخلف منهم فى الهيكل وكانوا قد حسبوه رجع الى دارهم ، فلما لم يجدوه هناك رجعوا الى الهيكل ، حيث وجدوه يحاجَ الكهنة ويناظرهم عن تعاليم الدين اليهودى .

وتـذكر قصة أخرى عن الهيكل ، عندما بلغ عيسى عليه السلام مبلغ الرجال ، وجاء الى الهيكل فوجد تجار اليهود قد ملأوا ساحته بمواشيهم وأغنامهم وتجاراتهم فأخذ بعض الحبال التى تربط بها المواشى ، وجدلها على شكل سوط ثم أخذ يطرد به أولئك الرعاة والتجار من ساحة الهيكل ، قائلا لهم إن بيت أبى للعبادة وليس للتجارة .

وفيما عدا هذين الحادثين ، فقد غلفت طفولة عيسى(س) وشبابه بالغموض فلم يذكر عنه روايات أو أقاصيص ، تخبر عن حياته وكيف يعيش وإن ذكر إنه قد قضى صدر شبابه فى حانوت "أبيه" يوسف النجار حيث عمل بالنجارة ، وهذا يومئ بأنه قد قضى صدر شبابه شخصا عاديا خاليا من أى حدث يستحق أن يذكر . فيما عدا حدث ميلاده .

وقبل رسالته ، ذهب الى نهر الأردن ليعّمد من يوحنا المعمدان - ابن خالة أمه - حيث يروى أن روح الله قد نزلت عليه من السماء فى شكل حمامة ، وسمع صوت من السماء قائلا "هذا هو إبنى الحبيب الذى به سررت" (متى ح ٣)

ثم أصعد يسوع الى البرية من الروح القدس ليجرب من إبليس بعد ان صام أربعين نهارا وأربعين ليلة (متى ح ٤) وقد ذكرنا تجربته مع إبليس فى غير هذا المكان .

وبدأ ظهور المسيح برسالته (أو بشارته كما تسميها الأناجيل) عقب القبض على يوحنا ، وكان المسيح حينذاك ابن ثلاثين سنة ، ولم تدم رسالته أكثر من ثلاث سنوات - وفى بعض الأقوال سنة واحدة - ولكن سنة واحدة فى إعتقادنا لا تكفى لكى تجمع كل أقوال المسيح ، وكل ما ورد فى الأناجيل من سيرته .

الفصل الرابع

العقيدة المسيحية مستمدة من كتب اليهود

- أوهام رؤى الاسر فى عهد اليهودية .
- النبوءات القديمة التى يستند اليها اتباع المسيح بأنه قد اخبر به .

عقيدة اتباع المسيح
مستمدة من كتب اليهود

قالت اللجنة المكلفة بتنقيح انجيل متى لحساب الكنيسة القبطية المصرية:

(كان اليهود يتوقعون مجئ المسيح لأن كل أنبيائهم تنبأوا بذلك على مدى تاريخهم الذى يبلغ الفى عام قبل الميلاد ، وقد تنبأ الانبياء- اليهود- بأن الله سيرسل فى مستقبل الايام من نسل داود ، فاديا يخلص البشر من شرورهم ويقيلهم من كبوتهم ويقيهم من غضب الله عليهم بسبب خطيئة أبيهم آدم وينشر بيتهم المحبة والسلام) .

ولو كان الأمر كذلك وان الله قصد ان يخلص الناس بمجئ المسيح ، فلماذا اذن لم يقض على الشر ، او لم تقف شرور الانسان عند مولد المسيح أو بالاقل بعد بعثته وموته وفدائه للخطأة ، ولماذا تأخر مجئ المسيح بعد خطيئة آدم بآجال طويلة . ويستمر كلام اللجنة:

(وقد كانت اسفار التوراة التى تضمنت هذه النبؤات بمثابة سجل يشتمل فى مجموعه على وصف كامل لمجئ المسيح وكيف سيعيش على الأرض وما سيلاقى من احداث تؤدى به الى الموت ، ثم كيف سيقوم بعد ذلك ويصعد الى السماء ، منذ تنبأ اشعياء النبى عن مجئ المسيح قبل مجيئه بمئات السنين - اشعياء ح ٩ ع ٢ و ٦ - وتنبأ بانه سيولد من عذراء - اشعياء ح ٧ ع ١٤ - وتنبأ ميخا النبى بأنه سيولد فى مدينة بيت لحم - ميخائيل ح ٥ ع ٢ - وتنبأ داود النبى بأن المسيح المنتظر هو ابن الله - المزمور ٢ ع ٧ و ٨ - وتنبأ دانيال النبى بان المسيح سيتجسد فى صورة ابن الانسان - دانيال ح ٧ع ١٣ و ١٤ . وتنبأ هوشع النبى بأن المسيح سيلجأ فى طفولته مع العائلة المقدسة الى مصر - هوشع ح ١١ ع ١ - وتنبأ داود النبى عن رسالة السيد المسيح التى سيؤديها فى العالم قائلا: انه سيدين الشعب بالحق ويخلص البائس ويسحق الظالم - المزمور ٧١ ، ٧٢ ع ٢ و ٤ - وتنبأ اشعياء النبى بانه سيخرج الحق للأمم ويفتح

عيون العمى ويطلق سراح المأسورين ويعزى النائحين ويبشر البائسين . وتنبأ داود النبى بانه سيكون فاديا لشعبه وبأنه يفدى اسرائيل من كل آثامه وتنبأ اشعياء النبى بأنه سيخلص البشر وينقذهم . وقد وصفه زكريا النبى بانه سيكون رئيس السلام ووصفه سليمان الحكيم فى نبوءاته بانه أزلى وتنبأ زكريا بان المسيح سيدخل أورشليم منتصرا فى يوم الاحد السابق على عيد الفصح - زكريا ح ٩ ع ٩ ....)

هذا ما تردده الأناجيل عن المسّيح ، واذا رجعنا الى أى من هذه النبؤات لما وجدنا فيها اسم المسيح ولا اسم عيسى يذكر صراحة او ضمنا وانما هو كلام مرسل التقطه كتبة الاناجيل والصقوه بالمسيح ليدللوا على صدق قولهم واليك النبوءة الاخيرة على سبيل المثال ، اذ تقول:

(ابتهجى جدا يا ابنة صهيون ، اهتفى يا بنت اورشليم ، هو ذا ملكك يأتى اليك ، هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن اتان ، ويقطع المركبة من افرايم والفرس من اورشليم ، ويقطع قوس الحرب ويتكلم بالسلام للأمم ، وسلطانه من البحر الى البحر ومن النهر الى النهر الى أقاصى الارض . رأيت أيضا فانى بدم عهدك قد اطلقت اسراك من الجب الذى ليس فيه ماء . ارجعوا الى الحصن يا اسرى الرجاء . اليوم ايضا اصرح انى أرد عليك ضعفين لأنى اوترت يهوذا لنفسى وملأت القوس افرايم وانهضت ابناءك ياصهيون على بنيك يا ياوان وجعلتك كسيف جبار . ويرى الرب فوقهم وسهمه يخرج كالبرق والسيد الرب ينفخ فى البوق ويسير فى زوابع الجنوب ، رب الجنود يحامى عنهم . . . .)

فهل فى هذا اشارة من قريب أو بعيد للسيد المسيح عيسى ابن مريم .... وهل كان رجل حرب او معه جنود يحامى عنهم ...؟ ثم لنعد الى واقعة محددة حيث يقول : (وتنبأ داود بأن احد تلاميذ المسيح سيخونه ويسلمه الى اعدائه) واشار بذلك الى ما ورد فى المزمور ٤٠ أو ٤١ العبارة ٩ واليك ما ورد فى كلا المزمورين:

المزمور ٤٠:

(حينئذ قلت ها انذا جئت بدرج الكتاب مكتوب عنى ان افعل مشيئتك يا الهى سررت وشريعتك فى وسط احشائى . بشرت ببر فى جماعة عظيمة . هو ذا شفتاى لم امنعهما أنت يا رب علمت) . العبارة من ٧ - ٩ .

المزمور ٤١:

(كل مبغضىّ " يتناجون معا علىّ " تفكروا بأذيتى . يقولون أمر ردئ قد انسكب عليه حيث اضطجع لايعود يقوم . ايضا رجل سلامتى الذى وثقت به اكل خبزى رفع على عقبه) (العبارة ٧ - ٩) أين هنا ما يفيد اشارة الى يهوذا وخيانته للمسيح وتسليمه الى اعدائه ليصلبوه . بل اين هنا اسم المسيح كلية أو أى اشارة تومئ اليه؟

ان مثل هذا مثل من يقول لصاحبه: الم تقرأ عنى فى جريدة الاخبار؟ فيقول صديقه: لا وأى شئ هو مكتوب عنك فى الاخبار؟ فيقول: اليس مكتوبا ان جموعا غفيرة قد ذهبت الى الاستاذ لتشهد لعب الكرة وانها كانت تهتف هتافات مدوية؟ قال نعم قرأت ذلك . قال الم تعلم انى كنت واحدا من هذه الجموع الغفيرة وانى كنت ضمن من يهتفون ....

أو كمن يمسك الكتاب يتصفحه فاذا وجد أى رمز يرمز الى شئ يشبهه من بعيد قال ها انذا اننى أنا المعنىّ بهذا الكلام؟

نعم انهم يتسقطون اى اشارة بالعهد القديم ، ليسخّروا منه كلاما مدغوما يقولون ان المعنىّ هنا هو المسيح . ان تعميم اى شئ يمكن ان يشمل كل شئ على الاطلاق ، فهو لا يصلح استشهادا عن شخص بعينه أو واقعة بعينها ، ما لم يرد ذلك فيه صراحة . واذا قيل ان اهالى مدينة كذا يتسمون بالشجاعة والاقدام وقد ابلوا بلاء حسنا فى الحرب الاخيرة مثلاً . افيأتى أى واحد من أهل المدينة لم يشهد تلك الحرب او يمسك حتى سلاحا فى حياته ليقول هاكم أقرؤا عنى وعن شجاعتى؟

(وتنبأ زكريا النبى عن الثلاثين من الفضة التى دفعها الكهنة رشوة للتلميذ الخائن وكيف القوها بعد ذلك الى الفخارى ....) زكريا ح ١١ ع ١٢ و ١٣ .

افيصلح هذا دليلا على ان زكريا سبق أن تنبأ أن يهوذا سوف يأخذ من الكهنة ذلك القدر من الفضة ؟ واليك ما ورد بسفر زكريا فى العبارتين المشار اليهما :

(.... فاخذت عصاى نعمة وقصفتها لأنقض عهدى الذى قطعته مع كل الأسباط . فقض فى ذلك اليوم . وهكذا علم أصحاب الغنم المنتظرون لى انها كلمة الرب . فقلت لهم ان حسن فى اعينكم فاعطونى اجرتى والا فامتنعوا . فوزنوا ثلاثين من الفضة فقال لى الرب : القها الى الفخارى فى بيت الرب) . ع ١٠ - ١٣

اذن ما صلة هذا بما ذكر بانجيل متى من أن يهوذا قد اخذ من الكهنة ثلاثين من الفضة؟ افيكون ذكر الرقم هنا - مجرد ذكر الرقم ولو فى سياق قصة اخرى ، دليلا على أن زكريا قد تنبأ بخيانة يهوذا وانه سيتسلم من الكهنة ثلاثين من الفضة ثمنا لخيانته ؟ وهكذا كل ما أشير اليه .

اننا نسلم بنبوة السيد المسيح عيسى ابن مريم كما نسلم بنبوة موسى ومحمد - عليهم السلام - فكلهم من الانبياء اولى العزم المرسلين من لدن رب العالمين ، ووفقا للقرآن الكريم "لانفرق بين أحد من رسله" . ولكن وجه الخلاف اننا لا نسلم ابدا بألوهية المسيح ، ولا نستسيغ تلك الفلسفة التى ساقوها تبريرا لذلك ، ولا قصة الخطيئة ولاقصة الفداء . ولا نسلم بعيسى الا نبيا كسائر الانبياء . لا نسلم بطبيعتين للمسيح - ناسوت ولاهوت - بل ناسوت فقط ، فالطبيعة الالهية تختلف كل الاختلاف عن الطبيعة البشرية بل اننا كبشر لا نعرف عن طبيعة الله شيئا اذ "ليس كمثله شئ" وسيعجز خيالنا عن تصوره . اما عيسى وسائر الانبياء فهم بشر من طبيعة بشرية ، كلهم من آدم ، وآدم من تراب بل لقد رأيناهم ولمسناهم ولكن الله لم يره أحد .

أما إذا كان ما ذكره أصحاب "الأناجيل" هو من قبيل الحجة على أصحاب "التوراة" مأخوذا من كتاباتهم ، فهذا أمر آخر ولا شأن لنا به ، فإن اعتقادنا أن ما كتبه هؤلاء وهؤلاء إن هو إلا كلام البشر ، ولا حجية فيه على أحد .

أوهام رؤى الأسر في عهد اليهودية

إستند كتبة الأناجيل وأسفار العهد الجديد من الكتاب المقدس ، الى أوهام وتهرصات أقرب إلى التشنجات منها الى الحقائق ، فى وضع مفاهيم وأسس الدين المسيحى ، من ذلك أضغاث أحلام ورؤى أثناء فترة الأسر بل ومقطوعات أقرب الى الشعر والمناجاة منها الى حقائق تاريخية أو إيحاءات قدسية ، من ذلك رؤى الأسر ومزامير داود . وفيما يلى بعضها :

كانت بابل بقيادة الملك نبوخذنصر قد غزت اسرائيل ، وأسرت اليهود وأجلتهم عن أرض فلسطين ودفعت بهم إلى أرض بابل ليكونوا خداما للمملكة . وكان دانيال النبى اليهودى ضمن من دفع بهم الى بابل ، فعز عليه الوضع الذى آل اليه حال اليهود ، وأخذ يرى فى منامه رؤى هى فى واقع الأمر تنفيس فى عقله الباطن عما لم يستوعبه عقله الواعى .

والمغلوب على أمره فى الواقع ، كثيرا ما يرى فى المنام أنه قد تغلب على غالبه الذى هو أقوى منه ، وهذا هو ما آل اليه حال النبى دانيال ، فكان كثير الرؤى والأحلام وكان يرمز لغالبيه برموز حيوانات غريبة متعددة القرون ، أو وحوش كاسرة ذات أجنحة تطير بها ، ثم جمح به خياله الى رؤية ما أسماه ابن إنسان رغم ان ذلك كان قبل مولد المسيح بأكثر من ستة قرون ، ثم أردف ذلك بتعبير جديد مثل "القديم الأيام" ولا ندرى هل يرمز به الى الله خالق الكون سبحانه وتعالى فيقول :

(كنت أرى فى رؤى الليل واذا مع سحب السماء مثل "ابن انسان" أتى وجاء الى "القديم الأيام" فقربوه قدامه فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى مالن يزول ، وملكوته ما لم ينقرض . . . . .) دانيال ح ٧ ع ١٢

(أما أنا دانيال فحزنت روحى فى وسط جسمى أفزعتنى رؤى رأسى ،

فاقتربت الى واحد من الوقوف وطلبت منه الحقيقة فى كل هذا ، وعرفنى تفسير الأمور .)

(هؤلاء الحيوانات العظيمة التى هى أربعة ، هى أربعة ملوك يقيمون على الأرض ، أما قديسو العلى فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة الى أبد الآبدين .)
دانيال ح ٧ ع ١٥ - ١٧

وجاء فى الاصحاح التاسع : (فى السنة الأولى لدايروس بن أحشويروش من نسل الماديين الذى ملك على مملكة الكلدانيين فى السنة الأولى من ملكه . أنا دانيال فهمت من الكتب عدد السنين التى كانت عنها كلمة الرب الى أرميا النبى لكمالة سبعين سنة على خراب أورشليم ، فوجهت وجهى الى السيد طالبا للصلاة والتضرعات بالصوم والمسح والرماد . وصليت الى الرب إلهى وإعترفت وقلت : أيها الرب العظيم المهوب حافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظى وصاياه . أخطأنا وأثمنا وعملنا الشر وتمردنا وحدنا عن وصاياك وعن أحكامك وما سمعناه من عبيدك الأنبياء الذين باسمك كلموا ملوكنا ورؤساءنا وكل شعب الأرض . لك يا سيد البر . أما لنا فخزى الوجوه كما هو اليوم لرجال يهوذا ولسكان أورشليم ولكل اسرائيل القريبين والبعيدين فى كل الأرض التى طردتهم اليها من أجل خيانتهم التى خانوك إياها) .
دانيال ح ٩

أما قصة دانيال فهى كما يلى :

فى الاسر حلم الملك نبوخذ نصر حلما لم يستطع ان يتذكره ، وإستدعى العرافين والسحرة والوثنيين ، فلم يعرفوا له تفسيرا لأنه لم يخبرهم به ، وهنا جاء دانيال النبى اليهودى وقال للملك : لقد رأيت فى المنام تمثالا من ذهب وفضة وحجارة ، وأوحى ذلك الى نبوخذ نصر ان يصنع تمثالا من ذهب يعبده ، كتلك التماثيل والأهرامات التى يصنعها المصريون يخلدون بها آلهتهم ، وأقام نبوخذ نصر التمثال من الذهب وأمر أن يأتى كل الشعب ليركع للتمثال ، ومن لا يركع له يلقى فى النار ، وكان هناك ثلاثة فتية من اليهود ، رفضوا أن يركعوا للتمثال ، فألقى بهم فى الآتون المتقد ولكن النار لم تمسسهم بسوء فلم تحرق سوى حبالهم التى ربطوا بها .

ويذكر دانيال أن نبوخذ نصر شاهد أربعة أشخاص يتمشون فى النار ، وأن الشخص الرابع شبيه "بأبن الآلهة" أما الفتية الثلاثة وأسماؤهم شدرخ وميشخ وعبدنفو فقد أمر نبوخذ نصر بتوليتهم أمر بابل بعد أن كان قد أمر بحرقهم ، على ألا يتعرض لهم أحد بسوء بعد أن رأى آلهتهم قد أنقذتهم من النار .

تلك هى قصة دانيال أحد أنبياء اليهودية .

ولكن العجيب ان أتباع المسيح عليه السلام ، يربطون بين المسيح وبين الشخص الرابع الذى رآه نبوخذ نصر يتمشى مع الفتية فى النار ، والذى درأ عنهم شرورها ، فيقولون ان هذا الشخص هو "ابن الله" متأثرين بما جاء فى سفر دانيال أو فى نبوءاته حينما قال كأنه "ابن الآلهة" .

وهذا يعطينا إنطباعا بأن بعضا من شعب اليهود - وهم من أصبحوا اتباعا للمسيح فيما بعد - وهم يؤمنون بالنبوات التى تقول بمجئ "المسيا" الذى يشير اليه العهد القديم بالكتاب المقدس ، لتخليص اليهود من أعدائهم ، وكذا رد اليهود الى ماأمرهم به إلههم ، بعد أن خرجوا على طاعته ، وإنتشرت بينهم المادية وإبتعدوا عن روح الدين ، هؤلاء اليهود المتشوقون لمجئ المنقذ وجدوا فى مجئ المسيح المخلص لهم الذى بشرت به نبوءاتهم . وقد خلعوا عليه -ما قرأوه فى نبوءاتهم- من أنه ابن الله .

بل أنظر إلى ما كتبه أحد القمامصة المسيحيين[١] فى كتابه "حياة دانيال ونبوءآته" صفحة ٧ تحت عنوان "كلمة الله فى الآتون :

(وإذا رجعنا الى نص الكتاب المقدس فى دانيال ٣ :٢٤ نرى نبوخذ نصر يحملق أكثر الى داخل الآتون وهو لا يكاد يصدق عينيه ، حتى إنه

(١) هو القمص بيشوى عبد المسيح وكيل مطرانية دمياط .

من هول المفاجأة نسى كافة الاعتبارات التى يفرضها عليه مركزه ، إذ كان قد تحطم كبرياؤه وإرتعدت أوصاله وفرائصه ، وكعبد صغير صرخ بدون وعى منه قائلا : انظروا ما هذا الشخص الرابع الذى يتمشى وسط الآتون؟ من الذى تسبحونه بفم واحد؟ صفوا لنا شكله وجمال منظره ، كى حينما نراه فى الجسد نعرفه من هذا أيتها الفتية التى إستعرضتم أمامه كل الخليقة دون أن تنسوا واحدا مما هو كائن أو مما كان؟ إنكم لم تمضوا سوى ساعة واحدة فى الاتون ولكنكم عرفتم الخليقة كلها . ولم يكن رابعهم هذه المرة دانيال ، لأن عودهم كان قد تصلب وإستطاعوا ان يثبتوا أمام تعنت الأمبراطور وتكلموا معه بشدة . لقد لازمهم رابع آخر هوأعظم من دانيال ، هو ابن الله ، كلمة الله ، ذاته -يقصد الله ذاته- وهو الذى تكلم بفمهم .)

(لأنه هو وحده الذى عرف كيف خلق العالم حتى يستعرض لنا الخليقة . وهو الذى أنقذ دانيال من جب الاسود . وهو الذى وعد انه ان إجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه يكون هو هناك فى وسطهم . وقال لا تخف لأنى معك . وقد أعطاهم أن الله بحضوره القدرة التى فوق الطبيعة ، للسير وسط النار كما أعطى لبطرس ان يمشى وسط الماء .... وملاك الفليقة كان وسط النار .... وقد وعدنا قائلا : انى معك لئلا يقع احد ليؤذيك ... وشعرة من رؤوسكم لا تسقط دون إذنى .)

(لقد ظهر السيد المسيح نفسه بهيئة ملاك ، وحوط الفتية القديسين كأبنائه تحت ذراعيه ، وغير طبيعة النار من الداخل الى ندى بارد ، وأظهر دينونة عادلة على الذين كانوا خارجا ، لأنه قال "بالكيل الذين به تكيلون يكال لكم") لو ٦ : ١٣ (فهو الذى أغرق المصريين فى البحر لأنهم ألقوا في النهر الضعان الذكور العبرانيين . وهو الذى دفعت اليه الدينونة كلها . فقد أمر نارا وكبريتا على سدوم وعمورة ، وأهلك سكانها من أجل شرورهم وإنحرافهم . . . .)

(أنه ظهر بشكل ملاك حزقيال الذى أخذ النار فى يديه ويضعها فى شفتيه . وهو الذى بعدما أخذ نارا إنتظره حتى يأمره الأب بإلقائها على العالم الشرير) (حزقيال ح . ١ ع ٢) .

(لقد خافت النار إذ رأته وإرتعدت لنوره لأنه فاقها شعاعا وإذ نزل فى وسط النار عرفته النار كسيد وهربت وإرتفعت خارج الآتون تسعا وأربعين ذراعا ، أما بداخله فكانت كنسيم ندى بارد . لأنه مزمع أن ينزل الى الجحيم ذاته ويكسر شوكته فلا تؤذه الموت الثانى .... رجالهم الأشداء دون هؤلاء الفتية الأتقياء الذين عبدوا اله اسرائيل ....)

(هكذا إنهزمت آلهة بابل (١ يوم وينو وموداح) حتى ان النار أحرقت (كما نزل الرب نفسه الى الجحيم وأخرج الذين كانوا من نسل آدم)

(لقد جاء كثيرون الي بابل وهم لا يعرفون شيئا عن الله الحقيقى ... ولكنهم عادوا من بابل وهم متأكدين أنه فوق العالى أعلى وهو الله ... ان الله القدوس أراد ان يخلص بابل بهذا الحادث ، لأن أرميا قال : خذوا بلساننا لجرحها تشفى) (أرميا ح ٥١ ع ٨) .

(فإنتهز الفرصة ليعلن لهم ذاته وقدرته لعلهم يؤمنوا به ...)

إنتهى كلام رجل الدين المسيحى ، وإن هذا الكلام ليضع أمامنا أكثر من ملاحظة :

الأولى :

ان حادث بابل ونبوخذ نصر قد وقع قبل ميلاد السيد المسيح بأكثر من ستة قرون ، ولم يكن السيد المسيح قد ولد بعد . فكيف ان الذى دخل النار مع الفتية الذين رفضوا الركوع لتمثال الذهب هو يسوع المسيح ولم يكن قد ولد بعد ولا بعث نبيا ، فهل كانت له كينونة قبل ميلاده ومجيئه؟ هذا كلام ليس له ما يؤيده .

الثانية :

انه قد نسب اليه انه "هو" الذى أغرق المصريين فى البحر عند

خروج اليهود من مصر ، لأنهم أمروا بإغراق صغارهم فى النهر . لقد حدث هذا فى عهد النبى موسى قبل ميلاد المسيح بثلاثة عشر قرنا على الأقل ، مما يثير أمامنا السؤال السابق هل كانت ليسوع المسيح كينونة وسلطة وقدرة قبل مولده بعشرات القرون؟

الثالثة :

انه قد فعل ذلك بالمصريين دفاعا عن اليهود الذين عبدوا اله اسرائيل ، وهو الذى قدر له أن يجئ للعالم ليخرج اليهود من ماديتهم وإنحرافهم عما شرع لهم . فكيف ان المسيح الذى جاء لرد اليهود لشريعة الله ، يدافع عنهم وينزل الضربات بأعدائهم؟

الرابعة :

هناك خلط فى نعت المسيح "بابن الله" . فهل هو فى عقيدة المسيحية ابن اله ، أم الله نفسه إذ لا يمكن أن يجتمع الابن والأب فى ذات واحدة .

ولقد فهم من نبوة دانيال أنه شبه الشخص الرابع الذى ظهر مع الفتية الثلاثة فى النار ، بأنه "إبن الآلهة" التى تفيد تعدد الآلهة ولم يقل "ابن الإله" الواحد ولكن اتباع المسيح ، قد إستندوا الى هذه النبوة وغيرها ، انه "ابن الله" بل وقد جاءوا على لسان المسيح قوله " ابحثوا فى الكتب ... لتقرأوا عنى" وهذا إيحاء بأن نبوة دانيال وغيرها تنطبق عليه وتخلع عليه تلك الصفة "ابن الله " .

وهنا يمكن ان نشبه ذلك بقصة شاب ذهب الى مجلس القضاء الأعلى وطالبهم بأن يعينوه قاضيا لأنه وجد بين أوراق أبيه خطابا من مستشار سابق أو وزير عدل سابق يتنبأ فيه إنه سيولد له إبن ينبغ فى القانون ويكون نابغة فى القضاء وتاريخ الخطاب من ثلاثين سنة مضت قبل ان يولد .

لقد قال لهم الشاب الذى لم يحصل على شهادة القانون لقد عثرت على هذا الخطاب فى مخلفات والدى . . . أليست هذه شهادة لى - وأنا ابنه الوحيد - انى سأبرز فى العلوم القانونية وانى سأكون حجة فى القضاء . وأليست هذه الشهادة صادرة من القاضى الكبير الملم بالقانون والمشهود له بالعدل والحكمة فى أحكامه ... الست موعودا اذن ان أكون قاضيا؟؟

أفيصبح هذا مسوغا يحتج به الابن أو يستند اليه فى أحقيته للتعيين قاضيا وهو لم يحصل على أى مسوغ يسوغ له ذلك؟؟

ان الإستناد الى نبوات الماضى تسقط بالأمر الواقع ، فماذا تجدى النبوات مع الواقع الفعلى .

وبالمثل ، فإن أولئك الذين يتمسكون بنبوات العهد القديم -وهو ليس يقينا ، ولا غيبا من السماء - وإنما من كتابة بشر حتى وان كانوا أنبياء ، أتاحت لهم سعة خيالهم ان يتنبؤا بنبوات ما وما كانوا يقصدون من ورائها شيئامعينا أو يروجون لفكرة ما ، ولكن بالقطع لم يتنبأوا بما هو فى عالم الغيب فمن ذا الذى يعلم الغيب الا الله وحده ولم يقم دليل مادى أو دليل عقلى بأن هذا الإيحاء هو من عند الله مالك الملك وعالم الغيب والشهادة .

واذا كان هؤلاء المتشيعون لألوهية المسيح ، قد أرادوا أن يحتجوا أمام اليهود ، بما جاء فى أسفار اليهود أنفسهم ، فإن ذلك أولا لا يصلح حجة أمام غير اليهود - وثانيا من قال ان ما قصدته تلك النبوات بأسفار اليهود وكتبهم - وقد جاءت رمزا غير صحيح العبارة - قد قصدت المسيح عيسى بن مريم بالذات وان كانت قد جاءت باسم "المسيا" أو "ابن الله" فهل قصد بذلك المسيح عيسى بن مريم نفسه؟؟

ولنرجع الآن الى ما كتبه السيد المهندس "أحمد عبد الوهاب" فى

كتابه "المسيح فى مصدر العقائد المسيحية" تحت عنوان خطأ الاستشهاد بالعهد القديم وهو يشير الى ان كتّاب الأناجيل قد ورد على لسانهم ان ما جاء بالعهد القديم المقصود به هو المسيح عيسى بن مريم .

فى بدء دعوته - المسيح - فانه جاء الى الناصرة حيث كان قد تربى ، ودخل المجمع الذى حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ . فدفع اليه سفر أشعياء النبى ولما فتح السفر وجد الموضع الذى كان مكتوبا فيه :روح الرب علىّ لأنه مسحنى لأبشر المساكين .أرسلنى لأشفى منكسرى القلوب ، لأنادى للمأسورين بالإطلاق ، وللعمى بالبصر ثم طوى السفر وسلمه للخادم وجلس . . . فأبتدأ يقول لهم " انه اليوم قد تم المكتوب فى مسامعكم" .

ولقد أعلن السيد المسيح بهذا ان رسالته تجد لهاسندا فى أسفار العهد القديم ، فليؤمن اليهود اذن بالدعوة وصاحبها حسبما جاء بسفر لوقا ح ٤ عبارة ١٦ وما بعدها . ذلك ما قاله كتاب الأناجيل ، وقالوا :

ان الرجوع الى إشارات العهد القديم وسيلة هامة يستعين بها السيد المسيح فى محاوراته مع تلاميذه وفى مواضع الجدل والتحدى الذى كان يلقاه من اليهود... وفى أحد المواقف قال مرة لتلاميذه عن اليهود الجاحدين : لقد تمت فيهم بنبؤة أشعياء القائلة : تسمعون سمعا ولا تفهمون ومبصرين تبصرون ولا تنطقون لأن قلب هذا الشعب قد غلظ (متى ح ١٣ ع ١٤-١٥) وقال لهم : فتشوا الكتب وهى تشهد لى (يوحنا ح ٥ ع ٣٩) .

وبالمثل كان تلاميذ المسيح يستخدمون ما يستشعرونه نبوءة أو رمزا للأحداث الهامة فى حياة المسيح باعتبار ذلك أقوى حجة يمكن إستخدامها فى إقناع اليهود . فلقد حرص كتبة أسفار العهد الجديد على الربط بين ما كان من أمر المسيح وما رأوه من نبوءات سبق أن تكلم بها أنبياء العهد القديم . ولقد كان متى أكثر كتبة الأناجيل حرصا على ذلك فلقد استخدم فى إنجيله عشر مرات صيغة يقدم بها للإستشهاد من العهد القديم تقول :

"وهذا كان لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل" .

وبجانب ذلك فإنه توجد مواضع كثيرة فى هذا الإنجيل نستطيع أن نجزم منها بأن متى كان يكتب وفى تفكيره احدى فقرات العهد القديم على الرغم من أنه لم يشر اليها صراحة ... وعلى سبيل المثال فان قول متى : إعطوه خلا ممزوجا بمرارة (متى ح ٢٧ ع ٣٤) يمكن مقارنته بما فى المزمور الذى يقول : يجعلون فى طعامى علقما وفى عطشى يسقوننى خلا (مزمور ٦٩ : ٢١)

كما بانجيل مرقص : اعطوه خمرا ممزوجا بمر ليشرب (مرقص ١٥ ع ٢٣) .

لقد أصبح واضحا ان العهد القديم لم يكن تجميعا لتنبؤات عن أحداث المستقبل يمكن أن تفهم فقط بعد أن تمضى عدة قرون ، بل ان كتبة أسفار العهد القديم كانوا يكتبون فى الواقع لمعاصريهم بالطريقة التى يفهمونها ويتكلمون عن أشياء يوحون بأنه من الممكن ان تحدث ايان حياتهم .

"لقد كان من المعتقد أن داود هو مؤلف المزامير ، وقد فهم المسيحيون كثيرا من الفقرات المذكورة فى المزامير التى يقرأونها المسيحيون بإعتبارها نبوءات عن "الميسيا" المنتظر كان معناها الأصلى مختلفا عما فهموه .

"لقد كانت المرحلة الأولى من المسيحية التى عاصرت المسيح وتلاميذه وتابعيهم تؤمن بأن المسيح ابن لآدم ، وعبد الله ، لكن العقيدة تطورت فيما بعد ، وأهملت ذلك ، وخلعت على المسيح ألقابا لاهوتية كان من أبرز نتائجها أن إنقسمت العقيدة الواحدة الى عقائد شتى وفلسفات متباينة .

النبوءات القديمة التى يستند اليها اتباع المسيح بانه قد أخبر بمقدمه

يحكى سفر أشعياء بالعهد القديم ما وصلت اليه مفاسد بنى اسرائيل ، مما أغضب الله عليهم ، فشاءت ارادته أن ينتقم منهم ، ثم يرسل اليهم رسولا مصلحا :

وتلك هى رؤيا اشعياء ، أو نبوءته :

(ح ١) : (رؤيا إشعياء بن آموص التى رآها على يهوذا وأورشليم فى أيام عزيا ويوثام وآخار وحزقيا ملوك يهوذا) (اسمعى ايتها السماوات واصغى أيتها الارض لأن الرب يتكلم : ربيت بنين ونشأتهم أما هم فعصوا على . الثور يعرف قانيه ، والحمار معلف صاحبه ، أما اسرائيل فلا يعرف . شعبى لا يفهم . ويل للأمة الخاطئة . الشعب الثقيل الاثم ، نسل فاعلى الشر . أولاد مفسدين تركوا الرب استهانوا بقدوس اسرائيل ... ارتدوا الى الوراء ... ازدادوا زيغانا . كل الرأس مريض وكل القلب سقيم . من أسفل القدم الى الرأس ... بلادكم خربة . مدنكم محرقة بالنار . أرضكم تأكلها غرباء قدامكم وهى خربة كأنقلاب الغرباء.... لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة ....)

(كيف صارت القرية الآمنة زانية . ملآنة حقا كان العدل يبيت فيها وأما الان فالقاتلون صارت فضتك زغلا وخمرك مغشوشة بماء . رؤساءك متمردون ولغفاء لصوص . كل واحد منهم يحب الرشوة ويتبع العطايا . لا يقضون لليتيم ودعوى الارملة لا تصل اليهم .)

ويستمر هذا السفر حتى الاصحاح الخامس يحكى مثالب شعب اسرائيل وخروجه عن طاعة ربه .... (من أجل ذلك حمى غضب الرب على شعبه ومد يده عليه وضربه حتى أرتعدت الجبال وصارت جثثهم كالزبل فى الازقة . مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد ... إذا غسل السيد قذر بنات صهيون ونقى دم أورشليم من وسطها بروح القضاء وبروح الإحراق ، يخلق

الرب على كل مكان من جبل صهيون وعلى محفلها سحابة نهاراً ودخاناً ولمعان نار ملتهبة ليلاً ...

(ح ٦) : (فقلت ويل لى انى هلكت لأنى انسان نجس الشفتين وأنا ساكن مع شعب نجس الشفتين .... ثم سمعت صوت السيد قائلا من أرسل ومن يذهب من أجلنا . فقلت هاأنذا ارسلنى . فقال اذهب وقل لهذا الشعب أسمعوا سمعا ولا تفهموا . وأبصروا ابصارا ولا تعرفوا . غلظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه وأطمس عينيه لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفى . فقلت الى متى أيها السيد فقال الى أن تصير المدن خربة بلا ساكن والبيوت بلا انسان وتخرب الارض وتقفر ويبعد الرب الانسان ويكثر الخراب فى وسط الارض ، وان بقى فيها عشر بعد فيعود ويصير للخراب .)

(ح ٧) : (ثم عاد الرب فكلم آجاز قائلا : اطلب لنفسك آية من الرب الهك . عمق طلبك أو رفعه الى فوق . فقال آجاز لا أطلب ولا أجرب الرب . فقال : اسمعوا يا بيت داود . هل هو قليل عليكم أن تضجروا الناس حتى تضجروا الهى أيضا . ولكن يعطيكم السيد نفسه آية . ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعوا اسمه عمانوئيل زبداً وعسلا يأكل متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير) .

بمثل هذه النبوءة بسفر أشعياء بالعهد القديم يستند أتباع المسيح بأنه قد أخبر به وأنه هو المقصود هنا ، ويأخذون منها سندا بألوهيته وانتسابه للاهوت!!! ولكن دعنا نكمل هذا الاصحاح والذى بعده ، ونربط بينهما لنرى اذا كان هذا ينطبق فعلا على السيد المسيح ، وأن هذه نبوءة نبى موحى اليه من الغيب ، أم هى مجرد أمنية يتمناها مصلح أضجرته هموم قومه وآثامهم .

(يجلب الرب عليك وعلى شعبك وعلى بيت أبيك أياما لم تأت منذ يوم اعتزال أفرايم عن يهوذا أى ملك آشور ويكون فى ذلك اليوم أن الرب يصفر للذباب الذى فى أقصى ترع مصر وللنحل الذى فى أرض آشور فتأتى وتحل جميعها فى الاودية الخربة وفى شقوق الصخور وكل غاب الشوك وفى كل المراعى .... فى

ذلك اليوم يحلق السيد بموسى مستأجرة فى عبر النهر بملك آشور الرأس وشعر الرجلين وتنزع اللحية أيضا . ويكون فى ذلك اليوم ان الانسان يربى عجلة بقر وشاتين . ويكون أنها من كثرة صنعها اللبن يأكل زبدا . . . بالسهام والقوس يؤتى الى هناك لأن كل الأرض تكون شوكا وحسكا . وجميع الجبال التى تنقب بالمعول لا يؤتى اليها خوفا من الشوك والحسك فتكون لسرح البقر ولدوس الغنم....)

ويستمر الاصحاح الثامن من سفر أشعياء :

(وقال لى الرب : خذ لنفسك لوحا كبيرا واكتب عليه بقلم انسان "لمهير شلال حاش بز" وان أشهد لنفسى شاهدين أمنين أوريا الكاهن وزكريا أبن يبرخيا ... فإقتربت إلى النبية فحبلت وولدت ابنا - ولا ندرى هل النبية المقصودة هنا هى زوجته؟ - فقال لى الرب ادعى اسمه "كهير شلال حاش بز" لانه قبل ان يعرف الصبى ان يدعو يا أبى ويا أمى تحمل ثورة دمشق وغنيمة السامرة قدام ملك آشور..... فأصطبر للرب الساتر وجهه عن بيت يعقوب وانتظره . ها أنذا والاولاد الذين أعطانيهم الرب آيات وعجائب فى اسرائيل من عند رب الجنود الساكن فى جبل صهيون) .

وفى الاصحاح التاسع :

(الشعب السالك فى الظلمة أبصر نورا عظيما . الجالسون فى الارض ظلال الموت أشرف عليهم نوره . اكثرت الامة عظمت لها الفرح . يفرحون أمامك كالفرح فى الحصاد . كالذين ينهجون عندما يقتسمون غنيمة ... لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الها قديرا أبا أبديا رئيس السلام . لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الان الى الابد غيرة رب الجنود تضع هذا) .

وفى الاصحاح الحادى عشر :

(ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله ، ويحل عليه روح الرب الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب ولذته تكون فى مخافة الرب فلا يقضى حسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع اذنيه ، بل يقضى

بالعدل للمسكين ويحكم بالانصاف لبائسى الارض ويضرب الارض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفتيه ، ويكون البر منطقة متنيه والامانة منطقة حقوية) .

هذا كلام يمكن أن ينطبق على أى نبى أو رسول من لدن الله ، يلهمه الحكمة والرحمة للضعفاء ولكن الفقرة التالية ، تحمل فى طياتها أملا وأمنية بعيدة التحقيق .

(فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدى والعجل ، والشبل والمسمن معا ، وصبى صغير يسوقها والبقرة والدبة ترعيان . تربض أولادها معا والاسد كالبقر يأكل تبنا ويلعب الرضيع على سرب الصل ويمد الفطيم يده على جحر الافعوان . لايسوءون ولا يفسدون فى كل جبل قدسى لان الارض تمتلئ من معرفة الرب . كما تغطى المياه البحر . ويكون فى ذلك اليوم أن أصل يسى القائم راية للشعوب اياه تطلب الامم ويكون محله مجدا)

(ويكون فى ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانية ليقتنى بقية شعبه من أشور ومن مصر ومن فتروس ومن كوش ومن عيلام ومن شنعار ومن حماة ومن جزائر البحر ويرفع راية للامم ويجمع منفيى اسرائيل ويضم مشتتى يهوذا من أربعة أطراف الارض ، فيزول حسد أفرايم وينقرض المضايقون من يهوذا ، وينقضان على اكتاف الفلسطينيين غربا وينهبون بنى المشرق معا ....)

ونلاحظ أن هذا الكلام قد كتب خلال سبى اسرائيل وتغرب اليهود عن أرض فلسطين وتمنياتهم ليس بالعودة فقط الى أرض فلسطين ، بل وأيضا الانتقام من الشعوب التى غلبتهم وقهرتهم .

فاذا كانت تلك النبوءات تشير الى مجئ المسيح - وقد تحققت بمولده - فاين اذن سكن الذئب مع الخروف ونام النمر مع الجدى والعجل ، وأين هو السلام والمحبة بين الاسد والبقر ، وبين الطفل الفطيم والحية الرقطاء... الى آخر ما جاء فى هذه النبوءة من احلام وأوهام وتخيلات!!!

ويجئ سفر دانيال بعد ذلك فى العهد القديم ، فيشير الى أحلام كثيرة ذات صور مختلفة من الكباش والتيوس ذوات قرون متعددة أقرب الى اضغاث الاحلام ، واذا به يفسر تلك الاحلام ويسقطها على ممالك بالشرق والغرب تسقط ويزول سلطانها ، ثم يشير فى الاصحاح السابع الى ما يأتى نصه :

(كنت أرى فى رؤى الليل ، واذا مع سحب السماء مثل ابن انسان أتى وجاء الى القديم الأيام فقربوه قدامه ، فأعطى مجدا وسلطانا وملكوتا لتقيد له كل الشعوب والأمم والألسنة ، سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول ومملكته ما لن ينقرض)

فاذا ما رجعنا الى مزامير داود ، نجد فى المزمور الأول :

(طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الاشرار وفى طريق الخطأة لم يقف ، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس . لكن فى ناموس الرب مسرته وفى ناموسه يلهج نهارا وليلا ، فيكون كشجرة مغروسة عند مجارى المياه التى تعطى ثمرها فى أوانه وورقها لا يذبل ، وكل ما يصنعه ينجح . ليس كذلك الاشرار ، لكنهم كالعصافة التى تذريها الريح ، لذلك لا تقوم الاشرار فى الدين ولا الخطاة فى جماعة الابرار ، لأن الرب يعلم طريق الابرار ، أما طريق الاشرار فتهلك)

وفى المزمور الثانى :

(لماذا ارتجت الأمم وتتفكر الشعوب فى الباطل . قام ملوك الارض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه قائلين لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما . الساكن فى السموات يضحك . الرب يستهزئ بهم . حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه . أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى . انى أخبر من جهة قضاء الرب . قال لى أنت أبنى أنا اليوم ولدتك اسألنى فاعطيك الامم ميراثا لك وأقاصى الارض ملكا لك . نحطمهم بقضيب من حديد مثل اناء خزاف تكسرهم . فالآن ايها الملوك اتعقلوا . تأدبوا يا قضاة الارض . اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة . قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا فى الطريق لانه عن قليل ينفد غضبه . طوبى لجميع المتكلبين عليه)

ويرد فى المزمور العاشر :

(يارب لماذا تقف بعيدا . لماذا تختفى فى ازمنة الضيق . فى كبرياء الشرير يحترق المسكين . يؤخذون بالمؤامرة التى فكروا بها ، لان الشرير يفتخر بشهوات نفسه ، والخاطف يجدف يهين الرب الشرير حسب تشامخ أنفه يقول لا يطالب . كل افكاره انه لا اله . قم يا رب . يا الله ارفع يدك . لا تنسى المساكين . لماذا أهان الشرير الله .... اليك يسلم المسكين أمره . انت صرت معين اليتيم احطم ذراع الفاجر . والشرير تطلب شره ولا تجده)

وفى المزمور الثالث عشر :

(الى متى يارب تنسانى كل النسيان . الى متى تحجب وجهك عنى ، الى متى أجعل هموما فى نفسى وحزنا فى قلبى كل يوم . الى متى يرتفع عدوى على . انظر واستجب لى يا رب الهى . أنر عينى لئلا أنام نوم الموت . لئلا يقول عدوى قد قويت عليه . لئلا يهتف مضايقى انى تزعزت . أما أنا فعلى رحمتك توكلت . ينهج قلبى بخلاصك . أغنى للرب لأنه أحسن الى)

على هذا النسق والمنوال سارت مزامير داود ، كلمات أديب فيها مناجاة لربه ، واستنجاد به لينصره على اعدائه . ولكن انظر الى هذا المزمور الثانى والعشرين ، وكأنما هو يعتب على ربه : وقارنه بما جاء فى الاناجيل عن المسيح :

(الهى الهى لماذا تركتنى بعيدا عن خلاصى عن كلام زفيرى . الهى فى النهار أدعوا فلا تستجيب فى الليل أدعوا فلا هدوء لى . وأنت القدوس الجالس بين تسبيحات اسرائيل . عليك اتكل أباؤنا . اتكلوا فنجيتهم . اليك صرخوا فنجوا . أما أنا فدودة لا انسان . عار عند البشر ومحتقر الشعب . كل الذين يروننى يستهزؤن بى . يغفرون الشفاة وينفضون الرأس قائلين اتكل على الرب فلينجه . لينقذه لأنه سر به .... لاتتباعد عنى لان الضيق قريب لانه لا معين....)

وقارن هذا باستنجاد المسيح وهو على الصليب قائلا :

(ايلى ايلى لما شبقتنى ... اى الهى الهى لماذا تركتنى...) متى اصحاح ٢٧ ع ٤٦- ومرقس ١٥ ع ٣٤ .

(ونادى يسوع بصوت عظيم وقال : يا أبتاه فى يدك استودع روحى ...) لوقا ح ٢٣ع ٤٦

ومن هذه النبوءات ، يقول أحد المتشيعين للمسيح[١] فى كتاب عن حياة المسيح : وتحت فصل بعنوان : "الوحيد الذى أنبئ قبل مجيئه" قال :

"ان التاريخ ملئ بالمدعين الذين زعموا أنهم الهة ، أو على الاقل أنهم جاءوا من السماء من عند الله . ولكن كيف نستطيع أن نعلم ما إذا كانوا فى هذا الذى زعموا صادقين؟

هناك حكمان نستطيع أن نحتكم اليهما : هما حكم المنطق وحكم التاريخ . فاذا احتكمنا الى المنطق - العقل - وجدنا أنه يقضى بوجود سند يجب أن يستند اليه فى دعواه ذاك الذى قد أدعى انه من السماء قد جاء ، كالانباء المسبق عن مجيئه وعن زمن هذا المجئ وعن علامته ومواطن ميلاده وعن هؤلاء الذين سوف يبعث منهم وعن الذى سوف تدور حوله رسالته اليهم ، وعن هؤلاء الذين سوف يهاجمونه منهم أو يناصرونه وعن الاسلوب الذى سوف تكون عليه نهايته . فما لم ينبئ الله عن هذا- كله أو بعضه- فلن يكون للمدعى من سند أو معين .

"والامر مع المسيح لم يكن دعوى أو ادعاء . فقد جعلت نبوءات العهد القديم مجيئه أمراً متوقعاً من كل يهودى وينظر اليه فى رجاء - وبوده لو

(١) فولتون شين وهو اسقف كاثولكى كتب كتابا بعنوان "حياة المسيح" كله مناجاة للمسيح وتبتل وتقديس - ترجمة نجيب غالى .

يحدث مجيئه أبان حياته ، وأقصى ما كان يرنو اليه او يحلم به يهودى أن يكون "المسيا" القادم من سبطه أو من عشيرته ... فالنبوءات عن المسيح كانت تترى وتتوالى ، ويأخذ بعضها برقاب بعض!!! بحيث استطاع المسيح - والمسيح وحده دون الاخرين - أن ينصح سامعيه أن يفتشوا الكتب حيث سيتم جميع ما هو مكتوب عنه فى ناموس موسى والانبياء والمزامير... "

وان ما أثاره فولتون شين بعد ذلك من أسانيد مستوحاة من العهد القديم بالكتاب المقدس ، انما تصلح حجة - فقط - فى مواجهة كاتبى ذلك الكتاب المقدس وعهده القديم والمؤمنين به دون غيرهم ، هذا ان صح ان ما ورد بهذه الاسفار يعنى المسيح عيسى بن مريم حينما ذكر فى بعض مواضعه :

- ها العذراء تحبل وتلد ابنا "وتدعوا اسمه عمانويل" وليس عيسى .
- يعطيكم السيد نفسه آية . "يقصد اله اسرائيل" . اشعياء ح ٧
- لانه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفيه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الها قديرا أبا ابديا رئيس السلام . أشعياء ح ٩
- ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من اصوله ويحل عليه روح الرب الحكمة والفهم . أشعياء ح ١١

وكذلك ما جاء فى سفر دانيال فهو يتعلق باحلام ورؤى كان يراها فى منامه تتعلق بحيوانات وكباش وغمور ذات قرون عديدة ، فسرها هو نفسه بأنها اشارة الى بعض الدول الكبرى المعاصرة لدولة اليهود والتى كانت تتبادل السيطرة على اليهود ، فكأنما عقله الباطن أو الواعى يتطلع الى أن تنتهى تلك السيطرة وهذه السطوة على دولة اليهود ، فهى قد تكون ان صحت - اضغاث أحلام ، أو هى بالكثير تطلعات ورؤى وآمال للخلاص من سيطرة دولة كبرى أقوى من اسرائيل تبادلت غزوها أو مارست النفوذ عليها . أما ما كان بالمزامير فهو كلام مرسل ومناجاة على لسان داود لربه فى ساعات ضيق كان يخشى فيها سطوه عدوه شاؤول ثم يستعرض أحوال اسرائيل وملوكها وما بينهم من تناحر وتنافس ثم هى فى اكثرها أغانى

وترنيمات يتغنى بها داود أو كتبت على لسانه وليست قولا مقدسا أو وحيا من السماء حجيته بما لايقبل الدحض أو النقض ، بل لقد أصبح معلوما الان أن كثيرا من المزامير لم يكتبها داود ، بل هى من نتاج عصر متأخر واذا كان كل ما ورد فى الكتاب المقدس (مقدسا) فما القول فيما ورد بسفر نشيد االانشاد المنسوب الى سليمان الملك ابن داود وكله غزل صارخ ومناجاة جنسية مكشوفة تتناول كل مفاتن المرأة ، واليك بعض الامثلة :

(ح ١) : نشيد الانشاد :

(ليقبلنى بقبلات فمه لان حبك أطيب من الخمر . لرائحة أدهانك الطيبه... لذلك أحبتك العذارى . أجذبنى ورائك فنجرى ... أدخلنى الملك الى حجاله . نبتهج وتفرح بك نذكر حبك أكثر من الخمر . بالحق يحبونك ... انا سوداء يا بنات أورشليم كخيام قيدار كشقق سليمان لا تنظرن الى لانى سوداء لان الشمس قد لوحتنى ... اخبرنى يا من تحبه نفسى أين برغى ، أين تربض عند الظهيرة . لماذا أنا أكون لمنعه عند قطعان أصحابك ... ان لم تعرفى أيتها الجميلة بين النساء فاخرجى على آثار الغنم وارعى جداءك عند مساكن الرعاة . لقد شبهتك يا حبيبتى بفرس فى مركبات فرعون . ما أجمل خديك بسوط وعنقك بقلائد ، تصنع لك السلاسل من ذهب مع حمان من فضة . مادام المجلس فى مجلسه أفاح نلع دينغ رائحته . صبره المر حبيبى لى . بين ثديى يبيت . ها أنت جميلة يا حبيبى وحد سريرنا أخضر ...)

(ح ٢) :

(أنا نرجس شارون سوسنة الاودية - كالسوسنة بين الشرك كذلك حبيبى بين النبات . كالتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبى بين البنين . تحت ظله اشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة الحلقى . أدخلنى الى بيت الخمر وعلمه فوقى محبة ... أسندونى بأقراص الزبيب أنعشونى بالتفاح فانى مريضه حبا ... شماله تحت رأسى ويمينه تعانقنى . أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقول ألا تيقظن ولاتنبهن الحبيب حتى يشاء . أجاب حبيبتى وقال لى قومى يا حبيبتى يا جميلتى وتعالى ...)

(ح ٣) :

(فى الليل على فراش من تحبه نفسى . طلبته فما وجدته . انى أقوم وأطوف فى المدينة فى الاسواق وفى الشوارع وأطلب من تحبه نفسى . طلبته فما وجدته... فما جاوزتهم الا قليلا حتى وجدت من تحبه نفسى فأمسكته ولم أرخه حتى أدخلت بيت أمى وحجرة من حبلت بى ... اخرجن يا بنات صهيون وأنظرن الملك سليمان بالتاج الذى توجته به أمه فى يوم عرسه وفى يوم فرح قلبه .)

(ح ٤) :

(ها أنت جميلة يا حبيبتى ها أنت جميلة . عيناك حمامتان من تحت نقابك . شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعاد . أسنانك كقطيع الجزائر الصادرة من الغل وليس فيهن عقيم . شفتاك كسلسلة من الكرمز وفمك حلو جذعك كفلقة رمانة تحت مقابك . عنقك كبرج داود المنى للاسلحة . ثدياك كخشفتى ظبية توأمين يرعيان بين السوسن . شفتاك يا عروس تقتران شهدا تحت لسانك عسل ولبن ورائحة ثيابك كرائحة لبنان ... ابتيقظى يا ريح السمل وتعالى يا ريح الجنوب . هى على جنتى فتقطر أطيابها . ليأت حبيبى الى جنته ويأكل ثمرة النفيس .

(ح ٥) :

(قد دخلت جنتى يا أخت العروس . قطفت مرى مع طيبى . أكلت شهدى مع عسلى . شربت خمرى مع لبنى . كلوا أيها الاصحاب اشربوا واسكروا أيها الاحبة... أنا نائمة وقلبى مستيقظ . صوت حبيبى قارعا : افتحى لى يا أختى يا حبيبتى يا يمامتى يا كاملتى لأن رأسى امتلأ من الطل وقصصى من ندى الليل ... قد خلعت ثوبى فكيف البسه . قد غسلت رجلى فكيف أوسخها... احلفكن يا بنات أورشليم أن وجدتن حبيبى ان تخبرنه انى مرضة حبا . حبيبى ان تخبيرنه .)

(ح ٧) :

(ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم ... دوائر فخذيك مثل الحلى صنعه

يدى صناع . سرتك كأس ممدودة لا يعوزها شراب ممزوج . بطنك حنطة مسيجة بالسوسن . ثدياك كخسفتين توأمى ظبية . عنقك كبرج من عاج ... عيناك ... أنفك ... رأسك ... ما أجملك وماأحلاك يا حبيبتى بالذات .... وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ، ورائحة أنفك كالتفاح وحنكك كأجور الخمر ...

(ح ٩) :

(ليتك كأخ لى الرضع شركى أمى فأجدك فى الخارج وأقبلك ولا يخزوننى . وأقودك وأدخل بك بيت أمى . وهى تعلمنى فأسقيك من الخمر الممزوجة من سلاف رومانى . شماله تحت رأسى ويمينه تعانقنى ... أجعلنى كخاتم على قلبك كخاتم على ساعدك لان المحبة قوية كالموت .... الغيرة قاسية كالهاوية . لهيبها لهيب نار لظى الرب . مياه كثيرة لا تستطيع ان تطفئ المحبة والسيول لا تغمرها ... ان أعطى الانسان كل ثورة بيته بدل المحبة تحتقر احتقارا ...)

ذلك هو بعض ما ورد فى سفر نشيد الاناشيد ، ولا ندرى هل كان عن لسان سليمان الملك ، أم هو غزل وتشبيب فيه من بعض عاشقاته ، وهل كان جديرا به أن يضمن فى الكتاب المقدس ، ذلك الذى يتسهد به أو بعض ما ورد به من نبوءات ... كدليل وسند على بنوة عيسى لله ...

وليس هذا اعتراضا على طريقة ميلاد المسيح ، فقد أنبأنا بها القرآن الكريم ، ولكن الاعتراض هو على توكيد انه "ابن الله" فالله ليس له ولد وهو القائل سبحانه :

"قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ."

أما ما ورد من تنبوءات على لسان أشعياء أو دانيال أو مزامير داود أو غيرهم من الانبياء عن حبل العذراء ووضعها ولدا بلا أب من البشر ، فلا نعتقد أن ذلك قد جاء بايحاء من الغيب ، ينبئ عما سوف يحدث فى مستقبل الايام ، وانما هو- ان كان صحيحا وروده على لسان من أسند اليه

- لا يعدو أن يكون تطلعا أو حلم يقظة أو مشهدا خياليا بعيد التحقيق مثال ذلك مثل من يحكم بأن الانسان يمكن أن يستعين بجناحين يطير بهما كالطيور فى السماء ، دون الاستعانة بطائر أو منطاد أو طبق طائر ، أو الذى أراد أن ينفذها يوما وراح ضحيتها - عباس بن فرناس هذا قد أوحى اليه بها من السماء؟

واذا كان البشر يتوقون الآن للنزول فوق الكواكب الاخرى - وتحقق هذا يوما ما - ايكون ذلك بايحاء من السماء؟

انما هى افكار أو خواطر قد راودت بعض الناس ، ممن تركوا لافكارهم العنان ، فأذا قدر لها أن تتحقق ، فانما يكون ذلك وليد بصيرة نافذه او خيال جامح ، شاء الله له أن يتحقق فى قادم الايام ، دون أن يكون لصاحبه قدسيه ما ، وكم من شاعر ماجن ، أو كاتب داعر ، قد ترك لفكره العنان ، واورد حلما حلم به او امنية تمناها وشاء الله لها فيما بعد أن تتحقق ، فهل كان ذلك من قبيل البصر النافذ ، او الاطلاع على الغيب أم كان ذلك مجرد ضرب عشواء ، وقديما قالوا : كذب المنجمون وان صدقوا ، او ما معناه ، لم يصدق المتنبؤن وان تحققت نبوءاتهم بالصدفة .

الفصل الخامس

تعدد الاناجيل

- اناجيل معترف بها : متى و لوقا و مرقص و يوحنا .
- انجيل غير معترف به : برنابا .
- ما ورد بالاناجيل ليس حجة على عيسى عليه السلام .
- مأساوية الدين المسيحي واسباب تأخر تدوين الاناجيل .

تعــدد الأناجيــل :

وفى حين يذكر القرآن الكريم ان هناك إنجيل واحد أنزله الله على نبيه ورسوله عيسى عليه السلام ، نجد ان الكنيسة قد أقرت أربعة أناجيل من بين العديد من الأناجيل التى ظهرت كل منها يخالف الآخر وما هى فى واقع الامر الا كتب قد كتبها كتاب آمنوا بعيسى عليه السلام ثم دفعهم إيمانهم الى التطرف والتشيع الى درجة التعصب . أما ما قيل من انها كتب موحى بها من عند الله فهو الهراء بعينه اذ لو كانت كذلك لوجدناها لغة واحدة متطابقة متجانسة "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافا كبيرا" .

فرسالة المسيح رسالة سماوية علوية أرسلها الله لعباده عن طريق واحد من أنبيائه - بل ومن أبرز أنبيائه أولى العزم - ولكن الناس إنحرفوا بالدعوة عن مسارها الصحيح ، فقد أرسل الله نبيه عيسى الى بنى اسرائيل - وهو فى الاصل منهم نشأ من بيئتهم ومن وسطهم فهو من ذرية داود كما يشير الى ذلك مرارا ، بل لقد جاء على لسانه "ما أرسلت الا للخراف الضالة من بيت اسرائيل ، وذلك حين جاءته إمرأة كنعانية -فنيقية سورية- تسأله ان يخرج الشيطان من إبنتها ، فقال لها : دعى البنين أولا يشبعون لأنه ليس حسنا ان يؤخذ خبز البنين ويلقى للكلاب ، وهو يشير بهذا الى ان بركاته مخصصة لبنى اسرائيل فليس من حقه ان يوزعها على غيرهم" - مرقس ح ٧ ع ٢٧ - وفى قوله "ماجئت لأنقض الناموس ولكن لأكمله" وعلى هذا فإن رسالة المسيح رسالة جزئية وليست شمولية قصد بها اليهود دون غيرهم .

وسنفرد فيما بعد جزءا خاصا نتكلم فيه عن كيف إنحرف دعاة المسيحية عن الرسالة الاساسية للمسيح ، وكيف ان أحد اليهود المتعصبين ضد المسيح وهو شاؤل المعروف بعد ذلك باسم بولس الرسول - وقد تظاهر بالدخول فى المسيحية ليهدمها من الداخل ويطمس معالم الرسالة التى نادى بها عيسى ، وان بولس هذا هو الذى أدخل على المسيحية إضفاء

الالوهية على المسيح بأنه ابن الله ثم بعد ذلك انه هو والله شئ واحد عله يهدم العقيدة من أساسها ولكن من عجب ان هذه الفكرة الدخيلة المخترعة قد وجدت عند المتشيعيين صدى واستعدادا فتحورت العقيدة الوحدوية الى عقيدة ثالوثية وما قيل من ان المسيح ذو طبيعتين ناسوتية ولاهوتية وهو أمر يتنافى كل المنافاة مع المنطق السليم ، وينحرف عن العبودية لله الواحد انحرافا كبيرا هو الكفر بعينه حيث يقول الله تعالى صراحة فى قرآنه الكريم "لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذى كفروا منهم عذاب أليم" (المائدة : ٧٣) .

ولقد سارت الاناجيل على هذا النهج ، فهى تصف المسيح مرة بانه ابن داود ومرة بأنه ابن الله ومرة بانه ابن الانسان ، أما الاناجيل التى خالفت ذلك فقد طمستها الكنيسة ودشتتها ومن ذلك إنجيل برنابا على سبيل المثال . وسواء كان الانجيل المعروف باسم برنابا هو من كتابة برنابا الحوارى تلميذ المسيح أو من كتابة غيره كما يقول بذلك مريدو الاناجيل الاخرى ، فاعتقادنا هو ان الاناجيل كلها من كتابة البشر واتخذوا هذا الاسم إفتعالا للإيحاء بقدسيتها ، وما الاختلافات الكبيرة بينها وبين بعضها الا ناقضة لها جميعا .

مولد المسيح فى انجيل متى :

ويقول متى فى إنجيله :

(أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل ان يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس ، فيوسف رجلها اذ كان بارا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا . ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور اذا ملاك الرب ظهر له فى حلم قائلا يا يوسف بن داود ، لا تخف أن تأخذ مريم إمرأتك ، لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس فستلد إبنا وتدعو إسمه يسوع لأنه مخلص شعبه من خطاياهم . وهذا كله كان لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل :هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره "الله معنا") .

(فلما إستيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ إمرأته فلم يعرفها - أى لم يعاشرها - حتى ولدت ابنها البكر . ودعا اسمه يسوع)

الإصحاح الأول ع ١٩ وما بعدها

مولده فى انجيل لوقا :

وأما لوقا فيقول فى إنجيله :

(وفى الشهر السادس - من حمل الياصابات بيوحنا - أرسل جبرائيل الملاك من الله الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم . فدخل اليها الملاك وقال : سلام لك أيتها المنعم عليها . الرب معك . مباركة أنت فى النساء .)

(فلما رأته إضطربت من كلامه وفكرت ما عسى ان تكون هذه التحية . فقال لها الملاك : لا تخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة من عند الله . وها أنت ستحبلين وتلدين إبنا وتسمينه يسوع . هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الاله كرسى داود أبيه . ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه نهاية .)

(فقالت مريم للملاك : كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا . فأجاب الملاك وقال لها : وهو ذا اليصابات نسيبتك -فى الواقع هى خالته[١]-هى أيضا حبلى بإبن فى شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا . لأنه ليس شئ غير ممكن لدى الله . فقالت مريم : هوذا أنا أمة الرب . ليكون لى كقولك فمضى من عندها الملاك .)

(فقامت مريم فى تلك الأيام وذهبت بسرعة الى الجبال الى مدينة يهوذا . ودخلت بيت زكريا وسلمت على اليصابات . فلما سمعت اليصابات سلام مريم إرتكض الجنين فى بطنها -المقصود هنا يحيى- وإمتلأت اليصابات من الروح القدس . وصرخت بصوت عظيم وقالت : مباركة أنت فى السماء . ومباركة هى ثمرة بطنك . فمن أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ .فهوذا حين صار صوت سلامك فى أذنى إرتكض الجنين بإبتهاج فى بطنى . فطوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب .) لوقا ح ١ ع ٢٦ وما بعدها .

وهنا يثور سؤال : أنىّ لا يصابات أن تعلم أن مريم حامل وهى عذراء وأن ما فى بطنها هو من الروح القدس وانه ابن الرب حين قالت لمريم : فمن لى هذا أن تأتى أم ربى الى ولم يكن حمل مريم وقد علم بعد .

(فقالت مريم : تعظم نفس الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى . لأنه نظر الى اتضاع أمته . فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى ، لأن القدير صنع بى عظائم واسمه قدوس . ورحمته الى جيل الأجيال الذين يتقونه . صنع قوة بذراعه . شتت المتكبرين بفكر قلوبهم . أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتضيعين أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين . عضد اسرائيل فتاه ليذكر رحمة كما كلم آبائنا . لابراهيم ونسله الى الأبد . فمكثت مريم عندها نحو ثلاثة شهور ثم رجعت الى بيتها) لوقا ٤٦ وما بعدها

---

(١) فى الواقع هى خالتها لان اليصابات زوجة زكريا هى اخت حنة ام مريم وزوجة عمران كما جاء فى الكتاب المقدس فما بينهما قرابة وليس نسب .

وهذا ما ورد بالإصحاح الأول من إنجيل لوقا ، ثم تستكمل الرواية فى الإصحاح الثانى :

(وفى تلك الأيام صدر أمر من أغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة وهذا الاكتتاب الأول جرى اذ كان كيرينيوس والى سورية . فذهب الجميع ليكتتبوا كل واحد الى المدينة فصعد يوسف أيضا من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التى تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ليكتتب مع مريم إمرأته المخطوبة وهى حبلى . وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد ، فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته فى المذود اذ لم يكن لها موضع فى المنزل .)

(وكان فى تلك الكورة رعاة مبتدئين يحرسون حرسات الليل على رعيتهم وإذ ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم فخافوا خوفا عظيما . فقال لهم الملاك لا تخافوا أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب . أنه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب . وهذه لكم العلامة تجدون طفلا مقمطا مضجعا فى مذود . وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين :

(المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة .)

لوقا ح ٢ ع ١ - ع ١

(ولما تمت ثمانية أيام ليختتنوا الصبى سمى يسوع كما تسمى من الملاك قبل ان حبل به فى البطن .) لوقا ع ٢١

(ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى صعدوا به إلى أورشليم ليقدموه للرب ، كما هو مكتوب فى ناموس الرب . زوج يمام أو حمام .)

(وكان رجل فى أورشليم يسمى سمعان وهذا الرجل كان بارا تقيا ينتظر تعزية اسرائيل والروح القدس كان عليه . وكان قد أوحى اليه بالروح القدس أنه لا

يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب . فأتى بالروح الى الهيكل وعندما دخل بالصبى يسوع "أبواه" ليصنعا له حسب عادة الناموس أخذه على ذراعه وبارك الله وقال : الآن تطلق عبدك يا سيد[١] حسب قولك السلام . لان عينى قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته قدام وجه جميع الشعوب . نور أعلام للأمم ومجدا لشعبك اسرائيل .)

لوقا ٢٢ - ٣٢

إنجيلا مرقص ويوحنا :

هذا ما جاء فى إنجيلى متى ولوقا ، أما إنجيلى مرقس ويوحنا فلم يرد بهما شئ عن حمل العذراء وولادتها وعن طفولة المسيح ، وإنما تكلما عن المسيح ، وهو شاب يافع يعمده يوحنا .

---

(١) اى يحق له ان يموت الان .

ما ورد بالاناجيل ليس حجة على عيسى عليه السلام :

من المعلوم ان ما ورد بالاناجيل ليس كلام عيسى عليه السلام ، ولا كلام الله خالقه وإنما هو باعتراف كاتبيه من كتابة البشر ، فانجيل متى كتبه متى العشار اليهودى الأصل لهذا فهو يربط بين عهد عيسى - المعبر عنه بالعهد الجديد - وبين العهد القديم الذى يحوى كتب "التوراة" المصطنعة والأسفار الملحقة بها كما يحوى المزامير التى كتبها داود عليه السلام ، أو كتبها محررو التوراة ونسبوها إلى داوود ، ويستندون فيها الى عبارات تنبئ عن مجئ من أطلق عليه "المسيا" ليكون منقذاً للشعب اليهودى من الاضطهاد والظلم الذى وقع عليه ، بل لقد رأينا انه أرجع نسب المسيح الى يعقوب واسحق وابراهيم عن طريق يوسف النجار خطيب مريم العذراء ، ولم يوضح نسبه عن طريق أمه مريم بنت عمران ، المنتسبة الى داود عليه السلام والتى يثبت نسبه اليها يقينا حسب كل العقائد .

أما متّى فقد كان جابيا للضرائب والجمارك يكفرنا حوم وكان اسمه لبفى يهودى العقيدة ، وقيل ان المسيح حين مر به فى مكان عمله دعاه ليتبعه وليجعل منه أحد تلاميذه ، أو أحد حوارييه ، ولكن هناك من يناقض هذا وينفى أن متى كان من حواريى المسيح ، بل كاتب يهودى لحما ودما وان كان قد اعتنق المسيحية ، الا انه لم يتخلص من يهوديته ، حتى لقد قال أحد المعلقين (تريكو) عن انجيل متى :

"تحت يونانية الثوب يكمن الكتاب يهوديا لحما وعظما وروحا فيحمل آثار اليهودية ويتسم بسماتها المميزة" بينما يقول معلق آخر هو كولمان "ان انجيل متى يعبر عن فكر الجماعة اليهودية المسيحية التى تحاول ان تقطع العلاقات التى كانت تربطها باليهودية مع الاحتفاظ فى نفس الوقت بخط مستمر مع العهد القديم .[١]

---

(١) كتاب موريس بوكاى " القران والتوراة والانجيل والعلم" ص ٨ .

وبالمثل انجيل مرقس وهو أقدم الاناجيل الاربعة التى تعتز بها الكنيسة قيل انه لم يحرره أحد حواريى المسيح ، انما مرقص هذا هو بالأكثر تلميذ لأحد الحواريين ، إذن فهو ناقل عن ناقل .[١]

أما انجيل لوقا فهو يعترف بأنه قد حاكى كتبة الاناجيل ، حيث ألف كل واحد منهم قصة عن الأحداث التى تمت والتى تتعلق بالمسيح ، فإنه هو الآخر قد رأى أن يدلى بدلوه فى هذا الميدان ، فينشئ بدوره حكاية عن هذه الاحداث مستندا الى ما سبقه من قصص بالاضافة الى معلومات الشهود الحاضرين لتلك الأحداث[٢] وهذا يدل على انه هو ذاته لم يكن أحد شهود تلك الأحداث ، وإنما هو ناقل عمن شهدها ، وقد كان لوقا أديبا وثنيا اعتنق المسيحية وكان يكره اليهود ، ولهذا فإنه على عكس متى الذى كان يدعم إنجيله بروايات يهودية كان لوقا يحذف من كتاباته كل ما له أصل يهودى ، ومن هنا نجد التناقض بين الاناجيل فكل كاتب يدعم انجيله بما يتوافق مع وجهات نظره أو معتقداته هو ، وليس الاحداث التى حدثت بالفعل كما هى .

أما انجيل يوحنا فمؤلفه هو يوحنا بن زبيدى - وليس يوحنا بن زكريا كما قد يعتقد البعض من اسم الاناجيل - ذلك ان يوحنا بن زكريا قد قتل والمسيح فى سن الثلاثين لم يبدأ بشارته بعد - بل ان المسيح قد بدأ بشارته بعد مقتل يوحنا بن زكريا - النبى يحيى - ذلك ان الانجيل المعروف باسم يوحنا قد حرر فى نهاية القرن الأول لميلاد المسيح ، وبعد وفاة المسيح بما يقرب من ٦٥ عاما ، بينما كتبت الاناجيل الأخرى فيما بين سنة ٦٥ وسنة ٩٠ من ميلاد المسيح .

(ان هذه الاناجيل - أو الكتابات - لم يكشف عنها الا ما بين سنة ١٤٠ وسنة ١٧٠ ميلادية) .

---

(١) نفس المصدر السابق .
(٢) انجيل لوقا بداية الاصحاح الاول المبتدئة بايها العزيز ناوفيلس .

ولـم تكن هذه الاناجيل الاربعة التى اقتصرت الكنيسة على الاعتراف بها ، هى كل ما كتب عن المسيح ، وإنما تقول الوثائق ان هناك ما يقرب من مائة انجيل حذفتها الكنيسة وأخفت أوراقها لما ورد بها من الخرافات أو الوقائع المزورة ، كان مصدرها الخيال الشعبى المتوارث فى قصص ساذجة وروايات خرافية ، مما حدا بالكنيسة الى شطبها وتمزيق أوراقها .

ومن بين الاناجيل التى حذفتها الكنيسة وحرمت قراءتها انجيل يعرف باسم انجيل برنابا ، وبرنابا هو أحد حواريى المسيح وقد جاء هذا الأنجيل أكثر صدقا من غيره وأقرب الى المفهوم الاسلامى ، فلم يؤله عيسى ولم يذكر انـه ابن الله كما إختلف مع الاناجيل الاربعة فى واقعة صلب المسيح ، لهذا حذفته الكنيسة وحرمت قراءته وسنتعرض له بشئ من التفصيل فيما بعد .

وقد سبق ان أوردنا عند الكلام على الكتاب المقدس فى الجزء الأول من هذا الكتاب بعنوان "اليهود واليهودية" ، المصادر المختلفة للاناجيل الاربعة المعترف بها ، والتى يثبت يقينا انها ليست الانجيل المنزل على عيسى عليه السلام من السماء والذى بشر به القرآن الكريم .

لهذا فالمسيح عيسى بن مريم برئ كل البراءة مما ورد بهذه الاناجيل ، مما نكون قد تناولناه أو سوف نتناوله فيما بعد من تعليق .

ماساوية الدين المسيحى وأسباب تأخر تدوين الاناجيل :

ان الدين المسيحى تغلب عليه رنة الاسى والحزن ، وهو دين يتسم بالسلبية دون الايجابية فقد نشأ الدين المسيحى فى كنف اليهودية التى عارضته منذ الوهلة الأولى ، فمنذ ميلاد المسيح والأسرة المقدسة المسيحية تعانى القهر والظلم ، فلقد أمر هيرودوس بقتل كل طفل يهودى منذ علم بنبوءة مولد من يسمى ملك اليهود ، مما إضطر مريم ورجلها يوسف ، الى الفرار بالطفل الى مصر ، حيث بقوا هناك الى ان مات هيرودوس ، فرجعوا الى أرض فلسطين ، ولقد ظلت فترة طفولة المسيح عيسى مغمورة من ذلك التاريخ حتى بلغ مبلغ الرجال ، ولا توجد معلومات كافية عن الاسرة المقدسة خلال تلك الفترة ، سوى ما ذكر فى بعض الاناجيل من ان الفتى وهو فى الثانية عشرة إفتقده "أبواه" اللذان كانا يصحبانه الى الهيكل ، فلما رجعا دونه ظنا منهما انه قد سبقهما الى الدار ، فلما لم يجداه عادا أثرهما ليجداه فى وسط علماء اليهود وحكمائهم وهو يحاورهم ويجادلهم فى مسائل الدين .

بعد ذلك غشيت حياته سحابة كثيفة من التجهيل والتعتيم ، وان كان يذكر انه كان يزاول مهنة رجل أمه -يوسف النجار- فى أعمال النجارة .

وتذكر الاناجيل انه فى الثلاثين من عمره ، عمّد من النبى يوحنا بنهر الاردن وهناك نزل عليه ملاك الرب بشكل حمامة ثم سار الى البرية حيث جرب من الشيطان أربعين يوما فقال له الشيطان وهو يعلم انه لم يأكل طيلة هذه المدة ، ان كنت حقا ابن الله ، فمر هذه الحجارة تنقلب الى طعام مما تشتهى فتأكل ، وتشبع ، فرد عليه بقولته المأثورة : "ليس بالخبز وحده يحيا الانسان" ، ثم أخذه الى الهيكل وأوقفه على أعلى مكان فيه وقال له ان كنت حقا ابن الله ، فأقفز من هذا المكان ، فان ملائكة الرب ستتلقفك وسيبرز لك أجنحة فلا تؤذى ، فقال له : "انه مكتوب فى التوراة لا تجرب

الرب إلهك" . ثم أخذه بعد ذلك الى أعلى نقطة فى الجبل وأراه الممالك كلها ، وقال له : أعبدنى وأنا أجعلك ملكا على هذه الارض كلها ... فرد عليه بقوله :

(اذهب يا شيطان لأنه مكتوب : للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد) . ثم يأتى له الأذن بإعلان رسالته ، عندما يأتيه نبأ قتل يوحنا بواسطة جند هيرودس الابن ، على ما ذكرناه آنفا فى ختام قصة يوحنا . بايحاء من هوريديا وإبنتها سالومى .

وقد إستمرت رسالته بين عام وثلاثة أعوام على إختلاف بين الاناجيل ، حيث بلغت المأساة ذروتها ، وتألب عليه اليهود يريدون محاكمته ثم قتله على ما سيرد ذلك فى قصة الصلب .

بعد ذلك بدأ الاضطهاد الدينى لتلاميذ المسيح وأتباعه على يد اليهود تارة ، وعلى أيدى الحكام الوثنيين فى البلاد الأخرى بايعاز من اليهود- لمنعهم من محاولة نشر الدين المسيحى الجديد تارة أخرى ، وكان الاضطهاد اليهودى لاتباع المسيح شديدا كما كان اليهود وراء الاضطهاد الرومانى تحت حكم نيرون وغيره فصبغت تلك السنوات الاولى للدعوة المسيحية بصبغة الدماء التى سالت من الدعاة مما تسبب فى تأخير تسجيل أقوال وأحداث المسيح ، ثم لما تأخر تدوين الاناجيل فى الايام التى تلت ذلك كان الحزن يؤثر فى كتاباتهم ويسيطر عليها ، كما كان ذلك سببا فى إختلاف الروايات فى بعض الاحداث الهامة ، بين انجيل وانجيل ذلك ان الاناجيل الاربعة المعترف بها قد كتبت على مدى فترة زمنية تقدر بستين عاما ، كتب أولها بعد خمس وثلاثين عاما من نهاية حياة المسيح وقد جد العلماء فى البحث عن الاسباب التى أدت الى ذلك وتتلخص فيما يلى :

١- ان المسيحيين الاوائل لم يكن معظمهم من المتعلمين أو المثقفين ، ويقول فى ذلك بولس : ليس كثيرون حكماء حسب الجسد ، ليس

كثيرون أقوياء ، ليس كثيرون شرفاء . بل إختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء وفى ذلك إشارة الى كهنة اليهود . والدليل على ذلك ان أقدم الاناجيل وهو إنجيل مرقس - قد كتب بلغة اغريقية عامية خشنة .

٢- ان عملية التبشير بحياة المسيح وأقواله تمت بطريقة التواتر والنقل عن طريق الاساطير الشعبية ، حيث كانت العقائد الدينية فى العالم الاغريقى والرومانى تنقل بالاسلوب الشفهى ، وهى تتغير معالمها على مر الاعوام ، بحيث ان مايصل منها فى أخر الأمر لا يزيد عن فكرة باهتة لتلك العقائد ، بالإضافة الى بعض الاقوال المأثورة المبعثرة ، التى يصعب الربط بينها وبين الاصل ، فتصل فى أخر الامر مبتورة أو مشوهة .

٣- ثم ان هناك عاملا هاما جدا فى تأخير تدوين أمهات العقائد المسيحية ألا وهو الاعتقاد بالمجئ الثانى للمسيح ، مما جعل الناس يتوقعون عودته من حين لآخر أثناء حياتهم ، ومادامت عودة المسيح الى الأرض في مجده وشبكة الوقوع ، وان نهاية العالم كانت متوقعة ما بين حين وآخر ، فان الحافز على التدوين كان ضعيفا .

٤- تشتت تلاميذ المسيح وأتباعه والدعاة له ، وما وقع عليهم من إضطهاد وتقتيل جعل عملية التدوين عملية لا تخلو من المخاطرة بالاضافة الى تشتت المعلومات وتباعد الحقائق . فقد قتل هيرودس يعقوب أخا يوحنا بالسيف ، كما قبض على بطرس ووضعه فى السجن ، كما ان شاول (بولس) كان يسطو على الكنيسة ويهاجم البيوت ليستخرج الرجال والنساء ليسلمهم الى السجن ، فإذا ما وجد بالطريق جماعات من أتباع المسيح كان يسوقهم موثقين بالسلاسل والحبال الى أورشليم .

ومن هنا نجد ان مرقس قد نقل عن بطرس بالدقة التى وسعتها ذاكرته . وان مرقس لم يكن من أتباع المسيح ولا سمع منه مباشرة ، وانما تبع بطرس الذى إعتاد التوفيق بين تعاليم المسيح ومطالب الجماهير .

٥- عدم معرفة الجهة التى كتبت بها أصل الاناجيل ، ولا اللغة التى كتبت بها ، فقد قيل إنها روما وقيل الاسكندرية وقيل انطاكية ، كما ان كثرة النقل والترجمة من لغة الى لغة ، وتأثر المعنى بمزاج المترجم تجعل الصيغة النهائية بعيدة كل البعد عن النص الأصلى .

٦- كثرة ما كتب من كنايات متأخرة عن ذلك العهد الاول للمسيحية دون وجود رابطة ما بين من كتبوها فجاءت كتاباتهم مختلفة متعارضة ، تمتلئ بالخرافات وأطلق كل منهم على كتابه لفظ إنجيل مما حدا بالكنيسة ان تلغى ما يقرب من مائة من تلك الاناجيل وأن تستبقى منها أربعة فقط على ما بينها من خلاف ، لتمشيها فى المضمون العام مع العقيدة المسيحية الجديدة التى أنشأها بولس والتى تدعو لها الكنيسة .

٧- ان الاناجيل -كما تحمل تعاليم المسيح نفسه- قد اهتمت أساسا بالطبقة الدنيا من المجتمع وهى الطبقة المغلوبة على أمرها ، أمام طغيان الكهنة ورجال الدين اليهودى ، فقد كانت تلاقى معارضة شديدة من الكهنة والحكام ورجال السلطة على حد سواء ، مما خنق إنتشارها ورواجها والاهتمام بها الا فى طبقة محدودة من المغلوبين على أمرهم .

٨- التجهيل والتعتيم الذى يتناول كتبة الاناجيل ، اذ كثيرا ما يثار -

خاصة فى الازمنة الحديثة- النقاش والجدل حول من نسبت اليهم الاناجيل وانهم ليسوا هم فى الواقع كتبتها ، وذلك بسبب الغموض الذى إنتاب وزامل كتابة تلك الاناجيل .

ولسنا فى مجال يسمح بسرد الاختلافات التى إكتنفت أحداثا معينة بين إنجيل وإنجيل ، فقد تصدى كتاب كثيرون لهذا ، غالبيتهم من الكتاب الغربيين لم يكن الدافع لهم وراء ذلك دافع دينى أو معارض للدين المسيحى ، بقدر ما كان ذلك للاستقصاء والبحث العلمى الثبور .

إنجيل برنابا :

قلنا ان من بين الاناجيل التى ، لم ترض عنها الكنيسة ، انجيل يدعى انجيل برنابا ، فحذفته من الأناجيل المعتمدة وحرمت قراءته ، أما برنابا فهو يهودى من اللاوين وكان رجلا موثوقا به من الكنيسة ثقة تامة حتى لقد كان ينذب لوعظ الناس للدخول فى الدين المسيحى كما جاء ذلك فى أعمال الرسل .
(اصحاح ٢ ح ٣٦)

وبرنابا هذا ينسب لنفسه أنه أحد التلاميذ الاثنى عشر للمسيح ، يتفق مع انجيل متى فى عشرة منهم هم :

سمعان الذى يقال له بطرس ، واندراوس أخو سمعان بطرس ، ويعقوب بن زيدى ، ويوحنا بن زيدى أخو يعقوب ، وفيلبس ، وبرثولماوس ، ومتى العشار صاحب انجيل متى ، ويعقوب بن حلفى ، ويهوذا الاسخربوطى ، وتداوس .

وهؤلاء هم العشرة المتفق عليهم بين كل من انجيل متى وانجيل برنابا أما الاثنان المختلف عليهما فهما :

فى انجيل متى : قوما ، وسمعان القانونى يقابلهما فى انجيل برنابا : برنابا ويهوذا آخر غير الاسخربوطى .

ولأن انجيل برنابا قد جاء مخالفا لما استقر عليه رأى الكنيسة فى أربع نقاط جوهرية هى : ألوهية المسيح وانه ابن الله ، وصلب المسيح وقيامته ، وان الذبيح هو اسماعيل بن ابراهيم وليس اسحق ، وان المسيا المبشرية فى العهد القديم ليس عيسى بن مريم عليه السلام ولكنه محمد صلى الله عليه وسلم ، وسنذكر كلا من أوجه الاختلاف هذه بشئ من التفصيل فيما بعد .

وأما أن برنابا هذا هو أحد تلاميذ المسيح الأثنى عشر المعروفين بالحواريين ، فقد جاء ذكره فى أعمال الرسل فى مواضع كثيرة ، خاصة الاصحاحات من ١١ - ١٥ حيث كان يرسل مع غيره من الحواريين فى مأموريات تتعلق بالدعوة المسيحية . ولكن لما ظهر الانجيل المسمى باسمه مخالفا للعقيدة التى تروج لها الكنيسة ، رفعت الكنيسة اسمه من بين الحواريين وان كانت قد أبقته بين الرسل .

وقد ذكر ان تحريم قراءة هذا الانجيل قد ورد فى المنشور الذى أصدره البابا جلاسيوس الأول الذى تولى البابوية فى أواخر القرن الخامس للميلاد (عام ٤٩٢م) ، أى قبل بعثة محمد عليه الصلاة والسلام بأكثر من مائة عام وذلك ينفى ان كاتب هذا الانجيل قد تأثر بتعاليم الاسلام أو بمفاهيمه . أما التطابق بين ما ورد بانجيل برنابا وما ورد بتعاليم الإسلام فمرده إلى أن الانجيل الصحيح المنزل على عيسى ، شأنه شأن القرآن الكريم كلاهما من عند الله بما يفيد أن انجيل برنابا قد أخذ معظم أفكاره من الانجيل المنزل من لدن الله رب العالمين .

أما النسخة الاصلية لهذا الانجيل ، فهى كبقية الاناجيل مجهولة الاصل ومجهولة النسب ، وكانت محفوظة بمكتبة البابا (سكوتس) بروما فعثر عليها مصادفة أحد الاساقفة ويدعى(فرامرينو) . فاختلسها وقرأها - وهى من الممنوعات - ولما وجدها مخالفة فيما ورد بها عن المفاهيم المتداولة فى المسيحية ، وتتفق مع ما جاء بالاسلام ، يقال انه قد اعتنق الاسلام ، وذلك فى أواخر القرن السادس عشر الميلادى .

ولقد قام الدكتور خليل سعادة[١] بترجمة هذا الانجيل من اللغة الايطالية الى اللغة العربية ، وقد قال فى مقدمة الترجمة ان هناك انجيلا آخر مما حرمته الكنيسة (الانجيل الاغنسطى) يتطابق فى كثير مما ورد به

---

(١) المعتقد ان الدكتور خليل سعادة مؤرخ مصرى مسيحى العقيدة والميول وإن كان يحاول ان يبدو دارسا محايدا متجردا من تعصبه .

مع انجيل برنابا ، الذى يمتاز عن سائر الاناجيل بالبلاغة ودقة التعبير والتصريح بأمور تخالف معتقدات الكنيسة مما أثار حفيظتها عليه ، من ذلك التصريح باسم (محمد) فى كثير من المواضع باعتباره النبى الذى يبشر به العهد القديم اليهودى . ويروى الدكتور عبد الوهاب النجار فى كتابه "قصص الانبياء" (ص ٤٧٣) ان المسيح كان يبشر بنبى يأتى بعده اسمه "المسيا"أو فارقليط" التى هى ترجمة للكلمة اليونانية "بيريكلتوس" التى معناها "الأكثر حمدا" ، أو "الأحمد" بما يتطابق مع ما ورد فى القرآن الكريم على لسان المسيح "ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد"

ويقول الدكتور محمد أبو زهرة فى كتابه "محاضرات فى النصرانية"[١]

"ان التاريخ يروى لنا انه كانت فى العصور الغابرة أناجيل أخرى تأخذ بها فرق قديمة تروج عندها ، ولا تعتقد كل فرقة الا فى انجيلها ، وأجمع مؤرخو المسيحية على كثرة الاناجيل كثرة عظيمة ، ثم أرادت الكنيسة فى أواخر القرن الثانى أو أوائل القرن الثالث الميلادى ، ان تقتصر على الاناجيل التى تتمشى مع العقائد التى تروج لها الكنيسة ، فاقتصرت على الاناجيل الاربعة المعروفة حاليا ضمن العهد الجديد وهى : متى ومرقص ولوقا ويوحنا"

"غير ان هناك انجيلا كشف عنه البحث العلمى وقد حمل من الامارات ما يدل على ان نشأته تمتد الى أبعد أعماق التاريخ المسيحى ، وهو يشبه الاناجيل القائمة فى أنه يحكى قصة المسيح عيسى بن مريم من ولادته الى محاكمته ، ولكن الكنيسة لم تعترف به وأنكرته لمخالفته مسيحية بولس . ولكنه متداول بين علماء الدول الأوروبية ، وقد إتجهوا اليه بالبحث والعناية والاهتمام ولم يمنعهم من ذلك انكار الكنيسة له ، ذلك هو انجيل برنابا ، وهو قديس من قديسى المسيحيين باتفاقهم ، ورسول من رسلهم

---

(١) نقلا عن كتاب "أنبياء الله" للاستاذ أحمد بهجت .

وركن من الاركان التى قامت عليها الدعوة المسيحية الأولى وقد وجد انجيل باسمه يدل على انه كان من الحواريين الذين اختصهم المسيح بالزلفى اليه والتقرب منه وملازمته فى سرائه وضرائه ، ولكن كتب المسيحية لا تعده من هؤلاء الحواريين وان كانت تعده من الرسل الذين يبلغون مكانة الحواريين ، ومهما يكن فهو حجة عند المسيحيين ، ومن الملهمين فى إعتقادهم فان صحت نسبة هذا الانجيل اليه كان ما يشمله حجة عليهم" .

"واتفق المؤرخون على ان أقدم نسخة عثروا عليها لهذا الانجيل نسخة مكتوبة باللغة الايطالية ، عثر عليها كريمر أحد مستشارى ملك بروسيا ، وذلك فى سنة ١٧٠٩ ، ثم انتقلت مع بقية مكتبة هذا المستشار الى البلاط الملكى فى فيينا سنة ١٧٣٨ ، وكانت هذه النسخة هى الاصل لكل نسخ هذا الانجيل فى اللغات التى ترجم اليها ، ومنها نسخة باللغة الاسبانية قام بترجمتها من الايطالية راهب لاتينى اسمه فراميتو الذى عثر على رسائل لايريانوس وفيها رسالة يندد فيها بما كتبه بولس الرسول ، ويستند تنديده هذا لما ورد بانجيل يعرف باسم انجيل برنابا ، فدفعه حب الاستطلاع الى البحث عن انجيل برنابا هذا وقد عثر عليه عندما أصبح أحد المقربين من البابا سكوتس الخامس ، حيث عثر على ذلك الانجيل فى مكتبة البابا فقرأه بشغف وعلى أثر ذلك إعتنق الاسلام ."

ويقول دكتور سعادة مترجم انجيل برنابا الى اللغة العربية ، ان كاتب ذلك الانجيل ملم الماما تاما ودقيقا بأسفار العهد القديم اليهودى الذى لا يتوفر لكل المسيحيين بل للمتبحرين منهم فقط فى الدين والمفسرين ، كما انه ملم الماما تاما كذلك بالدين المسيحى ويتهم فى بعض الاقوال انه ألم بالاسلام ، بل وإعتنقه ، وهذا لا يتمشى اذا كان الانجيل قد كتبه فعلا برنابا أحد حوارى عيسى وتلاميذه اذ ان الاسلام لم يظهر الابعد ستة قرون من عصر المسيح وإذا كان الالمام بالدين اليهودى غير متوفر لغالبية المسيحيين فهو يكاد يكون غير متوفر بالمرة لغالبية المسلمين ، كما ذكرنا أن المنشور الذى أصدره البابا جلاسيوس الأول فى أواخر القرن الخامس الميلادى أى قبل ظهور الاسلام تضمن تحريما لقراءة "انجيل برنابا" وهذا

يدل على ان انجيل برنابا كان موجودا قبل ميلاد وبعثة النبى محمد عليه الصلاة والسلام .

ويتميز انجيل برنابا على بقية الاناجيل كما يقول الشيخ أبو زهرة بقوة التصوير وسمو التفكير والحكمة الواسعة ، والدقة البارعة ، والعبارة المحكمة والمعنى المنسجم ، حتى انه لو لم يكن كتاب دين ، لكان فى الادب والحكمة كتابا من الدرجة الاولى ، وقد رفض من المسيحيين رغم ذلك لانه يخالف أناجيلهم ورسائلهم المعترف بها فى وسائل جوهرية تتعلق بالعقيدة وتتلخص فى الامور الاربعة الآتية :

١- انه لم يعتبر المسيح "ابن الله" (وبالتالى لم يعتبره إلها) ، وفى ذلك يقول فى مقدمة انجيله ، ان الله العظيم العجيب قد أفتقدنا فى هذه الايام بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التى إتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله رافضين الختان الذى أمر به الله ، مجوزين كل لحم نجس ، الذين ضل فى عدادهم أيضا بولس الذى لا أتكلم عنه الا مع الأسى ، وهو الذى لأجله أسطر ذلك الحق الذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتى ليسوع .

ويقول فى آخر الفصل الثالث والتسعين : أجاب الكاهن - وهو يخاطب المسيح - ان اليهودية اضطربت لآياتك وتعاليمك حتى انهم يجاهرون بأنك أنت الله ، فاضطربت بسبب الشعب الى ان آتى الى هنا مع الوالى الرومانى والملك هيرودوس ، فنرجوك من كل قلبنا أن ترضى بازالة الفتنة التى ثارت بسببك لأن فريقا يقول إنك انت الله ، وفريقا آخر يقول انك ابن الله ، وفريقا يقول انك نبى - فأجاب يسوع : وأنت يا رئيس الكهنة ، لماذا لا تخمد الفتنة . وهل جننت انت أيضا ، وهل أمست النبوات وشريعة الله أمرا منسيا . أيتها اليهودية الشقية التى ضللها الشيطان . ثم أضاف يسوع فى الفصل الرابع والتسعين : انى أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الارض ، انى برئ من كل ما قال الناس عنى ، من إنى أعظم من بشر ، لأنى بشر مولود من إمرأة ، وعرضة لحكم الله ، أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء .أيها

الكاهن لقد أخطأت خطيئة عظيمة بالقول الذى قلته . ليلطف الله بهذه المدينة المقدسة حتى لا تحل بها نقمة عظيمة لهذه الخطيئة .

وجاء فى الفصل السبعين من ذلك الانجيل : أجاب يسوع ما قولكم انتم فىّ؟ فأجاب بطرس :أنت المسيح ابن الله . فغضب حينئذ يسوع وانتهره بغضب قائلا : اذهب وإنصرف عنى ، لأنك أنت الشيطان ، وتريد أن تسئ الىّ .

٢- جاء أيضا فى إنجيل برنابا أن الذبيح الذى تقدم به إبراهيم الخليل عليه السلام للفداء هو ابنه اسماعيل وليس ابنه اسحق ، كما ذكر فى التوراة ، وكما يعتقد المسيحيون . وهذا ما جاء على لسان المسيح : الحق أقول لكم انكم اذا أمعنتم النظر فى الملاك جبريل تعلمون خبث كتبنا وفقهائنا ، لأن الملاك قال : يا ابراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله . أجاب ابراهيم ها هوذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله . فكلم الله حينئذ ابراهيم قائلا : خذ ابنك بكرك وإصعد الجبل لتقدمه ذبيحة . فكيف يكون اسحق البكر وهو حين ولد كان اسماعيل ابن سبع سنين[(١)]

٣- ان مسيا أو المسيح المنتظر ليس هو يسوع بل هو محمد ، وقد ذكر محمد باللفظ الصحيح المتكرر فى فصول ضافية الذيول ، وعبر عنه انه رسول الله . ويذكر انجيل برنابا ان آدم لما طرد من الجنة رأى سطورا كتبت فوق بابها بأحرف من نور :"لا اله الا الله محمد رسول الله"[(٢)] وان المسيح قال : ان الآيات التى أفعلها على يدى تظهر انى أتكلم بما يريد الله . وقد أورد فى الفصلين الثالث والأربعين والرابع والاربعين كلاما وافيا بالتبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الفصل الرابع والاربعون من انجيل برنابا بل حسبما ورد بسفر التكوين يكون ابن اربعة عشر سنة .

(٢) الفصل الحادى والاربعون من انجيل برنابا .

٤- ان انجيل برنابا يبين ان المسيح عليه السلام لم يصلب ولكن شبه لهم ، وقد ألقى الله شبهه على يهوذا الأسخربوطى ، ويقول فى ذلك : الحق أقول ان صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه بيسوع ان اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة أنه يسوع . لذلك خرج بعضهم من تعاليم يسوع معتقدين ان يسوع كان نبيا كاذبا ، لأن يسوع قال انه لا يموت وشك انقضاء العالم . ثم بين أن يسوع طلب من الله أن ينزله الى الارض بعد رفعه يرى أمه وتلاميذه ، فنزل ثلاثة أيام ، وذبح كثيرين ممن إعتقدوا أنه مات ، وقال : أتحسبوننى انا والله كاذبين ، لان الله وهبنى ان أعيش حتى قبيل انقضاء العالم كما قد قلت لكم . والحق اقول لكم انى لم أمت بل يهوذا الخائن . احذروا لان الشيطان سيحاول جهده ان يخدعكم ولكن كونوا شهودا فى كل اسرائيل وفى العالم كله لكل الاشياء التى رأيتموها وسمعتموها .

وقصة الصلب كما وردت بإنجيل برنابا هى كما يلى[١] :

(ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذى كان فيه يسوع ، سمع يسوع دنو جمع غفير ، لذلك إنسحب الى البيت خائفا ، وكان الاحد عشر نياما .

(فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل (اسرافيل) وادريل (عزرائيل) سفراءه ان يأخذوا يسوع من العالم فجاء الملائكة الاطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب . فحملوه ووضعوه فى السماء الثالثة فى صحبة الملائكة التى تسبح الله الى الأبد .

ودخل يهوذا بعنف الى الغرفة التى أصعد منها يسوع ، وكان التلاميذ كلهم نياما - ومنهم برنابا المتحدث بطبيعة الحال - فأتى الله العجيب بأمر عجيب ، اذ تغير يهوذا فى النطق وفى الوجه فصار شبيها بيسوع حتى اننا

---

(١) الفصل ٢١٣ وما بعده .

اعتقدنا انه يسوع ، اما هو فبعد ان ايقظنا أخذ يفتش لينظر اين كان المعلم ، لذلك تعجبنا وأجبنا : انت يا سيد هو معلمنا أنسيتنا الآن ....) (١)

وأعقب ذلك بطبيعة الحال ان سيق يهوذا على انه المسيح الى المحاكمة ثم الى الصلب وهذا يتمشى مع قوله تعالى فى القرآن الكريم :

"وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . . . . ."

(١) الفصل ٢١٦ .

الفصل السادس

تأليه المسيح وإدعاء انه إبن الله !

- الوهية المسيح حسب تفسير لجنة ترجمة الكتاب المقدس.
- الناسوت و اللاهوت .

تأليه المسيح وإدعاء انه ابن الله

رددت الأناجيل فى كل المناسبات ، أن المسيح "ابن الله" كما ذكرت فى مواضع اخرى انه هو ذاته الله قد تجسد فى صورة بشر ، لينزل الى الأرض ويحمل عن البشرية خطيئتها . وهو تصور قاصر بل باطل ، ان دل على شئ فإنما يدل على سقم فى فهم الربوبية وقصور فى فهم الألوهية .

وان كان انجيل لوقا قد إنتهى فى معرض أنساب عيسى المسيح الى آدم وذكر عن آدم انه ابن الله (نهاية الاصحاح الثالث) فهل هذا إيحاء منه بأن عيسى هو صنيعة الله كما كان آدم من قبل صنيعة الله ، وأنه ممن خلق الله كما ان آدم وكل البشر من خلق الله . لو كان الأمر كذلك فهو مقبول بإعتبار ان عيسى يتساوى مع كل البشر من حيث نسبتهم الى الله الخالق فهم جميعا من خلقه ونتاج مشيئته وان كان تعبير الاسلام فى ذلك ان الناس جميعا (عباد) لله أى يلزمهم التعبد له ، أو هم بقول آخر (عبيد) الله اذ يملك سبحانه رقابهم وما يملكون وليس هذا لفظا غريبا على الأناجيل ، اذ تتحدث الأناجيل عن مريم انها (أمة) الله أى عبدته (والأمة) للأنثى مذكرها العبد اذن فعيسى بناء على ذلك شأنه شأن كافة الأنبياء بل وكافة البشر "عبد الله" ، فالله أوجدهم من عدم ، من آدم حتى آخر مخلوق بشرى وان إختلفت وسيلة الخلق فى بعض منهم ، فالغالبية قد أوجدت من لقاء بين ذكر وأنثى وهى القاعدة التى تظل الناس ، بإستثناء آدم وترفع فى حواء وعيسى ، فلكل منهم قانون خاص به استثناء من القاعدة الأساسية فآدم خلقه الله من تراب ونفخ فيه من روحه فصار بشرا ، وحواء خلقها الله بلا أم ولا أب أيضا ولكنه سبحانه إستعان بأحد أضلاع آدم حتى يقرب بينهما ويجعل لآدم حقا فيها ، أليست تحمل جزءا من جسده وعيسى خلقه الله من أم بلا أب ولكن نفخ فيه من روحه كما نفخ فى آدم وحواء من قبل ، بل كما ينفخ الله من روحه فى كل نفس بشرية حين يخلقها فى رحم أمها ، فبدون الروح التى ينفخها الله تعالى فى النفس البشرية - كل نفس بشرية على مدى الأحقاب المتوالية - لكانت المضغة قطعة من اللحم الميت لا تدخلها الحياة أبدا .

لو كان الفهم هكذا لقلنا لا بأس ، كلنا أبناء الله بمعنى كلنا عبيده ومن خلقه ومن صنعه ومشيئته ولكن البنوة لها مفهوم آخر وخصائص أخرى ولها مسالك تسلكها تجعلنا نتراجع عن ان نسمى أنفسنا أبناء الله بل نحن عباده وصنيعته ولا أخال أن الأناجيل قد قصدت بلفظ ابن الله تلك التبعية المعنوية من أدنى الى أعلى وإنما قصدت تلك العلاقة السببية النسبية التى تربط الابن بالاب بمفهومها المباشر يؤكد بذلك ما ورد بانجيل متى عن مريم بأن "الذى حبل به فيها هو من الروح القدس" وما أكده انجيل لوقا على لسان جبرائيل الملاك المرسل من قبل الله وهو يقول لمريم "لا تخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله وها أنت ستحبلين وتلدين إبنا"

ولفظ الحبل تلك الكلمة الدارجة ليس لها إلا مدلول واحد وهو إيداع بذرة ذكر فى شكل منّى فى رحم أنثى ذلك هو مفهوم كلمة حبل ، وهو لا يكون الا نتيجة مباشرة ونتاجه ان إكتمل "بنوة" فى شكل جنين ينمو ويتطور فى أحشاء الأنثى حتى يخرج ولدا أو بنتا ، فلفظ ابن الله هنا بعد هذا التصوير فى الانجيلين المذكورين إنما يوحى بأن هذه البنوة هى نتاج مباشر لاتصال ذكر بأنثى ، أما أحد طرفى الإتصال فمعلوم صراحة - وهى مريم - أما الطرف الآخر فهل هو الله بذاته - إستغفر الله - أم ملاكه المعبر عنه بجبرائيل أو الروح القدس؟؟؟ ولم يعطنا لفظ ابن الله الا إنطباعا أحد هذين التصورين .

ودعنا نناقش هذه الفكرة بفكر مجرد فالانجاب على هذه الصورة عمل مادى صرف نتيجة إتصال مادى بين جسدين من مادة واحدة وأصل واحد ونوع واحد ، خضوعا لقانون مادى معروف هو قانون التناسل أو الأنسال فى الانسان والحيوان على حد سواء ، فهل أولئك الذين يعتقدون ان عيسى "ابن الله" يتصورون انه جاء نتيجة إتصال من هذا القبيل تأسيسا على قانون الانسال والانجاب؟ بل لقد ورد على لسان أحد المتشيعين لهذا الفكر ان العذراء بمجرد ان سمعت دعوة الملاك "سلمت ذاتها لباريها" .(١)

---

(١) كتاب حياة المسيح - دراسة وتامل تاليف فولتون شين ترجمة لجيب غالى ص ٢٦

وهل يعتقدون بناء على ذلك أن الله له طبيعة بشرية وسلوك بشرى بل -وحاشا لله - شهوة بشرية ان لم تكن متصلة بالجنس فهل هى متصلة بالانجاب وحب الأولاد؟ وإذا كان هذا هو ما يتصورون فلماذا إقتصر على انجاب ابن واحد وهو القادر بهذه الطريقة على انجاب العديد من الأبناء . بعشرات بل ومئات وآلاف ، يبعث بهم الى القبائل المختلفة والأجناس المتعددة من خلقه ، وما أوسع أركان ملكه وما أكثر تعداد خلقه وما أشد حاجتهم الى من يهديهم ويرشدهم ويعلمهم ، ولا ستغنى بذلك عن الرسل والأنبياء - سبحان الله عما يصفون !!!

أم يتصورون ان هذا الاتصال هو بواسطة ملاك الله المرسل من قبله والموفد من لدنه والمفوض لهذا العمل . ولكن كيف يكون الاتصال والتزاوج - وهو عمل مادى يخضع لقانون مادى - كيف يكون ذلك نتيجة اتصال جسم سماوى نورانى أصله من نور بجسم مادى أرضى أصله من تراب؟ ذلك ما يتعلق بالروح القدس وهو جبريل فما بالك بالله جل وعلا .

وهل ينصرف قول الرب الإله فى توراة الكتاب المقدس -وهى أساس العقيدة المسيحية - حين قال (فلنعمل الانسان على صورتنا وشبهنا) . ان التماثل ليس فى الشكل والصورة فقط ولكن فى نوعية المادة أيضا؟ خاصة وقد جاء بتلك التوراة ان الرب الاله قد تشكل فى صورة انسان يأكل ويشرب ويجوع ويتعب ويستريح تحت شجرة ويغسل قدميه من تراب الطريق ويحادث ابراهيم واسحق ويعقوب حديث الند للند بل ويصارع يعقوب فى البرية بل لقد ورد على لسان الرب الاله قوله : ها هو ذا الانسان قد أصبح مثلنا عالما بالخير والشر؟ حاشا لله ان يقولون الا كذبا .

ولننتقل الآن الى تصور القرآن الكريم لواقعة خلق عيسى عليه السلام اذ تقول الآية ٤٥ من سورة آل عمران :

"إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم .... "

فالمسيح هنا كلمة من الله ، أو آية من آياته ، بمعنى خلق من خلقه وإرادة من إرادته ومشيئة من مشيئاته وحين قالت مريم :

"انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ، قال كذلك الله يخلق ما يشاء ، إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون"

آل عمران ٤٧

اذن فهو خلق وليس انجابا أو إنسالا .

لله ما أروع تعبير القرآن الكريم ، فالفكرة هنا واضحة جلية عيسى هو كلمة من الله ، وآية منه وبرهان على قدرته ، اذا إرتأت مشيئته لشئ أن يكون على صورة ما ، فإنه يقول له "كن" فيكون على نفس الصورة التى أرادها الله ...

وحينما ذكرت سورة مريم الحدث ، وأخبرت بأن الله بعث الى مريم بروحه على شكل ملاك فى هيئة بشر :

"فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت إنى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ."

"قالت انىّ يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا . قال كذلك قال ربك هو علىّ هين ، ولنجعله اية للناس ورحمة منا ، وكان أمرا مقضيا ."

مريم ١٧ - ٢١

والوهب هنا أو المنح أو العطاء بأمر من الله ، ليس له تلك الصورة السابق الأشارة اليها من اتصال بين جنسين مختلفين ، وإنما الوهب هو عطاء من الواهب الى الموهوب اليه ، يعطيه بالصورة التى يراها ليس على الوضع المادى من اتصال أو مباشرة ، وإنما هى نفخة من روح الله ، ونفحة

من نفحاته سبحانه أودعها رحم مريم أو أحشاءها ، فكانت هى الكلمة المقدرة من الله تعالى .

"فحملته" وليس معنى الحمل هنا "الحبل" الذى تشير اليه الأناجيل فحمل الشئ أى رفعه ، والحمل هنا لم يكن على الذراع ، وإنما كان داخل الرحم والبطن ، فحملته بمعنى إستودعته فى أحشائها ، كما تحمل انت الشئ فى جيبك أو فى صدرك ، ولم يشر القرآن الى مرور فترة بين الحمل والوضع التى تكون عادة ما بين سبعة أشهر الى تسعة أشهر فى الحالات العادية ، وإنما أردف بكلمة "حملته" بكلمة "فاجاءها المخاض الى جذع النخلة" حدث متزامن ومترادف ، لأن الله طالما إستثنى خلق عيسى من قانون الانسال والانجاب بين البشر ، فما أيسر ان يستثنيه من تتابع صورة خلق الجنين وتطوره من مضغة الى علقةالى عظام الى لحم وأنا لا أقول ذلك جزما - حاشا لله - فعلم ذلك عند الله ولكنه أمر ممكن فقد خلقه بإرادته ومشيئته طفلا كما أراده الله ، وليس هذا بطبيعة الحال فوق قدرة الخلق عند الله التى تقول للشئ كن فيكون ، وشاء الله أن يخرج من أحشاء مريم حتى تكون له صفة البشرية كما أراد الله ، وأحست مريم ان المخلوق الجديد يريد ان يخرج منها فلجأت الى جذع النخلة ، لا لتستجير بها من ألم الوضع ، ولكن لتستند اليها وهى تخرج من رحمها ما شاء الله أن يكون طفلا بشرا .

وكما شاء الله ان يخلق هذا المولود المخلوق بغير القانون المعروف للبشر جميعا كذلك أمده الله بقدرات خارقة ، أولها ان يكلم الناس فى المهد وهو أمر غير مألوف لا يقدر عليه أى مولود قبل مضى فترة طويلة هى فى العادة بضع سنوات ، بل لقد ألهمه الفصاحة والرزانة وحسن الحديث بل حسن الدفاع عن أمه الجزعة الهلوع التى لا تعرف ماذا يقول الناس فى هذا الوضع الغريب عليهم .

"قال إنى عبد الله"

وكان هذا التفسير هو أول ما خاطب عيسى الناس به ، فلم يقل إنى "ابن الله" بل "عبد الله" كسائر عباد الله ، وجعلنى نبيا كما سبق ان جعل كثيرا من عباده أنبياء . هكذا نفى عيسى وهو بعد فى المهد صبيا وطفلا انه ابن الله ، بل عبد له ومخلوق له وصنيعة من صنائعه . . . . . .

ولقد فتن ضعاف الايمان ، بهذا الخلق الفريد ، فنسبوا لعيسى على غير الحقيقة انه ابن الله وأوردت الأناجيل على لسان عيسى حين سأله الناس : "أأنت ابن الله" أن كان رده حسبما ورد بالاناجيل اثباتا لقولهم وليس نفيا ، بأن قال "أنت قلت" فكأنما هو رد بالايجاب الغير مباشر ، وليس بالقطع نفيا للسؤال .وان كان إثباتا أنه ليس من قول عيسى عليه السلام .

ويصور القرآن الكريم هذا الموقف فى صورة المائدة ليزيده وضوحا :

"واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس إتخذونى وأمى إلهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ، إنك انت علام الغيوب"

وبطبيعة الحال فإن الله وهو العليم بكل شئ -يعلم ان عيسى لم يقل هذا ولم يدّع لنفسه الألوهية أو الربوبية ، وهو مخلوق لله كسائر مخلوقاته- ولكن الله يأتى بهذا الاستفسار- الذى يحمل فى طياته النفى والاستنكار ، ليستنطق عيسى بلسانه بأنه لم يقل ذلك ، لأنه ليس حقيقة ، ولتكون شهادة عيسى حجة على من إدعى هذا الادعاء .

"ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد"

ولا يملك عيسى الا ان يقول لربه :
"إن تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فإنك انت العزيز الحكيم"

"قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ، لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ." المائدة ١١٦ - ١١٩

الوهية المسيح
حسب تفسير لجنة ترجمة الكتاب المقدس

صدر كتاب "انجيل القديس متى" - المنقح - والمعنون باسم "إنجيل ربنا يسوع للقديس متى" والذى قامت بتنقيح ترجمته وإصداره لجنة اعتمد تشكيلها قداسة البابا كيرلس السادس بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية فى كل إفريقيا والشرق . وهى ترجمة حديثه للكتاب المقدس فيما يتعلق بإنجيل "متى" ، وقد استبدل فيها لفظ "السيد" بلفظ "الرب" و "يا سيد" "بيارب" فى عبارات الإنجيل المذكور . وقد بدأ شرح الاصحاح الأول المستبدل كذلك بلفظ "الفصل الأول" بما يأتى شرحا لألوهية المسيح .

(بدأ القديس متى بشارته ببيان الكيفية التى جاء بها ربنا يسوع المسيح إلى العالم وهذا المجئ سر رائع من أسرار العقيدة المسيحية ، ويسمو على مدارك العقل البشرى لأنه يتعلق بالله وطبيعته ، فى حين أنه لا يمكن لأحد أن يعرف طبيعة الله إلا الله نفسه ، ومن ثم لا يمكن للعقل البشرى أن يصل إلى هذه المعرفة إلآ إذا تلقى بذلك إعلانا من الله ذاته ، وقد وضح من الإعلانات الإلهية التى وردت فى الكتاب المقدس ما يتيح فهم السر فى مجئ الرب يسوع المسيح بالطريقة التى جاء بها إلى العالم . وذلك أن الله قد خلق الإنسان على صورته ومثاله ، ومنحه الإرادة الحرة ليختار بين طريق الخير وطريق الشر ، فاختار طريق الشر وتمرد على خالقه . ومن ثم غضب الله عليه وطرده وذويه من ملكوت مجده . ولم يكن ممكنا للإنسان أن يقدم كفارة عن خطيئته لعجزه وعدم طهارته وتسلط الشر والخطيئة عليه ، فكان ينبغى أما إهلاكه عقابا له ، أو العفو عنه نظرا لضعف طبيعته . بيد أن إهلاكه يتضمن العدل ولكنه يهدر الرحمة ، كما أن العفو عنه بغير كفارة يتضمن الرحمة ولكنه يهدر العدل . فى حين أنه لا يمكن إهدار إحدى هاتين الصفتين اللتين يتصف بهما الله كليهما لأن فى ذلك نقصا والله منزه عن النقص .

(ولذلك دبرت العناية الإلهية واسطة عجيبة يتحقق بها خلاص الإنسان رحمة به ، كما يتحقق العدل الإلهى فى الوقت نفسه وتلك هى ترقية طبيعة الإنسان إلى رتبة الإلهية - مكافأة له على عصيانه ؟؟ بإشتراكها مع طبيعة الله نفسه ، حتى

يتسنى لها أن تصبح خليقة بأن تكفر عن خطيئتها وتفى بما عليها تجاه العدل الإلهى . ولم يكن ذلك ممكنا إلاّ بأن يتجسد كلمة الله ، فتتأله بتجسده ، طبيعة الإنسان ، وبذلك تتم المصالحة بين الله والناس ؟ لأن العدل الإلهى يقضى بأن لا كفارة بغير سفك دم ، كما أنه يقضى بأن الطبيعة التى أخطأت هى التى تموت . ومن ثم فإن الله الذى تفوق قدرته وحكمته ورحمته مدارك البشر ، قد اتخذ بواسطة كلمته طبيعة الإنسان ليقبل فيها القصاص الذى تقتضيه العدالة الإلهية واتحد بها اتحادا جوهريا فأكتسب طبيعة الإنسان بهذا الاتحاد كمالا مطلقا ، وقيمة غير متناهية ، ومن ثم صار فى موت المسيح كلمة الله ، الكفارة والترضية الكافية عن خطيئة الإنسان غير المتناهية ؟ فكانت هذه الوسيلة هى أسمى الوسائل وأحكمها لإنها استوفت العدل والرحمة معا ، ووقفت بينهما إذ أعطت كلا منهما حقه . فالعدل لم يزل عدلا عندما ظهرت الرحمة والرحمة لم تزل رحمة عندما تم العدل ، فلم يكن بد إذن من أن يتجسد "كلمة الله" فى بشر ليتمم عمل الكفارة والفداء ويحقق خلاص الإنسان من لعنة الله وغضبه عليه) .

(ولكى يتجسد كلمة الله كان ينبغى ألا يكون هذا التجسد من صلب رجل ولا من زرع بشر . ومع ذلك كان يتعين أن يجئ من نفس الطريق الذى يأتى منه الناس ، وهو أحشاء امرأة . لأن كلمة الله إذا اقتضت العناية الإلهية أن تجسد فى صورة إنسان ، ينبغى أن يولد كما يولد الإنسان ، ولكنه فى الوقت نفسه لا ينبغى أن يولد فى الدنس ، أو يحل فى وعاء لحق الدنس به ، فلم يكن بد من أن يولد "كلمة الله" من عذراء طاهرة لم يمسسها من قبل بشر ، ولذلك تنبأ الأنبياء بأن كلمة لله سيتجسد فى صورة "ابن الإنسان" وأنه سيولد من عذراء كما تنبأوا بأنه سيكون من نسل إبراهيم جد اليهود ، ومن نسل داود أعظم ملوكهم وقد أطلقوا عليه بالعبرية لقب "المسيح" وباليونانية "المسيا" أى المسيح باعتباره ممسوحا ، أى معينا من الرب ليتمم العمل الجليل الذى ارتضته العناية الإلهية) .

هذا ما صدرت به اللجنة المشار إليها الممثلة للكنيسة القبطية ، تفسير إنجيل القديس متى ، وأعطت به تفسيرا لطريقة مولد المسيح عليه السلام ومبررا له ، ويمكن أن نلخص ما فهمناه من هذا التفسير كما يلى :

١- إن الانسان قد أخطأ فى حق الله وارتكب خطيئة ومعصية .

٢- إن هذه الخطيئة تستوجب العقاب من الله للإنسان - بإهلاكه وقتله - وفقا لقانون العدل الإلهى .

٣- أن الله كما يتصف بالعدل ، يتصف أيضا بالرحمة ولا بد من أعمال رحمته وذلك بالعفو عن الإنسان .

٤- أنه لكى لا تتعارض عدالة الله مع رحمته ، فقد دبرت العناية الإلهية حلا عجيبا ؟ تتحقق به الرحمة بخلاص الإنسان ، كما يتحقق به العدل بعقابه بالموت ، هذا الحل هو ترقية الإنسان لدرجة الالوهية ، وذلك بالنزول بطبيعة الله إلى الطبيعة الإنسانية ، والصعود فى ذات الوقت بطبيعة الإنسان إلى المستوى الإلهى .

٥- لكى يتم ذلك يجب أن يودع الله كلمته فى أحشاء عذراء طاهرة فتتجسد كلمة الله فى شكل بشر فتجمع بين الطبيعتين الإلهية والبشرية بعد اتحادهما اتحادا كاملا ، ثم يعاقب الله هذا الاتحاد المتجسد بالموت وإراقة الدم ، فيكون فى ذلك كفارة لخطيئته ، والخطيئة فى الشريعة اليهودية لا تكفر إلاّ بسفك دم .

٦- إن هذا يتطابق مع ما تنبأ به أنبياء اليهود ، ولا بد أن يقتنع اليهود بذلك فقد سبق أن ورد فى كتبهم بأسفار العهد القديم من الكتاب المقدس ؟

هذا هو ما ورد من تفسير من اللجنة الكنسية للعقيدة المسيحية ، ولنا عليها الملاحظات الآتية :

أولا: تنبنى العقيدة المسيحية على أن الإنسان قد ارتكب خطيئة فى حق الله سبحانه وتعالى ، وهذه الخطيئة تستوجب العقاب بقتل الإنسان حتى يتحقق العدل الإلهى ولم يبين لنا أى من الكتب المسيحية ما هية تلك الخطيئة بالتحديد التى تستوجب أن يعاقب الله الإنسان عليها

بالموت وسفك الدماء ، وإن كان يمكن حصرها فى واحدة مما يلى :

أ- عصيان آدم أمر ربه بأن يأكل من كل شجر الجنة إلاّ شجرة واحدة نهى عن الأكل منها ، ولم توضح لنا أى من الكتب المقدسة ما هى هذه الشجرة على وجه التحديد التى يستوجب الأكل منها عقابا يصل إلى حد قتل الإنسان والذى أوجده الله وخلقه بإرادته ، وأن كان الكتاب المقدس قد وصفها فى سفر التكوين بشجرة معرفة الخير والشر ، أو شجرة الخلد كما وصفها الشيطان عندما وسوس لآدم أن الله مامنعه من الأكل منها إلاّ لأنها ستجعله يعيش أبدا ، مما استوجب أن يطرد الله آدم من الجنة وأن يسكن الأرض .

ب- خطيئة قتل قابيل أخاه هابيل من أجل التنافس على الزواج من إحدى أخواتهما .

جـ- ما يكون اليهود قد ارتكبوه من عصيان لأوامر ربهم التى أبلغهم إياها نبيهم موسى وخروجهم على طاعته بأن عبدوا العجل الذى صنعه السامرى بجانب عبادتهم للمال وإيثارهم الدنيا على الآخرة واليهود هم الطائفة التى ولد فيها المسيح ونشأ ، وإليهم دون غيرهم بعث برسالته .

أما عن الخطيئة الأولى وهى الأرجح إذ أنها تتعلق بآدم أبى البشرية كلها ، وهو المورث للإنسانية جمعاء . وحسب العقيدة المسيحية فإن الأبناء مسئولون عما يرتكبه الآباء : (الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يدرسون) فإن آدم قد تلقى عنها عقابا فوريا بطرده من الجنة وتقتضى العدالة الإلهية أن لا يعاقب المخطئ عن خطيئته مرتين ، فالجريمة أرتكبت والعقاب المناسب لها أردفها وانتهى الأمر - هذا ما أوضحته كل العقائد السماوية ، ثم أن العقاب هنا مساو للذنب ، فالخطأ حدث فى الجنة ، والعقاب كان الطرد من الجنة . ففى الكتاب المقدس وهو أم المعتقدات المسيحية ، ورد فى سفر التكوين :

(وأخذ الرب الاله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها ، وأوصى الرب الإله آدم قائلا : من جميع شجر الجنة تأكل أكلا ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها تموت موتا . .)

إذن فالعمل المنهى عنه وضح له العقاب وقد حدد مسبقا ، وكان فى إمكان الله أن ينفذ العقاب الذى قال به - وهو العدل - والعدالة تقتضى أن من خرج على مقتضيات ما كلف به أو نهى عنه ، يلقى العقاب المحدد ، كما يقضى العدل أيضا أن من أرتكب الوزر فهو يعاقب بشخصه . فلماذا لم يمته الله حين ارتكب الوزر والمعصية ، ولماذا امد له الأجل إن لم يكن قد عفا عنه أو تغاضى عن العقاب كلية . وهل هناك من سبب يجعل الإله يحذر آدم وزوجه حواء من الأكل من شجرة الخير والشر ؟ ولم لم يخفها عنهما إن كان حقا يقصد ألا يأكلا منها ، وكان من اليسير على الله تعالى أن يخفيها فلا تظهر لهما . لكن الله شاء أن يعفو عن الإنسان بكامل إرادته حسبما قال فى سفر التكوين :

(ها هو ذا الإنسان قد أصبح كواحد منا عارفا للخير والشر) فهل كان الله يريد للإنسان أن يكون مثل البهائم ، لا يعرف الخير من الشر ؟ وماذا تكون مهمة العقل البشرى الذى ميز الله به الانسان عن سائر مخلوقاته ، إن لم تكن التمييز بين الخير وبين الشر .

وقد اتخذت اللجنة من بعض نصوص العهد القديم نبؤات تفيد مجئ السيد المسيح وألوهيته وإهلاكه كفارة لخطيئة الإنسان المزعومة ، بل لقد أوردوا ما يفيد الصلب بالذات وهى أسانيد أرادوا أن يشهروها فى مواجهة اليهود بنصوص وردت فى كتبهم لتكون حجة عليهم . ولو بعد قرون عدة .

ثم أن واقعة الطوفان فى عصر نوح ، ألم تغسل خطايا الإنسان ، فلقد أغرق الله كل أهل الأرض ، فيما عدا نوح ومن اختارهم من الصالحين ، وكان الله قادرا أن يميتهم أيضا فيهلك كل بنى الإنسان ، وهو القائل " ... إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد" "وما ذلك على

الله بعزيز" إذن فقد انمحت خطيئة آدم وحواء وبنى الإنسان جميعا بالطوفان ، فلم يعاقب الله الإنسان مرة أخرى ؟ هذا لو كانت الخطيئة إحدى الفرضين الأول والثانى .

أما إن كانت الخطيئة هى الفرض الثالث ، وهى منحصرة فى عصيان بنى إسرائيل ، بعد ما أنقذهم الله من عسف فرعون وقومه ، وأنقذهم من الغرق الذى كان من نصيب فرعون وجيشه وأنزل عليهم المن والسلوى ، وفجر لهم الأرض عيونا ، فدرأ عنهم الجوع والعطش ، إن كان ذلك فإن الكفارة هنا تكون من نصيب بنى إسرائيل وحدهم ، بل والعصاة منهم على وجه التحديد - كما فعل فى سدوم وعمورة - أو فى قوم عاد وثمود ، ولا تكون فى أتقياء بنى إسرائيل - والمسيح منهم ولا شك ، حسب طهر مولده . ثم أن العقاب هنا يكون على من يتسم بالإنسانية والبشرية أما القول بأن الله سبحانه ، كى يوازن بين العدل والرحمة وتوقيع العقاب فى ذات الوقت ، فقد ابتدع بدعا ، ودبر حلا عجيبا ، بأن يتجسد فى صورة بشر ليهلك هذا التجسد ، الذى وإن كان جزء منه بشر فإن الجزء الباقى إله أو ابن إله ، وهل يهلك الله ذاته ، أو يهلك ولده ولم ؟ لينزل العقاب على بنى الإنسان ؟

وهل يقتضى العدل الإلهى ، أنه لكى يعاقب الإنسان ، يرفع إلى طبيعة إلهية بدلا من أن يخفض إلى طبيعة دون البشرية ، كالحيوان مثلا أو الجماد ، فيسخط حجرا أو شجرا يحرق ألا ما أغرب هذا المنطق وما أبعده عن التصديق .

ثم أخيرا أن هذا المنطق هو لإقناع اليهود ، إذ هم حينذاك الطائفة الوحيدة التى تدين بدين سماوى ، ولأن كتبهم هى التى تنبأت بذلك ، ولأن الله فى اعتقادهم يمكن أن ينزل إلى الأرض ويظهر فى صورة إنسان ، أليس الرب الإله هو الذى جاء إلى إبراهيم فى صورة إنسان ، وقبل دعوته للطعام ، واضطجع تحت شجرة ، وغسل قدميه من تراب الطريق ؟؟ (تكوين اصحاح ١٨) ثم أليسوا هم اليهود الذين توجب شريعتهم إذا عمل أحدهم خطيئة أن يسفك دما وأن يقدم ذبيحة ومحرقة أمام هيكل الرب ؟؟

ثم لنرجع إلى خطيئة آدم ، هل ارتكبت فى غفلة من الله ومن علمه ، بل ومن سابق علمه ، وهو القائل فى القرآن الكريم فى سورة البقرة :

"وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة . قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال إنى أعلم ما لا تعلمون" . البقرة ٣٠.

فالله قبل أن يخلق الإنسان خلق الأرض وكل الكائنات تمهيدا لاستخلاف الإنسان عليها ، ليعمرها ولينفذ مشيئة الله فيها ، فالله عالم علما مسبقا بما هو كائن وبما سيكون ، آلا يعلم من خلق ما خلق ، وهو القائل سبحانه :

"ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه . ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" . البقرة ٦

وهل خالق الدمية وصانعها ومصممها ، لا يعرف ماذا سيكون أداؤها ، وهو الذى صممها وركب أجزاءها وجعل لكل جزء وظيفة معينة ، وهل معلم النشء لا يعلم ما سوف يتصرف كل واحد من تلاميذه على ضوء ما علمهم ولقنهم ، وعلى ضوء ما خبره من امكانياتهم وسلوكهم ، فالله سبحانه حين قال لآدم وحواء لا تقربا هذه الشجرة ، كان عالما بما سيفعلان ، بل لقد أعد لهما الأرض لتكون معاشا لهما ولأبنائهما بعد خروجهما من الجنة ، وكان عالما بأن الشيطان سيوسوس لهما وسيستمعان لوسوسته ، وهو قد أعد للشيطان مكانا قريبا من الإنسان ، وأعطى للإنسان جهاز المناعة ضد الشيطان وأعطاه حرية استخدامه ، فلم يكن خافيا على الله سبحانه ما سيقوله الشيطان وما سوف يفعله الإنسان وخلق الإنسان ضعيفا ، وكان هذا هو الدرس الذى أراد الله أن يلقنه للإنسان ، كى يحذر من الشيطان ، وعلى هذا فهل ما نسب للإنسان أنه خطيئة تستحق الموت بهذا الشكل الدرامى ، هل هى حقا خطيئة أم هى هفوة كان الله عالما بها ومقدرا لها ، كلا إنها تجربة وليست خطيئة ، ليعلم الإنسان

إلى أى مدى يمكن أن تؤدى به وسوسة الشيطان ، ولو أنها تستحق المؤاخذة ، لكنها درس على الإنسان أن يتعلمه وأن يأخذ من الشيطان حذره .

ولقد عفا الله عن آدم حيث يقول :

"فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه . أنه هو التواب الرحيم" .
البقرة ٣٧

ثم هب أن آدم أخطأ ، فهل خطيئته يسأل عنها كل البشر ، أم أن المخطئ وحده يسأل عن خطيئته ، مثلما المحسن وحده يثاب عن إحسانه . إن الإسلام يقوم على الفردية فى الثواب والعقاب :

"ولا تزر وازرة وزر أخرى"
"وكل نفس بما كسبت رهينة"
"ولا يظلم ربك أحدا"

إذن فلا الأب يحاسب عما فعله ابنه ، ولا الأبن يحاسب عما فعله أبوه ، ولنأخذ إبراهيم الخليل - وهو أبو الأنبياء - مثلا ، فقد كان أبوه من عبدة الأوثان ، بل كان يصنعها ويروجها ، فهل يحاسب إبراهيم عما صنع أبوه ؟ فى الديانة اليهودية لم يذكر الكتاب المقدس شيئا عن آزر أبى إبراهيم ، أكثر من أنه قد ولد منه ، وهو مسمى فى الكتاب المقدس "تارح" وأولاده أبرام وناحور وهاران . أما ديانة تارح أو عقيدته فلم يذكر عنها الكتاب المقدس شيئا ، أما فى القرآن فقد ذكرت محاجة إبراهيم لأبيه :

"يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا" .
"يا أبت لا تعبد الشيطان ، إن الشيطان كان للرحمن عصيا" .
"يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا" .
مريم ٤٢ وما بعدها

فلما لم يستمع آزر لكلام ابنه إبراهيم وينصرف عن وثنيته ، واستيأس ابنه منه ، ماذا قال له ، ألأنك و لدتنى أو لأنك أنجبت نبيا ، فسيغفر الله لك ؟ كلا بل قال :

"سلام عليك سأستغفر لك ربى" . مريم

هذا هو كل ما استطاعه إبراهيم لأبيه ، أن يستغفر له ربه ، فإن شاء غفر له ، وإن لم يشأ فهو أحكم الحاكمين أما نبوة إبراهيم وصلاحه واتباعه دين ربه ، فلن تغنى عن والد إبراهيم شيئا :

"إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون" . آل عمران ١١٦

وجاء فى سورة لقمان"

"يا أيها الناس أتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا" . ٣١ لقمان ٣٣

فالمسئولية فى الإسلام مسئولية شخصية ، يجازى المرء ويثاب عما يفعل دون غيره ، فلا شأن لأبيه أو لأخيه أو زوجه أو بنيه ، كل يحاسب عما يفعل . ولعل القانون الوضعى قد أخذ ذلك المبدأ عن الإسلام - فالجزاء - إن ثوابا أو عقابا - هو من نصيب الفاعل دون غيره اللهم إلا إذا كان له فيه شريك ، فالجزاء على قدر ما شارك أو عاون به .

فلا خطيئة فى الإسلام يتحمل مسئوليتها الأبناء عن الآباء ، أو الآباء عن الأبناء ، وهناك مثالان لذلك فى الإسلام ، نوح وأبنه ، لوط وزوجه ، لم يغن أى منهما عن الآخر شيئا . فى حين أن آسيا امرأة فرعون لم تؤخذ بكفر زوجها .

"يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه" . ٨٠ عبس ٣٤ - ٣٧

ذلك هو قولهم ، وذاك قول الله تعالى ، وليس أصدق من الله قيلا.

ولنأخذ مثالا عمليا من واقع حياتنا اليومية ، هب أن أبا قد أقدم على قتل إنسان بغير سبب مشروع ، فمن الذي يحاكم ويدان ، هل هو الأب القاتل وحده ، أم يحاكم معه أبناؤه وزوجه ، ولم يرتكب أحدهم الجريمة أو يشارك فيها حتى وإن كان حاضرا ، فهل تكون عدالة السماء أقل من عدالة الأرض !!

وإذن فإن التخريج الذى وصلت إليه لجنة ترجمة الك؛تاب المقدس ، لا يتمشى مع المنطق الانسانى ، فما بالك بالمنطق الالهى !!!

الناسوت واللاهوت

ان أخطر ما فى العقيدة المسيحية اليوم ، هو تأليه المسيح التى لم تظهر فى أول الدعوة المسيحية كما لم ينطق بها المسيح نفسه ، وانما جاءت على لسان أتباعه والمتشيعين له فى كتاباتهم المتأخرة ، حيث ذكروا فى أناجيلهم ان المسيح حين سئل : هل انت حقا "ابن الله" فكان رده : "ها انت قلت...." وهو رد ان لم يكن يحمل النفى أو الاثبات ، فهو الى الاثبات أقرب .

والعبارات التى وردت فى الاناجيل عن طبيعة المسيح عليه السلام ، ليست واضحة صريحة بما لا يدع مجالا لاثارة الخلاف بينها ، بل لقد ثار الخلاف عن طبيعة المسيح بين المسيحيين أنفسهم حتى لقد أدى ذلك الى انقسام المسيحيين الى مذاهب متعددة بسبب ذلك ، فالمسيح لم يقل عن نفسه فى بادئ الامر انه " الله" المتجسد فى شكل انسان ، رغم انهم يزعمون انه أخذ يعلن عن ذلك شيئا فشيئا للمقربين منه فحسب .

وقد اختلفت المذاهب المسيحية فيما بعد حول طبيعة المسيح "الناسوتية" أى البشرية باعتباره "ابن انسان" وبين طبيعته "اللاهوتية" نسبة الى انه "ابن الله" أو "الله" المتجسد فى صورة انسان ليحمل عن الانسانية خطاياها!!

ولنحاول ان نستشف تلك الطبيعة المزدوجة من تعاليم الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بالاسكندرية ، وهى من أقدم الكنائس العالمية المعروفة بتمسكها بالعقيدة المسيحية ، من منشورات كلية البابا كيرلس السادس اللاهوتية للكرازة المرقسية ، عن تعليم الكنيسة المرقسية وأخواتها الكنائس الارثوذكسية الشرقية القديمة بل ومن التقرير الذى قدم الى المؤتمر العالمى المنعقد بمدينة القدس القديمة فى ابريل سنة ١٩٥٩ ، والذى قدمه الأرشيد ياكون الدكتور وهيب عطا الله جرجس ، ممثلا لوجهة نظر تلك الكنيسة [١] والمعبر عنها بأنها كنيسة روحانية وصوفية باطنية

---

(١) ورد ذلك فى كتاب دعوة الحق بين المسيحية والاسلام للاستاذ منصور حسين عبد العزيز ص ٤٠٩ .

جوانية ، "التى قاوم قادتها الروحانيون ما جاء به الفلاسفة من خلط بين الدين والفلسفة ، هذا الخلط الذى هو أصل الهرطقة ، حيث بدأ أكثر الهراطقة رجالا أتقياء ، ولكنهم خلطوا الدين بفلسفتهم الخاصة فضلوا وهرطقوا [١]"

ويقول الدكتور وهيب عطا الله جرجس - وهو حاصل على الدكتوراه فى الأداب والدراسات المصرية والقبطية وحاصل على بكالوريوس فى اللاهوت وليسانس فى الاداب أمام هذا المؤتمر العالمي :

"انى أجرؤ ان اقرر ان الخلاف بين الكاثوليك ومن يقولون بقولهم من أصحاب الطبيعتين كالبروتستانت وبعض الأرثوذوكس الذين يعترفون بمجمع خلقدونية من جانب ، وبين القائلين بالطبيعة الواحدة فى السيد المسيح وممن لا يؤمنون بقانونية مجمع خلقدونية من جانب آخر ، أقول ان الخلاف بين هؤلاء وأولئك هو خلاف فلسفى صرف ، يقوم على أساس التعبير الصحيح الذى ينبغى أن يعول عليه عن الاتحاد الكائن بين "لاهوت السيد المسيح" و "ناسوته" ولكن المسيح عنده طبيعة واحدة ."

وهو يعترف بهذا التناقض ، انما يرد عليه : "ان فى ديانتنا أسرار نؤمن بها ونقبلها بكل يقين وايمان ، لا لشئ الا لأنها قد أعلنت لنا من الله . ونحن نؤمن بها على الرغم من معارضتها لحواسنا أو مناقضتها لعقلنا المادى لا لشئ الا لاننا أيقنا بأنها من الله ."

ويسترسل سيادته :

"ان الايمان الأرثوذوكسى كما تعترف به كنيستنا هو ان ربنا يسوع المسيح كامل فى لاهوته وكامل فى ناسوته ومع ذلك لا نجرؤ على القول أنه اله وانسان معا لان هذا التعبير ينطوى على معنى الانفصال بين

---

(١) من كلام الدكتور وهيب عطا الله بالمؤتمر .

اللاهوت والناسوت . وانما نقول بالحرى أنه "الاله المتجسد" . فاللاهوت والناسوت متحدين إتحادا تاما فى الجوهر وفى الاقنوم وفى الطبيعة" وبمعنى آخر "طبيعة واحدة من طبيعتين" واننا نعجب حقا أشد العجب فى هذا الكلام الذى يتعارض مع المنطق ومع العقل "طبيعة واحدة من طبيعتين" ماذا يعنى هذا كيف تكون الطبيعة أحادية وثنائية فى ذات الوقت . ويرد السيد المتكلم على نفسه بقوله :

"وياللاسف اننا لا نستطيع بهذا المنهج فى معالجة المسائل الدينية والحقائق اللاهوتية ، ان نفهم روح الديانة فعندما يتدخل العقل تقف التجربة الروحية الصوفية بل تختفى - ويرد على نفسه - ان لنا ان نستخدم عقولنا الى حد معين ، وحينئذ يجب ان يقف العقل ويسلم قياده للتجربة الروحية الصوفية" .

ولقد وضعنا السيد "الارشيد ياكون" فى حيرة من أمرنا ، هل نستخدم العقل أم لا نستخدمه ، فاذا قال استخدموا العقل ما يلبث ان يقول أوقفوا استخدام العقل ...

والعقل هو ماميز به الله سبحانه وتعالى ، الانسان عن باقى مخلوقاته وهو الفرق بين الانسان والحيوان الذى تحل الغرائز عنده محل العقل . وبين العاقل وغير العاقل وبين المتعلم والجاهل . حتى الجاهل لابد له من استخدام العقل . وان كان استخداما قاصرا .

والله عندما خلق الانسان ميزه بالعقل ، ثم أمره ان يستخدم هذا العقل فى كل أموره ، ثم جعل العقل فى الانسان محل التكليف ، ونطاق المساءلة ، فالحيوان والنبات والجماد كل ذلك غير مسئول عما يفعل أو يفعل به ، لأنها قد أعفيت من المساءلة ، شأنها شأن الانسان فاقد العقل ، أما الانسان الواعى العاقل فمسئول ومحاسب عن كل أفعاله ، لأن له عقلا يميز به الأشياء ، ويوازن بين ما ينفعه وما يضره .

وواجب الانسان نحو نفسه ان لا يأخذ المسائل قضايا مسلمة ، وانما عليه ان يفكر فى الامور ويمحصها قبل ان يصل فيها الى رأى . والعقيدة الدينية وسيلتها الفكر والعقل ، أما العبادة بعد العقيدة - فوسيلتها الطاعة بعد الإقتناع والتسليم .

وان "ألوهية المسيح" هى أخطر ما فى العقيدة المسيحية ، فان من حق كل مسيحى - بل من واجبه نحو نفسه وانسانيته ونحو ربه - ان يناقش هذه المسألة على ضوء العقل والفكر السليم .

ان السيد المسيح لم يقل عن نفسه انه "اله" أو انه "الله" ، والذين يعتقدون هذا الاعتقاد ، انما استقوا فكرهم هذا من مصدرين ، الاول هو بعض الرموز التى وردت فى العهد القديم ، عن "ابن الله" أو ابن الآلهة" ، ولقد أوضحنا فى هذا المجال أمرين : الأول - ان العهد القديم ليس كتابا منزلا من السماء وليس كتابا موحى به من السماء ، وانما هو كتابة أشخاص مختلفين ، كتبوا ما كتبوا عن هوى فى نفوسهم وأهداف إستهدفوها ، أو بالاكثر تشنجات كانت فى بعضها ابتهالات أو آمال أملتها الحالة النفسية التى كان عليها الكاتب ، أو الضغط والقهر الواقعين عليه . فلا يصح أن يؤخذ ذلك قضية مسلمة .

أما الامر الثانى ، فهو ما نتج عن مولد السيد المسيح بغير أب ، من نفخة من روح الرب . ففسر المفسرون ان هذه "بنوة لله" وهذا تزيد ، فلو نظرنا الى آدم وكيف خلق ، لفطنا ان خلقه كان أصعب من خلق عيسى بنفحة من روح الله هذا فى تمثال من صلصال وذاك فى رحم إمرأة . فهل قال أحد أن آدم هو إبن الله ... فيما عدا انجيل لوقا .

ثم انت وانا وسائر البشر ، قد خلق نتيجة نفخة من روح الله ، تلك الروح التى أودعها الله تعالى فى المضغة الآدمية ، والتى لولاها لكانت تلك المضغة قطعة من اللحم الميت ، لا روح فيها .

وكم من لقاء بين رجل وإمرأة لم ينتج عنه ثمرة جنين ، لأن الله لم يشأ ان يهبهما نفحة من روحه ، وما سارة زوج ابراهيم واليصابات زوج زكريا الا أمثلة لذلك قبل ان يهب الله لهما الخصب كما ورد بالكتاب المقدس ذاته فضلا عما تشاهده كل يوم فى محيطنا .

فنفحة الروح الالهى فى رحم مريم ، ليس شيئا مفردا فى حد ذاته وان كان مغايرا للقانون الطبيعى لأنه وقع على بويضة أنثى فارغة ، وروح الله التى ينفثها فى رحم امرأة ، تقع على بويضة أنثى ملقحة بنطفة رجل ... هكذا شاء الله تعالى ان يكون قانون الانسان فى البشر وهذا هو الفرق بين مولد عيسى ومولد غيره من البشر .

ولكن هذا امر ، والألوهية أو الانتساب للاله أمر آخر .

ثم ان تأليه عيسى بإعتقاد أنه "الله المتجسد" فيه إفتراء على الله سبحانه وتعالى وقصور فى تصور ذاته وتصور قدراته ، وهو الذى -ليس كمثله شئ- فهو ليس مادة ولا جسدا ، والاجساد كلها من خلقه ، فما حاجته -جل وعلا- الى ان يتشبه بمخلوقاته ، وينزل من ملكوته الى الارض . وهى أدنى مخلوقاته بحيث سميت "الدنيا" لوضاعتها وقد وسع عرشه السموات والارض جميعا .

ثم ما هى الارض بالقياس الى السموات العلى ، وفيها كل عجيب وكل أمر عظيم ، مما لا تدركه أفهامنا ولا تحسه أحاسيسنا .

ثم إذا كان الله - تقدست ذاته وتنزهت صفاته - قد أراد ان يتجسد فى صورة أحد مخلوقاته ، فلم لم يختر صورة الملائكة الاطهار مثلا ، أو أحد مخلوقاته الجبارة كالشمس مثلا بما تمثله من بهاء وجمال أو الفراشة بما تمثله من رقة وعذوبة ، واختار الانسان المدنس الخؤون الكذاب ... ذا التناقضات كلها ، والله هو صاحب الكمال المطلق ، ألا له الخلق والأمر .

الفصل السابع

شاؤول اليهودى ألد أعداء المسيح ينشىء مسيحية اليوم ويسمى نفسه بولس الرسول

- بولس يجعل للرسل (الحواريين) معجزات كما للمسيح .

شاول الذ أعداء المسيح ينشئ مسيحية اليوم
ويسمى نفسه : بولس الرسول

اتضح لنا من تعدد الأناجيل واختلافها فى الوقائع الرئيسية والثانوية ، أنها لا تمثل فى مجموعها تعاليم السيد المسيح ولا أقواله ، كما أنها لم تكتب بأملائه ، أو فى زمانه ، وإنما حررها محررون مختلفون عن وقائع لم يشهدوها وإنما سمعوها أو نقلوها بتصرف أو بإضافة أو بحذف ، ومن هنا وردت غير متطابقة فى إجمالها أو تفصيلها .

وإذا حدثت بالطريق حادثة ، وجاء شخص يروى تفاصيلها ، فإن كان قد شهدها ورآها رأى العين ، فغالبا ما تكون روايته فى إجمالها صحيحة أو أقرب إلى الصحة - هذا إذا كان صادق الرواية متجرد الرأى أما أن كانت له مصلحة أو هوى فقد يغير بعض وقائعها أو وقائعها كلها ، فإن لم يكن قد شهدها ، وإنما سمعها فقط فإن روايته تكون أقل صدقا من الأولى وأقل تعبيرا عن الواقع ، فإذا روى الرواية أكثر من راو ، واختلفت رواياتهم ، فأما أن يكون واحد منهم فقط قد رآها ، والباقون قد سمعوا عنها ، أو يكونون كلهم قد سمعوا عنها ، أو تكون الرواية كلها لا أصل لها إذا كانت مختلفة من أساسها - وقديما قالوا "ليس من سمع كمن رأى" .

والثابت تاريخيا أن الأناجيل الأربعة المعترف بها ، لم يكتب أى منها فى حياة المسيح ، كما تحوط الشكوك بكاتبيها وأن من نسبت إليهم ليسوا هم كتبتها الحقيقيون ، وأن كتبتها لم يكونوا من تلاميذ المسيح أو من أطلق عليهم اسم الحواريين وبالتالى لم يشهدوا أيا من الوقائع التى أثبتوها بأناجيلهم ، وقد ثبت أن تحرير هذه الأناجيل الحالية الأربعة قد تم ما بين سنة ٦٥ ميلادية وسنة ١٠٠ ميلادية ، أى بعد اختتام حياة المسيح بخمس وثلاثين إلى خمس وستين سنة ، وأن ما كتب قد كتب فى الظلام لما ساد تلك الفترة من اضطهادات دينية بلغت حد القتل . ولقد كان من نتيجة انتقاد المسيح لكهنة اليهود ومشايخهم علنا فى المجامع وفى

الهيكل أحيانا لخروجهم على تعاليم موسى ونزوحهم إلى المادية ، أن تآمروا عليه لقتله ، وقد قبضوا عليه بالفعل وحاكموه وحكموا بصلبه فخاف تلاميذه وهربوا .(متى ٢٦ : ٥٦ ومرقس ١٤ : ٥٠)

ولقد اضطهد أتباع المسيح عقب اختفائه وتشتت تلاميذه وتفرقهم فى البلاد المختلفة وكان من بين من أوغلوا فى اضطهاد اتباع المسيح شخص يهودى النشأة يدعى شاول - أو شاءول - قالت عنه الأناجيل أنه كان يهاجم الكنائس ويخرج روادها ويتصدى لمن يلقاهم بالطريق فيقبض عليهم ويسوقهم مكبلين بالسلاسل أو الحبال إلى السجون . على اعتبار أنهم متمردين على الدين اليهودى وعلى الدولة .

شاول اليهودى هو بولس الرسول مؤسس مسيحية اليوم:

هذا الشخص اليهودى المدعو شاول كان واسع الذكاء ، وما لبث أن هداه ذكاؤه إلى فكرة يتحقق له بها مبتغاه ، إلا وهى هدم المسيحية التى دعا إليها عيسى من الداخل ، فما لبث أن خرج على الناس بقصة انضمامه للمسيحية بتوجيه من المسيح الذى ظهر له بالطريق وزجره لمحاربته إياه ، وأمره أن يكرز بالمسيحية مخترعا القصة التالية التى وردت فى أعمال الرسل:

(وحدث فى ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التى فى أورشليم فتشتت الجمع الذى فى كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل . وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة ويدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ويسلمهم إلى السجن) . أعمال الرسل اصحاح ٨ .

ويستطرد الاصحاح التاسع: (أما شاول فكان لم يزل ينفث تهديدا وقتلا على تلاميذ الرب ، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق ، إلى الجماعات حتى إذا وجد أناسا فى الطريق رجالا ونساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم ، وفى ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق ، فبغتة أبرق حوله نور من

السماء فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له: شاول شاول لماذا تضطهدنى ، فقال من أنت أيها السيد ، فقال الرب أنا يسوع الذى أنت تضطهده . فقال وهو مرتعد ومتحير: يارب ماذا تريد أن أفعل ، فقال له الرب: قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل . فنهض شاول عن الأرض . وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحدا فاقتادوه ، وأدخلوه دمشق) . اصحاح ٩ .

وفى دمشق يأمر الرب تلميذا اسمه حنانيا أن يذهب إلى شاول ويلقنه ما يريده الرب فيجيب حنانيا (يارب قد سمعت من كثيرين عن هذا الرجل كم من الشرور فعل لقديسيك فى أورشليم وها هنا له سلطان من قبل رؤساء الكهنة أن يوثق جميع الذين يدعون باسمك . فقال له الرب اذهب لأن هذا لى إناء مختار ليحمل اسمى أمام أمم وملوك بنى إسرائيل ، لأنى سأريه كم ينبغى أن يتألم من أجل اسمى) .

هذه هى القصة التى اخترعها شاول عن نفسه وأشاعها ، أن المسيح ظهر له وأمره أن يبشر بدينه ومنذ تلك اللحظة انقلب من يهودى متزمت ضد المسيح إلى مسيحى مخلص يحمل لواء الدعوة المسيحية لكن بعد أن نسخها وأدخل على الدعوة ما شاء من الأباطيل فهو الذى نسب إلى عيسى أنه ابن الله وهو الذى دعى بالثلاثية "الأب والابن والروح القدس" واسمى نفسه بولس الرسول وطلب من الكل أن يصدقوه ويتبعوه ، ومن لم يتبعه أو يعارضه يسلط عليه ألسنة حدادا ، وكتب أعمال الرسل تحكى أعماله ، ويقال أنه هو الذى كتب انجيل يوحنا ، وقد ضم إليه كلا من لوقا ويوحنا الذين سارا على دربه ونفذا خطته وكان برنابا فى أول الأمر يصاحبه فى تنقلاته ودعوته للمسيح ، فلما آنس منه إنحرافا عن أقوال المسيح وتعاليمه وكان برنابا أحد حوارى المسيح وواحدا من رسله إلى الجماعات - افترق عنه وناصبه العداء وكتب انجيلا يناهض فيه كتابات وأعمال بولس ، وسوف نتكلم عن برنابا فيما بعد وكان من خطب بولس التى وجهها إلى اليهود ما يلى حيث قال:

(أيها الرجال الإسرائيليون الذين يتقون الله ، اسمعوا : إله شعب إسرائيل

هذا اختار آباءنا ورفع الشعب فى الغربة من أرض مصر وبذراع مرتفعة أخرجهم منها ... ونحو أربعين سنة احتمل عوائدهم فى البرية ... وبعد ذلك فى نحو أربعمائة وخمسين سنة أعطاهم قضاة حتى صموئيل النبى .. ومن ثم طلبوا ملكا فاعطاهم شاول بن قيس رجلا من سبط بنيامين أربعين سنة ، ثم عزله وأقام لهم داود ملكا .. من نسل داود هذا حسب الوعد أقام لهم مخلصا يسوع .. إذ سبق يوحنا فكرز قبل مجيئه بمعمودية التوبة لجميع شعب إسرائيل .. أيها الرجال الأخوة بنى جنس إبراهيم والذين بينكم يتقون الله إليكم أرسلت كلمة هذا الخلاص .. إذا انا يسوع كما هو مكتوب أيضا فى المزمور الثانى: أنت ابنى .. أنا اليوم ولدتك.. فليكن معلوما لكم أيها الأخوة أنه بهذا ينادى لكم بغفران الخطايا) . أعمال الرسل اصحاح ١٣ .

وعلى هذا المنوال سار شاول اليهودى الأصل والمنشأ والعالم بدين اليهودية وما فى كتبهم ، فأخذ يستنبط مما فى العهد القديم وكتابات اليهود ما يبشر به بالنسب لعيسى وشد انتباه اليهود بما يذكر عن ماضيهم وأنبيائهم ونبوات هؤلاء الأنبياء التى راح يخلعها على عيسى حتى لقد حدثت بلبلة بين اليهود فوقفوا ضد شاول واتهموه بخيانة اليهود ونادوا بقتله فكانت فتنة كبرى ، ولما اجتمع كهنة اليهود ليحاكموا شاول - المسمى نفسه عند المسيحيين بولس الرسول - وعلم أن قسما من قضاته من الصدوقيين والقسم الآخر من الفريسيين أراد أن يلعب بمشاعرهم وأن يستميل معه فريقا منهم ، فصرخ وقال: أيها الرجال الأخوة ، أنا فريسى ابن فريسى على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم ... أعمال الرسل ٢٣ - ٦

ومن قبل ذلك كان يقف وسط الشعب الهائج ويقول: أنا رجل يهودى ولدت فى طرسوس كيليكية ، وكنت غيورا كما أنتم جميعكم اليوم ، واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيدا بسلاسل ومسلما إلى السجون رجالا ونساء كما يشهد لى أيضا رئيس الكهنة وجميع المشيخة - أعمال الرسل ٢٢ : ٤ ثم يأخذ فى سرد قصة الوميض الذى لاقاه والصوت الذى أخذ يناديه شاول شاول لماذا تضطهدنى ..

فإذا قدمه اليهود إلى الوالى الرومانى فهو يدعى له أنه رومانى ويتساءل أيجوز لهم أن يعاقبوا إنسانا رومانيا ، فيهب الوالى لنجدته - أعمال الرسل ٢٢:٢٥ .

وهكذا كان شاول - بولس الرسول - يلبس لكل مناسبة لباسها ، ويستعين بذلاقة لسانه وسعة ذكائه وحسن منطقه فى تخليص نفسه من أى ورطة يقع فيها ، وقد أجمع عدد من اليهود وكان عددهم يزيد على الأربعين نذروا أن يصوموا ولا يتناولوا طعاما إلاّ بعد قتله ، فما كان منه إلا أن أرسل ابن اخته إلى الوالى الرومانى الوثنى العقيدة الذى لا يدين لا باليهودية ولا بالمسيحية ولا يهمه من أمرهما شئ ، والذى ادعى شاول من قبل أمامه أنه رومانى لينجو من العقاب ، فاوعز هذا إلى جنده أن يساعدوه على الهرب من ثورة الجماهير الهائجة .

(وبعد خمسة أيام انحدر حنانيا رئيس الكهنة مع الشيوخ وخطيب اسمه ترتلس فعرضوا للوالى ضد بولس قائلين: إننا إذ وجدنا هذا الرجل مفسدا ومهيج فتنة بين جميع اليهود الذين فى المسكونة وقدام شيعة الناصريين ، وقد شرع ينجس الهيكل أيضا ، فأمسكناه وأردنا أن نحكم عليه حسب ناموسنا) . أعمال الرسل ٢٤ .

فاستعان بولس بذلاقة لسانه وأخذ يتملق الوالى قائلا: (إنى إذ علمت منذ سنين كثيرة أنك قاض لهذه الأمة ، أحتج عما فى أمرى بأكثر سرور ، وأنت قادر أن تعرف أنه ليس أكثر من اثنى عشر يوما منذ صعدت لاسجد فى أورشليم ، ولم يجدونى فى الهيكل احاج أحدا أو أصنع تجمعا من الشعب ولا فى المجامع ولا فى المدينة ولا يستطيعون أن يثبتوا ما يشتكون به الآن على ، ولكننى أقر لك بهذا أننى حسب الطريق الذى يقولون له شيعه هكذا ، أعبد إله آبائى مؤمنا بكل ما هو مكتوب فى الناموس والأنبياء) .

وهكذا كان بولس أمام اليهود يذكر أنه يهودى الأصل وأنه مخلص لتعاليم موسى ولناموسه ، وأمام الحكام الرومانيين يستعين بذلاقة

لسانه ويتملقهم ، وإذا رأى منهم ميلا ضده يهددهم بأنه سيرفع الأمر إلى القيصر حتى لا يصدروا حكما ضده .

ولنقرأ الآن ما كتبه أحد المفكرين الغربيين عن مسيحية اليوم ودور بولس الرسول فيها ، ذلك جيرالد بيرى وهو نموذج لتفكير المثقفين الغربيين - فى كتابه عن أديان العالم (Religions of the world) .

ولد المسيح عيسى فى عهد أوغسطر قيصر الرومان ، فى العام الرابع قبل التاريخ الميلادى ، فى بلدة الناصرة بفلسطين ، وأمضى الثلاثين سنة الأولى من حياته فى حانوت للنجارة يملكه والده يوسف النجار حتى بلغ الثلاثين فجهر بدعوته عقب القبض على يوحنا المعمدان وقد بنى عيسى تعاليمه على الثقافات اليهودية التى نشأ فى أحضانها واستطاع بفصاحته أن يضم له كثيرا من الأتباع والتلاميذ ، ولم يدع أنه المسيح الذى ينتظره اليهود ليخلصهم من أوضاعهم المنهارة والملقب بأسفار الكتاب المقدس والمزامير بلقب "المسيا" وإنما خلع عليه أتباعه من اليهود المنضمين إليه هذا اللقب المستمد من كتبهم القديمة . وقد اثار عيسى كهنة اليهود بانتقاداته الكثير من تصرفاتهم ولخروجهم عن التعاليم الحقيقية لموسى وإنغماسهم فى المادية والملذات فثاروا عليه وتآمروا لقتله ، وبالفعل اثاروا عليه الجماهير واستطاعوا أن يضغطوا على الوالى الرومانى بيلاطس ، الذى سلمه لهم ليحكموا عليه حسب شريعتهم فحكموا عليه بالصلب .

ولأنه كان يتجه بعظاته وتعاليمه إلى الطبقة الدنيا من الشعب الرازحة تحت نير الكهنة وشيوخ اليهود فقد لقيت دعوته استجابة من العامة ، خصوصا عندما وجه دعوته إلى من أسماهم "الضعفاء والمثقلون بالذنوب" فكانت الجماهير تتبعه فى جولاته ويلقبونه "ملك اليهود" مما خشى معه رؤساء الكهنة على نفوذهم ، فأثاروا عليه الجماهير وانتهى الأمر بقتله ، مما أصاب تلاميذه ، وأتباعه بالذعر فهربوا واخذوا يختفون ويفرون ألى أماكن بعيدة حتى أن أقرب اتباعه - سمعان الملقب ببطرس - أنكر أمام جمع المحاكمة أنه يعرفه .

وكادت دعوة المسيحية أن تطمس أو تنقرض ، إلى أن جاء من يدعى شاول وهو يهودى رومانى من الفريسيين إحدى طبقات اليهود الحاكمة - ولم يكن قد تتلمذ على عيسى ولا حتى سمعه ، فلعب شاول هذا دورا أعاد للمسيحية الحياة حتى ليقول معظم المؤرخين أن شاول - بولس الرسول - هو المؤسس الحقيقى للمسيحية الحالية وواضع فلسفتها ومفاهيمها بعد أن كان من أكبر أعدائها المناوثين لها ، وأطلق على نفسه اسم "بولس الرسول" بعد أن خلع على كثير من أتباع المسيح لفظ الرسل حتى يبشروا بالدين الجديد بعد أن وصف المسيح بالألوهية واستعان بكثير من ثقافات اليهود والرومان الذين كانت فلسفتهم تقوم على اتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة أو ابن الإله أو الملاك الملقب بالروح القدس ومن هنا أدخل بولس على المسيحية فلسفة الثالوثية وأن المسيح ذا طبيعتين أحداهما ناسوتية - باعتباره إنسانا ينتمى إلى آدم - والأخرى لاهوتية بإنتمائه إلى الله واعتباره ابن الله الذي تجسد ودخل إلى رحم مريم العذراء ليكتسب صفة البشرية .

وقد بدأ بولس دعوته فى إنطاكية حيث ظهر لأول مرة "المسيحية والمسيحيون ، ولم يكن عيسى يسمح لأتباعه أثناء حياته أن ينسبوا أنفسهم إليه بمثل هذه الصفة حيث كان يعتبر نفسه مجرد نبى من أنبياء بنى إسرائيل وحلقة من حلقاتهم ، وكانت شريعة موسى هى شريعته ولم تظهر كلمة مسيحى إلا فى القرن الثالث الميلادى حيث تبناها المجلس الذى عقد آنذاك بمدينة نيس(١) .

ويقول "بيرى" إن الأناجيل الأربعة التى تعترف بها الكنيسة والمنسوبة إلى بعض الحواريين ليست فى الحقيقة من كتاباتهم فقد كتبت باللغة اليونانية بعد وفاة عيسى بحوالى جيل أو جيلين ، وأقدمها هو إنجيل

---

(١) مصادر المسيحية للخواجا كمال الدين - نقلا عن كتاب المسيحية للدكتور أحمد شلبى .

مرقس عام ٦٥ ميلادية الذى أخذ عنه كل من إنجيل متى وإنجيل لوقا ، أما أنجيل يوحنا فمدون سنة . . ١ ميلادية ، أما إذا كانت هناك كتابة عن تاريخ حياة المسيح فلا شك انها كتبت بلغته الآرامية وأن الأصل قد فقد ، وأن كانت الأناجيل المذكورة قد نقلت عنه بعض فقراتها بعد ما أدخل بولس الرسول تعاليمه وفلسفته عليها .

ويعتبر بولس هو المؤسس الحقيقى للمسيحية الحاضرة وأنه اقتبس من بعض الوثنيات كثيرا من الطقوس كما اقتبس من صورة "حورس وأوزوريس" صورة للعذراء مريم والطفل عيسى وكذلك طور فى الفلسفة اليهودية وخرج بفلسفة جديدة هى فلسفة الفادى المخلص لمغفرة خطايا الذنوب للإنسان ، كما حد من الشهوات الجسدية وعدل يوم الراحة من السبت إلى الأحد حتى لا تذوب المسيحية فى اليهودية ، وجعل مكان العبادة الكنيسة بدل المعبد ، وجعل للكنيسة السيطرة الروحية على الاتباع ، فالخلاص من الذنوب يتوقف على الكنيسة وهي وحدها التى تملك ناصية الغفران من الذنوب ، وجعل التعميد والأعتراف بالذنب ماحيا للذنوب ولا سبيل لذلك إلاّ عن طريق راعى الكنيسة . وجعل رؤساء الكنيسة يتدرجون من القسيس إلى الأسقف أو المطران ثم رئيس الأساقفة ثم البطريرك ثم البابا . وهى أعلى سلطة دينية ، والذى يستمد سلطته من المسيح ذاته وما يصدره من قرارات كأنه ملهم به من المسيح .

وجعل بولس من سلطات الكنيسة أن تتلقى الهبات والتبرعات وأن توقف عليها بعض الأعيان والعقارات بالإضافة إلى بعض الضرائب الواجبة الأداء بحيث أصبحت الكنيسة بمرور الوقت من أغنى المؤسسات وأصبحت تمثل الغنى والترف ، وأصبحت لها السلطة الروحية فاجتمعت فى يدها جميع شئون الأسرة من زواج وطلاق وقيد المواليد والميراث والوصايا ، وانتهى الأمر بالكنيسة أن أعلنت إنها تسيطر على باب الله وأنها منفذ الرحمة وأنها تملك الحرمان من رحمة الله ، كما تمنح صكوك الغفران .

بولس يجعل للرسل معجزات كما للمسيح:

يقول بولس: إن الأنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب الإنسان لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح . غلاطية ١: ١١-١٢ فهو يوحى بهذا أن الصلة مباشرة بينه وبين المسيح ، وما دام المسيح إلها أو ابن إله ، فبولس والحال كذلك رسول الإله ورسول ابن الإله ، ومن هنا جاءت تسميته "بولس الرسول" ولقد منحت المسيحية الجديدة لتلاميذ المسيح ومبعوثيه لتعليم الأمم لقب الرسل ، وأن الروح القدس قد تقمصهم ، فأعطاهم من الخوارق والمعجزات مثلما كان للمسيح ، فيقول الاصحاح الثالث من أعمال الرسل عن معجزات بطرس مثلما قيل فى الأناجيل عن معجزات المسيح من ذلك ما ورد بأعمال الرسل على سبيل المثال :

فبينما هو جالس على باب الهيكل يسأل الناس إحسانا ، سأل بطرس فيمن سأل فقال هذا: ليس لى ذهب ولا فضة ولكن الذى لى فإياك أعطيه باسم يسوع المسيح الناصرى قم وتمش وأمسكه بيده اليمنى وأقامه ففى الحال تشددت رجلاه وكعباه فوثب وصار يمشى - أعمال الرسل ٣:٦ .

كما يذكر سفر أعمال الرسل أن بطرس كان جائعا جدا واشتهى أن يأكل وبينما هم يهيئون له وقعت عليه غيبة - أى نعاس - فرأى السماء مفتوحة وإناء نازلا عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف وملاءة على الأرض كان فيها كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء . وصل إليه صوت: قم يا بطرس اذبح وكل . - أعمال : ١٠ - ١٣ .

وكانوا يحملون المرضى خارجا فى الشوارع ويضعونهم على فرش واسرة حتى إذا جاء بطرس يخيم ولو ظله على أحد منهم . واجتمع جمهور المدن المحيطة إلى أورشليم حاملين مرضى ومعذبين من أرواح نجسة فكانوا يبرأون جميعهم . ٥: ١٥ - ١٦ .

وحدث أن بطرس وهو يجتاز بالجمع نزل إلى القديسيين الساكنين فى لدة فوجد هناك إنسانا اسمه ايتياس مضطجعا على سرير منذ ثمانى سنين وكان مفلوجا ، فقال له بطرس يا ايتياس يشفيك يسوع المسيح قم وأفرش لنفسك فقام للوقت ورآه جميع الساكنين فى لدة وملرون الذين رجعوا إلى الرب . ٩: ٣٢-٣٥ .

ونلاحظ أن المسيح عيسى حينما كان يأتى بمعجزاته كان يستعين بربه الآب ، أما بطرس فإنه يستعين بربه المسيح . وانظر إلى هذه المعجزة واستنبط منها ما تراه:

وكان فى يافا تلميذة اسمها "طابيثا" الذى ترجمته غزاله ، هذه كانت ممتلئة أعمالا صالحة وإحسانات كانت تعملها ، وحدث فى تلك الأيام أنها مرضت وماتت ، فغسلوها ووضعوها فى علية . وإذ كانت لدة قريبة من يافا وسمع التلاميذ أن بطرس فيها أرسلوا رجلين يطلبان إليه لا يتوانى عن أن يجئ إليهم فقام بطرس وجاء معهما ... فأخرج الجميع خارجا وجثا على ركبتيه وصلى ثم ألتفت إلى الجسد وقال "ياطابيثا قومى" ففتحت عينيها ولما أبصرت بطرس جلست ... أعمال الرسل ٩ك ٣٦-٤٠ .

وهكذا حتى إحياء الموتى انتقل إلى الرسل ثم لنقارن معجزة بطرس هذه بمعجزة المسيح المماثلة حين ذهب لابنة رئيس المجمع وكانت قد ماتت إذ قال لها "طليثا قومى" التى تفسيرها: يا صبية أقول لك قومى - مرقس ٥:٤١ وقارن الكلمة التى قالها بطرس للفتاة هنا بعبارة "يا طابيثا قومى" واعتقادنا أن إحدى الروايتين منقولة عن الأخرى وأن كان اللفظ فى إحداهما باللام وفى الأخرى بالباء .

وهكذا نجد أن أعمال الرسل قد أعطت تلاميذ المسيح ما كان للمسيح نفسه من سلطان يتعلق بشفاء المرضى وإخراج الأرواح والشياطين ، بل وأيضا إحياء الموتى ، فيا للعجب وإذا كان رجال الكنيسة من قساوسة وأساقفه ومطارنة وبابوات قد أخذوا سلطان يسوع المسيح ، فأبشر بأنهم

سوف يقضون على الأمراض الجسدية والنفسية وما إليها ، بل وربما إحياء الموتى فى زمن اكتظت فيه القبور بساكنيها ، فهل أكثر من ذلك عجبا ؟ ولكن عجبنا يزول إذا رجعنا إلى أنجيل متى - الاصحاح العاشر - حيث نجد مكتوبا فيه أن المسيح دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطانا على الأرواح النجسة حتى يخرجوها ليشفوا كل الأمراض وكل ضعف قائلا: اشفوا مرضى ، طهروا برصا أقيموا موتى ، أخرجوا شياطين . حتى يهوذا الأسخريوطى الذى سلمه قد منحه هذا السلطان ، فهل يا ترى اسعفته حياته أن يستعمله قبل أن يشنق نفسه أو أن تخرج احشاؤه طبقا لما اختلفت عليه الأناجيل ؟

ولقد كانت كل هذه الروايات من إخراج بولس ، بل لقد حررت الأناجيل أو عدلت بإيعاز منه ، ولقد كان لوقا من المخلصين لبولس وكذلك يوحنا فنهجا نهجه وسارا على دربه ولم يعرفا من المسيحية إلا ما وضعه بولس من فلسفات وقد كتب لوقا سفر أعمال الرسل الذى يحكى فيه أعمال بولس كما أن إنجيلى لوقا ويوحنا ينسبان إلى بولس كتابة أو إملاء أو إيعازا ويقول القديس تريليانوس أسقف قرطاجة أن إنجيل لوقا كله من كتابة بولس وهكذا تبادل كل من لوقا وبولس المنافع والمناقب[١] .

وقد استقى بولس فلسفاته من الثقافات الأجنبية المختلفة منها اليهودية والميثرانية ومعتقدات الأسكندرية فأخذ عن الميثرائية الشخص الضحية الذى يقدم قربانا للإلهة كفارة عن الخطيئة[٢] كما أدخل بولس على المسيحية بعض فلسفات اليهود وتعاليمهم ليجذب له العامة من اليهود ، كما أدخل صورا من الفلسفات الوثنية الإغريقية ليجذب اتباعا من اليونان ، فاستعار من فلسفة اليونان فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة وابن الإله والروح القدس[٣] .

(١) كتاب المسيحية للدكتور احمد شلبى نقلا عن كتاب يسوع المسيح للاب بولس إلياس .
(٢) المصدر السابق نقلا عن ويلز فى كتابه على هامش التاريخ .
(٣) المصدر السابق نقلا عن بيرى اديان العالم .

وفى حين تحدثنا الأناجيل على لسان المسيح أنه قال: إنما بعثت للخراف الضالة من بيت إسرائيل ، بما يفيد أن رسالة المسيح موجهة لليهود وحدهم وقاصرة على تقويم الضالين من اليهود ، كما قال: ما جئت لأنسخ الناموس بل لأكمله ، فرسالته حسب قوله هى إستكمال لرسالة موسى وموجهة لبنى إسرائيل دون غيرهم ، نجد أن بولس قد وسع من دائرة المسيحية بأن جعلها دينا عالميا موجها لكل الناس ، وهذه فى الواقع نقلة كبيرة بالنسبة للمسيحية ونقطة تحول من التخصصية إلى الشمولية ، كما أنه هو صاحب فكرة التثليث وجعل المسيح والروح القدس على مستوى واحد مع الله - سبحانه وتعالى - ، وهو كذلك صاحب فكرة الفداء ، وذلك بالقول إن موت المسيح هو فداء لخطيئة البشر ثم حور كثيرا من معتقدات اليهود فألغى قدسية السبت وألغى الختان وجعل طاعة الطبقات الحاكمة طاعة واجبة كطاعة المسيح استرضاء للسادة والحكام فيقول: جميع الذين هم عبيد تحت ظلم فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام لكيلا يفترى على اسم الله وتعاليمه[١] .

وبهذا طبع بولس المسيحية بالطابع الغربى تملقا واستمالة لأهل أوربا ، بينما انفض عنه اتباع المسيحية الأولى بآسيا والشرق ، وقام صراع كبير بين بولس واتباعه من ناحية ، وبين المسيحيين الأوائل وتلاميذ المسيح الذين تلقوا عنه مباشرة من ناحية أخرى ، وقد استمر هذا الصراع مدة طويلة حتى بعد وفاة بولس ، ففى جانب بولس وتعاليمه قلة محدودة جدا من المسيحيين المثقفين وكثرة ساحقة من العامة والجماهير ، وكان ضده كثير من المثقفين وقليل من العامة ، بينما كانت الطبقات الحاكمة فى جانب بولس[٢] . وأسفار العهد الجديد ورسائل بولس تحمل كثيرا من الحقد والتحقير لمخالفية فى العقيدة .

---

(١) الرسالة الاولى إلى تيموثاوس ٦:١ .
(٢) الدكتور احمد شلبى - المسيحية . مقارنة الاديان .

ولقد سار لوقا ويوحنا فى ركاب بولس وانضموا إليه فى خصومته وأعداء فلسفته وبينما أيده برنابا فى مبدأ دعوته ، عاد وانفض عنه لما أسفر بولس عن تعاليمه المخالفة لتعاليم المسيح ، حتى أن برنابا كتب إنجيلا يناهض فيه بولس ويوضح التعاليم الأصلية للمسيح ، وفيما يلى موجز عن برنابا استعرناه من كتاب "المسيحية" للدكتور أحمد شلبى[١] .

(١) الدكتور احمد شلبى - المسيحية . مقارنة الاديان صفحة ٢١ وما بعدها .

الفصل الثامن

الدفاع عن المسيحيه و أقوال المتعصبين

- الكنيسة .

الدفاع عن المسيحية !!

أصدر الأستاذ يوسف درة الحداد كتابا من ٤٥. صفحة جعل عنوانه "مصادر الوحى الإنجيلى - الدفاع عن المسيحية - فى الإنجيل بحسب متى وفى الإنجيل بحسب مرقس" وجعل أول عنوان افتتح به الكتاب : (الانجيل كشف عن غيب الله وحياته فى ذاته) ويفهم من استعراض الكتاب انه قصد بلفظ "الله" فى هذا العنوان ، النبى عيسى بن مريم عليه السلام ، حسب العقيدة المسيحية التى ادخلها شاول اليهودى المسمى فيما بعد القديس بولس الرسول وقد تصدينا لقصة بولس الرسول فى غير هذا المكان من هذا الكتاب.

وخليق بنا ألا يمر هذا الكتاب دون أن نناقشه ونفند ما فيه من دعوى ألوهية المسيح.

ويستند الكاتب فى مقولته هذه الى ما ورد بالأناجيل ، بدعوى أن الأناجيل التى اعتمدتها الكنيسة - وهى اناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا - هى من كلام الله سبحانه وتعالى ، أو بالقليل من كلام عيسى عليه السلام - على اعتبار أنه هو "الله" أو ما تعبر عنه المسيحية لفظ "الآب" المتجسد فى شخص المسيح ، او على الاقل انه "ابن الله" الحائز على صفاته والوريث لملكوته ، أما بقية الانبياء فهم "عبيد الله" ، "وفرق بين الابن وبين عبيد الأب!!" ، ورسالة الابن غير بعثة العبيد !! ، وحق الوريث فى كرم النبوة والكتاب غير حظ العبيد ، وكلام الله بواسطة الابن غير كلام الله بواسطة عبيده ، وبعد رسالة الابن ، لا بعثة ولا نبوة ولا كتاب ، ففى رسالة الابن ختام النبوة والكتاب!![١] وهو بهذا يغمز الدين الاسلامى ولا يعترف بالقرآن الكريم ولا بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم الرسول المرسل بعد عيسى عليه السلام ، رغم أن القرآن الكريم قد رفع من

---

(١) كتاب مصادر الوحى الانجيلى - الدفاع عن المسيحية للاستاذ يوسف درة الحداد ، طبعة المطبعة البولسية - جونيه. ص ٦٥.

قدر عيسى بن مريم عليه السلام ، ونفى عن أمه مريم ما ألصقه اليهود بها من افتراءات وأكاذيب ودعاوى باطله ، وكان الأحرى بالكاتب أن يستفيد من دفاع الاسلام عن عيسى ودفع مقولة الاثم عن أمه العذراء ، بدلا من أن يتنكر للقرآن الكريم ولرسول الله محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام. وهو من آتى بأفضل دفاع قيل عن عيسى بن مريم وأمه مريم بنت عمران.

وأول ما نفند به كلام المؤلف ، أن الاسانيد التى استند اليها وهى ما ورد باناجيل الكنيسة ، هى فى ذاتها بحاجة الى سند وينقصها الدليل ، فهى ليست كلاما مقدسا ولا هى من كلام الله سبحانه وتعالى وأول من نقضها هم المؤمنون بها ، الذين اعترفوا أنها من كتابة العديد من البشر ، وأن الأناجيل المختلفة قد حررت بعد عهد المسيح بوقت طويل يقرب من نصف قرن أو يزيد ، وأن كاتبيها ومحرريها لم يأخذوها من فم المسيح ذاته وانما نقلوها عن التراث الشفهى المتواتر ، بل ان اختلافها بين انجيل وانجيل هو دليل بطلانها جميعا ، وقد بينا ذلك فى غير هذا المكان ، سواء فى الجزء الأول أو هذا الجزء. وأرانى مضطراً الى ان اكرر بعض ما أبديت فى الجزء الأول بشأن الكتاب المقدس والقرآن الكريم ، الا أنى بالاضافة الى ذلك ، أرى نفسى مضطرا الى أن أرد على بعض ما جاء بكتاب "الدفاع عن المسيحية" المشار إليه .

أسبغ المؤلف على عيسى عليه السلام صفات لا تنطبق الا على الله سبحانه وتعالى ، فقال عنه أنه ملك يوم الدين(١) ، وأنه الرحمن الرحيم(٢) ، وأنه الأحد والصمد(٣) ، وهى تسميات وأوصاف لا تنطبق الا على عزة الله سبحانه وتعالى ، بل إنه قد استعار من الاسلام الفاظا عديدة مثل الصراط المستقيم(٤) بل لقد ادعى أن اركان الدين المسيحى خمسة أركان : الشهادة والصلاة والزكاة والصوم والحج(٥) ولم يوضح ما

---

(١) صفحة ٦ (٢) صفحة (٣) صفحة ٢١٣ (٤) صفحة ١٢
(٥) صفحة ٢١٥

ماهية الشهادة - وهى فى الاسلام شهادة ألا إله الا الله وأن محمدا رسول الله - وبالتأكيد لم يقصد المؤلف ذلك ، كما أن الزكاة لم ترد فى أى دين خلاف الدين الاسلامى ولها شروطها وأوضاعها ، أما الحج فقد ذكر انه الى الهيكل بأورشليم الذى نعته بأنه بيت الله.. وذلك تشبها بما ورد فى الاسلام من أن الكعبة هى بيت الله الحرام. بل انه ينسب الى مرقس انه قال : "اسمع يا اسرائيل ان الله إلهنا هو الله أحد.. [١] وأن التكميل الذى جاء به الانجيل هو الأبوة الذاتية فى الله ، والنبوة الذاتية فى الله - أيضا !! - (ذات واحدة بصفات ذاتية ثلاث ، تجعل الله الأحد ، الأب والإبن والروح القدس .. بكشف شخصى فى المسيح لحياة الحى القيوم ، فى ذاته)- ووصف قوله هذا بأنه تكميل التوحيد فى الانجيل : لا نسخ فيه ، ولا تبديل ، بل تكميلى للشريعة الموسوية.

وهكذا ترى أنه قد استعار كثيرا من ألفاظ الاسلام بل وأعمدته ايضا ، الذى لا يعترف به بينما اللغة العربية أمامه فسيحه متسعة ، وكان أحرى به أن يعبر عن آرائه بالالفاظ التى درج على استخدامها الدين المسيحى ، بل انه يستخدم لفظ الفاتحة [٢] ، فهل كان يقصد بذلك لفت انظار المسلمين ، واقناعهم بعقيدته تلك البعيدة كل البعد عن الدين الاسلامى وروحه وأسسه ، وهو دين التوحيد ، ودين ألا إله الا الله! واذا كان لا يعترف بالدين الاسلامى فلماذا استعار منه هذه الالفاظ والكلمات.

وهم ينسبون ابوة المسيح لله سبحانه وتعالى ، وحاشا لله أن يكون أبا لأحد ، فالابوة بمعناها البشرى تقتضى اتصالا من ذكر لإنثى من نوع واحد وجنسين مختلفين ، وأم المسيح مريم انثى ولا شك فمن هو الذكر ، هل هو

---

(١) صفحة ٢١٤ - وقد ورد فى انجيل مرقس الاصحاح الثانى عشر عبارة ٢٨ وهى التى أشار اليها المؤلف (فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى انه أجابهم حسناً سأله أية وصية هى أول الكل فأجابه يسوع ، إن أول كل الوصايا هى : اسمع يا اسرائيل. الرب الهنا رب واحد وتحب الرب الهك من كل قلبك ...) فهل آمن اتباع المسيح بذلك. وهنا يهدم كل دعاواهم فى التثليث).

(٢) صفحة ٢٢٣

الله سبحانه وتعالى ، هل هو الروح القدس ، وهل كان ما بينه وبين مريم - أستغفر الله - ما يكون بين الرجل والمرأة ، وهل يتحد الله مع مريم فى النوع والجنس والصفات والخصائص ؟؟ والمسيح وأمه يأكلان الطعام ويمشيان فى الأسواق ويجوعان ويعطشان .

والابن يرث صفات أبيه ويحذو حذوه ، فهل هناك تشابه بين المسيح "والأب" أبيه ؟ ثم ان الابن حين يكبر يأخذ مكانة أبيه الذى يفنى ، فهل الأمر كذلك بين المسيح وبين "أبه". فقد ادعوا ان المسيح هو الاله نفسه ، فتعال نرى ونقارن بين خصائص الاب وخصائص الإبن .....

إن الله لا ينام "لا تأخذه سنة ولا نوم" والمسيح ينام ويصحو ، ويغفو ويستيقظ. ثم ان الله لا يغيب عن ملكوته ولا يغفل عن ملكه ، والمسيح اذا وجد فى مكان فهو يغيب عن مكان آخر بل عن بقية الأمكنة ، فهو اذا وجد بالناصرة فإنه يغيب عن أورشليم مثلا واذا وجد بالجليل فهو يغيب عن طبرية ، بل لقد ذهب وهو طفل الى مصر ليغيب عن فلسطين وعن انظار هيرودس ، الذى أضمر له السوء.

والله لا يأكل ولا يشرب ، والمسيح يأكل ويشرب ، بل ويشرب الخمر التى تغيب العقل ، بل انه حسب انجيل يوحنا قد أعد الخمر ليقدمه الى ضيوف العرس ،[١] كما ورد بانجيل لوقا الاصحاح السابع (لأنه جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزا ولا يشرب خمرا فتقولون به شيطان. جاء ابن الانسان - يسوع المسيح - يأكل ويشرب فتقولون هو ذا إنسان أكول وشريب خمر....)[٢] و الذى يأكل لابد أن يخرج فضلات الطعام على شكل براز " يتبرز" والذى يشرب لابد له ان يخرج ما بقى من الشراب "يتبول" ، وقد كان عيسى يأكل ويشرب ، وبالتالى فهو يتبرز ويتبول. فهل يليق هذا بمن تدعون أنه إله.. ألا فاتقوا الله يا قوم..

---

(١) ورد فى انجيل يوحنا الاصحاح الثانى : وفى اليوم الثالث كان عرس فى قانا الجليل وكانت ام يسوع هناك ودعى ايضا يسوع وتلاميذه الى العرس ، ولما فرغت الخمر قالت ام يسوع له ليس لهم خمر.. قال لهم يسوع املاوا الاجران ماء فملاوها الى فوق. ثم قال لهم استقوا الان وقدموا الى رئيس المتكا .. الماء المتحول خمرا ...

(٢) انجيل لوقا الاصحاح السابع عبارة ٣٣ .

ثم إن الإله لا يخاف ولا يفزع ولا يحزن ولا يكتئب ، وقد خاف عيسى وفزع ، وحزن واكتئاب حين جاء وقت تسليمه لاعدائه اليهود ليحكموا عليه بالصلب والقتل. فقال لتلاميذه : "نفسي حزينة جدا حتى الموت" - متى ٢٦ عبارة ٣٨ (ثم تقدم قليلا وخر علي وجهه وكان يصلى قائلا :" يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذا الكأس " - متى ٢٦ عبارة ٣٩ - ثم تكرر قوله فى العبارة ٤٢ (فمضى أيضا ثانية وصلى قائلا :"يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عنى هذا الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك" فهو كان يأمل ويلتمس ألا ينفذ عليه ما هو مكتوب عليه ، فى الوقت الذي كان يجب ان يفرح لأن هذا الأمر سوف ينقله الى حضن "أبيه" ويعفيه من مشقة الجهاد والمجادلة مع الناس. بل أنه حين نفذ عليه الحكم حسب قول الاناجيل (صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا ايلى ايلى لما شبقتنى أى الهى الهى لماذا تركتنى) متى اصحاح ٢٧ عبارة ٤٥.

وقد سبق أن قلنا أن شهداء الإسلام كانوا يلقون الموت بصدر رحب والابتسامة تملأ نفوسهم بل كانوا يسعون إليه سعيا ، لأنهم يعرفون أنهم سيلقون ربهم حيث العيش الأبدى ، والنعيم المقيم ، وقد كانوا مجرد صحابة وليسوا أنبياء ، فلماذا يهرب نبى من لقاء ربه ، بل لماذا يهرب "ابن" من لقاء "ابيه" .. وهو الموعود بأنه يرثه فى ملكوت الأرض والسماء. ؟

ثم أليس الله قد خلق الجمال ، فلماذا ولد عيسى عليه السلام ودثر بخرق باليه ووضع فى مقود اسطبل للحيوانات على حد قول أناجيلهم.

الكنيسة

ثم يتطرق المؤلف الى الكنيسة ، فتقول : (ان الانجيل بحسب متى يوجد فى النهاية بين المسيح والملكوت ، ثم بين ملكوت الله وكنيسة المسيح)[١] ويقول ايضا : (منذ مطلع السنة الثانية ، أخذ يسوع يجمع تلاميذه فى هيئة جماعة منظمة سماها كنيسة).

و يشير إلى ما ورد بإنجيل متى فى الاصحاح السادس عشر عبارة ١٨ على لسان المسيح :(وأنا أقول لك أيضا أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات ، وكل ما تحله على الارض يكون محلولا فى السموات). فهل معنى هذا أن يتم القرار فى الأرض - قرار الحل والربط - ثم ما على السماء إلا أن تنفذ ، وأن تستجيب ، وكأن ليس لها ارادة بل الإرادة فى الأرض ؟؟

بل لقد أسقط العصمة على الكنيسة ، فكل ما تقوله الكنيسة فهو "معصوم" معصوم من الخطأ والزلل. فما هو المقصود بالكنيسة ، المكان أم الأشخاص ، ان الكنيسة اذا جردناها من الاشخاص لا تعدو أن تكون مجموعة أحجار لا تعى ولا تعقل ، ولا تبرم شيئا ولا تقطع أمرا ، وإذا جردنا الأشخاص من زيهم ومن منابرهم فهم لا يعدون أن يكونوا بشرا كبقية البشر ، يحسنون ويسيئون ، يصيبون ويخطئون لهم مناعتهم ولهم نزواتهم أيضا ، حسبما ركب فى الانسان من شهوات وغرائز.

ثم يقول المؤلف[٢] ، ان الله أعطى سلطاته للمسيح ، وأن المسيح قد أعطى سلطاته الى بطرس والى بقية التلاميذ ، وأن هؤلاء قد اعطوا سلطاتهم للكنيسة ، وأن الكنيسة قد أعطت سلطاتها الى بابواتها ، وهؤلاء بدورهم قد أوكلوا سلطاتهم إلى رجال الكنيسة ورجال الكهنوت ،

---

(١) صفحة ٢٨٨
(٢) صفحة ٢٩١ وما بعدها

من أحبار وقسس وشمامسة ، الى أن ينتهى الأمر الى أصغر رجل ممن يرتدون مسوح الكنيسة.

فالسلطة قد تدرجت من الله الى المسيح ، ومن المسيح الى اتباعه ، ورسله !! وبذلك صار الله سبحانه وتعالى بلا سلطة وبلا عمل ، فقد تنازل عنها الى المسيح ثم الى رجال الكنيسة ، فإذا أخطأ رجل فهم الذين يملكون له الغفران ، بل انهم هم الذين يبيعون له صكوك الغفران ، وما أدراك ما صكوك الغفران. وبهذا أصبح الله سبحانه وتعالى بلا عمل يؤديه ، وأصبح الناس يبحثون عن العدل الالهى فلا يجدوه ، فقد تسرب الى رجال الكنيسة ، وكأن العالم لم يعد في حاجة الى رعاية الله ، فقد تكفلت الكنيسة بذلك ، وتراخت قبضة الله عن الشمس والأرض والكواكب والنجوم ، وأصبح أمرها موكولا الى الكنيسة إن شاءت تسيرها فى مداراتها وأن شاءت تغير مساراتها ، وهكذا اختتم انجيل متى بالعبارة الآتية :

"وأما الأحد عشر تلميذا فانطلقوا الى الجليل الى الجبل ، حيث أمرهم يسوع. ولما رأوه سجدوا له ، ولكن بعضهم شكوا ، فتقدم يسوع وكلمهم قائلا : دفع الى كل سلطان فى السماء وعلى الارض . فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس. وعلموهم ان يحفظوا جميع ماأوصيتكم به. وها أنا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر. آمين."

الفصل التاسع

الرد على "الدفاع"
من داخل المسيحية المتعقلة

- الرد على الدفاع .
- شاهد اخر من اهلها .
- شاهد ثالث : الله واحد ام ثالوث .

ويضيف أن الغربيين لم يفهموا العقيدة المسيحية التى أتى بها عيسى والتى يمكن أن يعبر عنها بمجتمع الحواريين الاثنى عشر ، وإنما أنشأوا على انقاضها ديانة مختلفة تمام الإختلاف فى روحها وجوهرها عن المسيحية الشرقية ، ديانة مختلفة نبعت قبل كل شئ من رصيدهم الفكرى والروحى الموروث من الوثنية ، ديانة تتمشى مع عواطفهم ونزعاتهم وان صبت فى قوالب تعبيرية لا توافقها تمام الموافقة. ويعبر عن ذلك بأن الغربيين لم يكونوا فى يوم الأيام مسيحيين يسوعيين.

ويقول دكتور جينيبر إن المدخل إلى معرفة المسيحية الأولى ظل حتى منتصف القرن التاسع عشر ، محرما تحريما باتا على العلماء المنزهين عن الفرض ، وأن دراسة المسيحية إنما هى الساحة التى لا يجول فيها إلا رجال الكنيسة وأهل اللاهوت[١] وان ذلك كان لازمة من لوازم الدفاع عن المسيحية ، بل صورة من صور الدفاع عنها ، وأن البسطاء ليس لهم أن يجادلوا فيها أو يشغلوا فكرهم بها وأن تعاليم الكنيسة تغنى عنها بل وتنهى عن قراءتها ، وأن مخالفة تعاليم الكنيسة هذه رجس من عمل الشيطان يؤدى بالنفس إلى التهلكة. وأن الدين ضرورى للشعوب لكبح جماح الشهوات وضمان حياة الأخلاق ، وأن المساس بأسس الكنيسة وتعاليمها إنما هو مساس بأسس المجتمع.

ويضيف إلى ذلك أن الواقع الذى تنطوى عليه دراسة تاريخ المسيحية مسئول هو الآخر عن تأخرها ، فالعقبات الكثيرة تدفع الكثيرين للإنصراف عنها واليأس منها ، ثم ان عبوس أساليبها وحذرها الشديد من البراهين والنتائج والمسائل العقلانية لا يغرى المبتدئين بالإستمرار فيها. وأول الصعاب التى تعترض ذلك تجدها فى النصوص ذاتها التى تتميز بضعف السند وبالإضطراب وعسر التحقيق ، وأقدم هذه النصوص وأهمها هى تلك التى احتواها العهد

---

(١) صفحة ٢٠-٢١ من المصدر السابق.

الجديد فى الكتاب المقدس التى تتناول حياة المسيح والزمن الأول للعقيدة ، وأن التاريخ المسيحى خلال القرون الثلاثة الأولى التى تكونت فيها الكنيسة لا يحظى إلا بنصيب ضئيل من التراث المكتوب بالإضافة إلى غموض المعنى وافتقار الأدلة إلى كثير من أسانيد الأثبات ، وكأن أصحاب هذه النقوش قد تفننوا فى الغموض والأبهام. وحتى فى القرن الرابع وهو عصر انتصار الكنيسة ، فإن الكثير الذى كتب عنها والذى كتب ضدها قد اندثر وضاع ، ولم يبق منه سوى النذر اليسير الذى لا يساعد على رسم صورة كاملة عن العهد الأول للمسيحية. فتاريخ المسيحية القديمة لا يشكو فحسب من الصعوبات التى يعانيها مثله تاريخ العصور الرومانية والإغريقية ، بل هو بالإضافة إليها يتعثر أمام عقبات أخرى كثيرة خاصة به. إن سر نشأة هذا الدين وطبيعته الأولى يجب الرجوع فى دراسة جوانب كثيرة منها الى حضارات سوريا وآسيا الصغرى ومصر وبلاد ما بين النهرين ، وهى البيئة الشرقية التى ظهر فيها أول ما ظهر ، قبل أن يجد العناصر الأولى لحياته وانتشاره.

وإن المناظرة والمجادلة بين المتعصبين للدين المسيحى من القساوسة ، ومعارضيها خاصة فى قضايا كثيرة مثل مسألة الرهينة ، ومحاكم التفتيش ، والإصلاح الدينى وشخصية لوثر وسلوك البابوات فى العصور المختلفة ، والتفسير النسبى للذنوب ، وقائمة الخطايا التى وضعها البابا بيوس التاسع ، ونظرية تنزيه البابوات ورجال الكنيسة عن الخطأ ، وسياسة البابا بيوس العاشر ، وغير ذلك من الأمور الكنسية الأولى رغم وفرتها ، قد تشتت وتعذر جمعها ، أو أخفيت عن عمد ، أو اتسمت بالغموض بحيث لم تصل بعد دراسة تاريخ المسيحية إلى تلك المرحلة الخصبة التى تتسم بالروح العلمية البحتة ، والتى لا يرجوفيها الباحث سوى الوصول إلي الحقائق المجردة وتحليلها التحليل العلمى الصحيح إلى جانب عدم المبالاة خاصة فى البلاد اللاتينية حيث يجهلها أكثر المثقفين جهلا تاما ، وذلك بسبب الحظر الكنسى المضروب حول استجلاء الحقائق فى كثير من المسائل الدينية الهامة ، ثم الأهداف السياسية المتباينة ، والخوف من الإنزلاق فى خضم الجدل السقيم والعجز والشك العلمى والآراء الغريبة

كاملا ، وينهزم انهزاما شديدا ، حتى امام الصورة التى رسمها الفلاسفة المؤلهون من أمثال أرسطو وافلاطون وغيرهما ، وقد جاء الاسلام ليصحح صورة الإله الكامل المنزه عن أى وصف ، فليس كمثله أحد ولا كمثله شئ ، لا تدركه الأبصار ولا الأفهام وهو يدرك الأبصار والأفهام ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

وقد جاء الاسلام بتسع وتسعين وصفا - هى أسماء الله الحسنى - ليقرب صورة الله سبحانه وتعالى الى أفهام البشر.

" فهو الله الذى لا إله إلا هو ، الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلى الكبير ..." الى آخر الأسماء الحسنى التى وصف الله سبحانه وتعالى بها نفسه بالقدر الذى نفهمه ونعيه ، وهو ولا شك أكبر من ذلك وأعظم فليس لعظمته حدود أو نهاية ولكن أفهامنا لا ترقى الى ادراك كنهه أو وصف طبيعته ..

ويروى عن السيدة عائشة رضى الله عنها زوج الرسول ، ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لها يوما : يا عائشة هل علمت أن الله قد دلنى على الاسم الذى إذا دعى به أجاب ؟ قالت فقلت بأبى وأمى يا رسول الله فعلمنيه. قال انه لا ينبغى لك يا عائشة. قالت فتنحيت وجلست ساعة ثم قمت فقبلت رأسه ثم قلت له ، يا رسول الله علمنيه. قال : مرة أخرى مكررا انه لا ينبغى لك يا عائشة أن أعلمك ، إنه لا ينبغى ان تسألى به شيئا للدنيا ، قالت فقمت فتوضأت ثم صليت ركعتين ثم قلت : اللهم إنى إدعوك الله ، وادعوك الرحمن ، وأدعوك البر الرحيم ، وأدعوك بأسمائك الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم ، أن تغفر لى وترحمنى. قالت فاستضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : إنه لفى الإسماء التى دعوتيه بها. "(١)

(١) رواه بن ماجه . نقلا عن كتاب "ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها" جمع وترتيب احمد عبد الجواد . ص ١١.

ويفهم من هذا أن الله سبحانه وتعالى له أسماء وصفات تجل عن أفهامنا ولا نعلمها ، فكيف بلفيف من الناس يجسدونه ويحيزونه ويحاولون أن يصفوه بصفات محددة معينة ، وإن كان بعضها صحيحاً ، فإنها تجل عن الأفهام ، فهى الأسماء الحسنى المتناهية الحسن بما يفوق قدرة تصورنا ، والصفات العلى التى تجل عن مداركنا ويقصر عنها إدراكنا ، فسبحانه وتعالى عما يصفون ، وهو القائل سبحانه :

"وقالوا اتخذ الرحمن ولداً . لقد جئتم شيئاً إداً . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً . أن دعوا للرحمن ولداً . وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولداً . إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً."

ويحكى فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود ما رواه أناتول فرانس فى حكمته الساخرة من عقيدة المسيحية فى الخبز الذى ينقلب إلى جسد المسيح ، والخمر الذى يتحول إلى دم المسيح ، أن أحد الرهبان دخل مخزن الدقيق ليحضر بعضاً منه لصنع خبز العشاء الربانى ، ويبدو أن الضوء كان شاحباً ، وعندما اقترب الراهب إلى جوال الدقيق رأى بقعاً حمراء تتخلل بياض الدقيق ، فأخذ يقدس الرب بصوت مرتفع ويصيح داعياً زملاءه لمشاهدة هذه المعجزة ، فلما أقبل هؤلاء وبيد أحدهم مصباح مضئ ، اكتشف الراهب أن تلك البقع الحمراء ما هى إلا سوس يتحرك فى ثنايا الدقيق ، ولكنه لم يشأ أن يتراجع عن وهمه ، وأسرع فغطى فوهة الجوال مشيراً إلى زملائه أن يتراجعوا حتى لا تذهب البركة عن الخبز الذى سوف يأكلونه ، لكن واحداً منهم كان أكثرهم فضولاً ، أراد أن يرى دم المسيح عن قرب ، فما أن عرى فوهة الجوال حتى رأى مجموعات السوس ، تتجول فيه هنا وهناك .

وتحضرنا هنا قصة عن الفيلسوف الساخر جحا ، ذلك أن الأطفال التفوا حوله يوماً يسألونه أن يحكى لهم بعضاً من نوادره ، وكان فى عجلة من أمره فأراد أن يصرفهم عنه ، فأشار إلى إحدى الدور البعيدة ،

قائلاً للصبية : أترون هذه الدار البعيدة إن أهلها يوزعون الحلوى وخليق بكم أن تسرعوآ لتأخذوا أنصبتكم قبل أن تنفذ الحلوى ، وجرى الأطفال نحو الدار التى أشار إليها جحا ، فلما رآهم الناس يجرون وقيل لهم أنهم يجرون ليأخذوا نصيبهم من الحلوى قبل أن تنفذ ، صار كل من يراهم يجرون يجرى فى إثرهم ، حتى إن جحا أصابته العدوى ، وشك فى الكذبة البيضاء التى كان هو صاحبها ومطلقها ، فنسى أنها كذبته ، وأنه هو الذى اخترعها ليبعد عنه مضايقات الصبية ، فما كان منه إلا أنه جرى مع الذين يعدون لعلها تكون حقيقة ويصيب بدوره بعضاً من الحلوى . وهكذا أطلق الأكذوبة وما لبث أن صدقها واتبعها .

كذلك الذين أطلقوا فرية بنوة المسيح ، ما إن رأوا الناس يصدقونهم ويرددون هذه الدعوى ، حتى ساورهم الشك فى أن تكون الكذبة حقيقة فزادوا تمسكا بها.

ونعود إلى الدكتور شارل جينيبر المسيحى النشأة الذى يقول ، ان تصفح الأناجيل الرسمية التى اعتمدتها الكنيسة كفيل وحده لاظهار التعارض الواضح فيما بينها ، وكاف للإقناع بإن مؤلفيها قد توصلوا إلى تركيبات واضحة المفارقة لنفس الإحداث ، مما يقطع ببعدها جميعا عن الواقع ، وأنهم لم يتلمسوا الحقيقة الواقعية ولم يستلهموا تاريخا ثابتا يعرض تسلسل حوادثه عليهم ، وانما ترك كل منهم لنفسه العنان فى ترتيب مؤلفه حسب أهوائه وأهدافه. فخرجت متنافرة متعارضة. ثم إنهم تجنبوا الخوض فى طفولة المسيح حتى لا يبدو فيها الإفتعال ظاهرا جليا ، بل إن أحد محررى الأناجيل الأربعة وهو مرقس تحاش الحديث كلية عن مولد المسيح ، وليس عن طفولته فقط.

ويقول دكتور جينيبر فى كتابه "المسيحية نشأتها وتطورها" إن المسيح لم يقل عن نفسه أنه "ابن الله" ، ذلك التعبير الذى لم يكن يمثل بالنسبة لليهود سوى وهما رددته بعض كتبهم ونبوءاتهم ، وان هذا التعبير لم يبدأ فى استخدامه إلا بعد دخول شاول اليهودى المتأثر بالثقافة اليونانية ، تحت

عباءة المسيحية ، والمطلق على نفسه اسم بولس الرسول ، والذى لم يكن أساسا من تلاميذ المسيح ولا من حواريه ، بل على النقيض من ذلك ، كان من أعدى أعدائه. والمناوئين لدعوته ، حتى أنه كان يتقفى آثار الذين كانوا يستمعون إليه ويصغون إلى دعوته ، فيتصدى لهم ويزج بهم فى السجون.

ويضيف :"وهكذا فإن النصوص الواردة بالأناجيل لا تقدم إلينا الخبر اليقين فيما يتعلق بتفكير عيسى الخاص بمبادئ رسالته ، وبصفات شخصيته وبمدى الدور الذى لعبه ، إلا أننا لا بد أن نقر واقعا واضحا للعيان ، وهو أنه لم ينجح فى دعوته ، وأن مواطنيه من أهل فلسطين لم يصدقوا بالرسالة التى نسبها إلى نفسه ، ولم يسيروا على نهج الأخلاق التى أراد أن يوحى بها أليهم. وأنهم راقبوا مروره بينهم خلال الفترة الوجيزة التى اتيح له أن يظهر فيها ، والتى تتراوح بين ثلاث سنوات وبين بضعة أشهر بل قد لا تعدو بضعة أسابيع[1] بشئ من الفضول ، وأنه إنما جذب إلى دعوته بضع مئات من أهل الجليل السذج ، فى حين كان يلقاه اليهود بشئ كثير من قسوة القلوب والتعنت الشديد ، حتى لقد يئس من اقناعهم بدعوته. وأن دعوة المسيحية ما كان ليقدر لها أن تنتشر لولا تصدى بولس لها ، واسباغ ثوب الشمولية والعالمية عليها ، واسباغ جو من المأساوية عليها وهى ان عيسى انما مات من أجل خطايا البشر ، ولم يكن حواريو المسيح الإثنى عشر ليوافقوا على نعت المسيح بأنه "ابن الله" مكتفين بتعبير "خادم الله".

ويقول المؤلف فى كتابه أن المسيح لم ينشئ الكنيسة بل ولم يردها ، وأن الكنيسة فى بدايتها لم تكن تعبر عن شئ من مجتمع الحواريين تلاميذ عيسى ، النبى المتواضع المتسم الخلق الرقيق والداعى إلى السلام والمحبة ، والمعلن عن قرب حلول مملكة الله التى يجب أن يعد الناس العدة لها باتباع مكارم الأخلاق ، والبعد عن الأثرة والتعصب الذى كان عليه اليهود.

---

(١) كتاب المسيحية نشاتها وتطورها تاليف شارل جينيبر ترجمة فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود ص ١٦.

الرد على الدفاع من داخل المسيحية

وخير ما يرد به على كتاب "دفاع عن المسيحية" لمؤلفه المسيحى الاستاذ (أو ربما القس) يوسف درة حداد ، كتاب آخر عنوانه "المسيحية ، نشأتها وتطورها" لمؤلف مسيحى أيضا مولود من أب وأم مسيحيين ومن بيئة كاثوليكية متعصبة ، تخصص فى دراسة تاريخ الأديان على وجه العموم ، وتعمق فى دراسة المسيحية حتى أصبحت تخصصه المتخصص هو الدكتور شارل جينيبر رئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس بفرنسا [(١)].

وهو فى هذا الكتاب يتجرد من عاطفته الدينية ، ويكتب بروح الدارس المتعمق فى دراسته فهو استاذ تاريخ المسيحية فى اكبر جامعات فرنسا - جامعة باريس - حيث وصل الى درجة رئيس قسم تاريخ الأديان بها ، وبهذا يكون لكلامه وزن علمى كبير ، فهو يعترف أن مسيحية اليوم غير المسيحية التى جاء بها السيد المسيح ، فقد كانت مسيحية المسيح فى غاية البساطة خلوا من أى تعقيد ، لحمتها التوحيد ، فقد أعلن المسيح انه "عبد الله ورسوله" ، ارسله الى اليهود ليقوم اعوجاجهم قائلا : ما بعثت الا لخراف بنى اسرائيل الضالة ، فهو محدد فى رسالته لبنى اسرائيل دون غيرهم ، يدعو الى الخلق الكريم كما يدعو الى الرحمة والمحبة والتعاطف ولم يتصد المسيح لتفاصيل العقيدة ، ولم يتحدث عن أمور الشريعة ، ولم يقل أبدا انه اكثر من نبى من أنبياء بنى اسرائيل.

وقد بين الدكتور جينيبر أن المسيحية التى أتى بها عيسى عليه السلام ، قد نسخت منذ أن دخلها بولس ، وانها انقلبت رأسا على عقب ،

---

(١) كتاب "المسيحية - نشأتها وتطورها" لمؤلفه دكتور شارل جينيبر رئيس قسم الاديان بجامعة باريس بفرنسا ترجمة فضيلة الإمام الدكتور عبد الحليم محمود طبعة دار المعارف بالقاهرة .

ودخلتها طقوس جعلتها اقرب ما تكون الى الأديان الوثنية ، وأن دعوى بنوة المسيح لله إن هى الا خطأ فى الفهم وفى الترجمة ، فقد ترجمت كلمة "عبد الله" الى "خادم الله" وترجم لفظ خادم الى لفظ "غلام" وترجم لفظ غلام الى كلمة "طفل" وترجمت كلمة طفل الى عبارة "ابن" وبذلك انتهى لفظ "عبد الله" الى عبارة "ابن الله" وربما كان ذلك عن قصد من جانب بولس الذى كان يهوديا متعصبا ضد المسيح ، فإذا به بين ليلة وضحاها ، يلبس مسوح المسيح ، ويدعى أنه انما يكرز برسالته ، وهو فى الحقيقة ما دخل فى المسيحية الا لإفسادها وما دعى بدعوته لها إلا لهدم العقيدة التوحيدية التى جاء بها المسيح ، فرمز البنوة يرمز الى ان هناك أبوة ، فإذا جمعت بين الأبوة والأمومة والبنوة انصرف ذهنك الى العلاقة المادية البشرية بين الأب والأم وما يكون بين الزوجة والزوج من اتصال وعلاقة وكان الانجاب نتيجة فسيولوچية لتلك العلاقة ، واستبعدت كلية قدرة الله تعالي على فعل ما يشاء بالطريقة التى يريدها ويراها ، وهى التى تقول للشئ "كن فيكون" والتى فسرها القرآن الكريم فى وضوح "إنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون". وتتعارض تلك الدعوى دعوى الأبوة والبنوة مع كمال الخالق جل وعلا ، ولذلك فبولس يدعم فكرة أن المسيح "مولود" وليس "بمخلوق" ، ليعمق فكرة الأبوة والأمومة والبنوة وما بينهما من اتصال فسيولوچى ، فيغمز من طرف خفى مريم البتول التى كرمها الاسلام أيما تكريم والتى ذكر القرآن الكريم ان الله اصطفاها وفضلها على نساء العالمين.

ويذكر دكتور جينيبر أن عيسى سواء كان مولودا أو مخلوقا ، فإن له بداية ، ويسبقه عدم ، فكيف يكون من جاء من عدم إله ، والله هو الأول والآخر والظاهر والباطن لا يسبقه شئ ولا يأتى بعده أحد ، فهو الأزل وهو الأبد ، وهو الفرد وهو الصمد سبحانه وتعالي عما يصفونه.

ويعلق فضيلة الإمام الدكتور عبد الحليم محمود فى ترجمته لهذا المؤلف أنه مهما أوتى أى شخص من عبقرية الفكر أو بلاغة اللسان ، ليثبت ان المولود أو المخلوق كامل كمال الإله الخالق فسوف يخفق اخفاقا

التى لا تستند إلى اساس سليم ، مثل تلك التى تريد اثبات أن المسيح شخصية خيالية لم توجد بالمرة ، وتعارض النظريات واندلاع الخصومة بين كثير من المفكرين ، ثم أخيرا الجهد المضنى المستمر للوصول إلى استجلاء تلك الأبحاث المعقدة والبراهين الملتوية.

ويقول الدكتور جينيبر أن الثابت إن المسيح ولد يهوديا ونشأ فى بيئة يهودية ، استمد منها وحدها عناصر ثقافته الفكرية والدينية لكن الشعب اليهودى رغم تفوقه ، تأثر بالحضارات التى تحيط به ، كالحضارة البابلية والفارسية والهندية فى الشرق ، والحضارة الفينيقية فى الشمال والحضارة المصرية فى الغرب والحضارة الحبشية فى الجنوب ، وقد أدى ذلك إلى تشرب بنى اسرائيل بالكثير من الأفكار الخارجية. وذلك على الأقل خلال القرون القليلة السابقة على ظهور المسيح حيث انتشرت الطقوس اليهودية الجامدة وأن اليهود العائدين من الأسر البابلى قد جلبوا معهم تقاليد ما بين النهرين الوثنية ، ففى الفترة التى تمتد من عودة يهود المهجر من الأسر حتى مولد عيسى ، نشأت طبقة جديدة ، من رجال الأكليروس تسيطر عليها الطقوس التقليدية والنصوص الجامدة ، إلى جانب طبقة الكتبة - فقهاء الشريعة اليهودية يجادل بعضهم بعضا فى مثل : هل تعتبر البيضة التى تضعها الدجاجة فى يوم السبت تعتبر طاهرة أم مدنسة ، أو فيما إذا كان الماء الذى يسكب فى إناء نجس ، يعتبر نجسا فى حد ذاته أم تمتد النجاسة إلى مصدره ومنبعه يضاف إلى ذلك فكرة أن العالم الدنيوى على وشك الفناء.

من هنا نجد أن عيسى عليه السلام قد ولد ونشأ فى بيئه يهتم معظم الناس فيها بأسس دينية ويغلب عليها الجدل والسفسطة حول تفسير الشريعة اليهودية إلى جانب الأمل الساذج فى ترقب "مسيا الرب" المخلص لليهودية من ربقة الإستعمار والإستعباد ، ثم ان سبق ظهور يوحنا بما اشتهر به من تقى وورع وزهد قد اثر بعض الشئ فى عيسى ، خصوصا أن عيسى لم يبدأ مواعظه وتعاليمه إلا بعد أن جاءه خبر التخلص من يوحنا على يد هيرودس.

ويضيف شارل جينيبر "والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هى أن عيسى لم يدّع قط أنه هو المسيح المنتظر ، ولم يقل عن نفسه أنه "ابن الله" وذلك تعبير لم يكن فى الواقع يمثل بالنسبة إلى اليهود ، سوى خطأ لغوى فاحش ، وضرب من ضروب السفه فى الدين ، كذلك لا يسمح لنا أى نص من نصوص الأناجيل باطلاق تعبير "ابن الله" على عيسى ، فتلك لغة لم يبدأ فى استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية إنها اللغة التى إستخدمها القديس بولس كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع" - الذى نشك في أنه يكون هو بولس نفسه(١).

ويضيف المؤلف "ولو أراد - عيسى - أن يتخذ لقبا لاتخذ لقب "ابن داود" المعروف بين بنى اسرائيل والذى كانوا يعتبرونه المنقذ المنتظر ، ولكنه لم يفعل. وهو لم يتخذ كذلك اللقب الذى يبدو أن أناجيلنا ترى فيه أخص خصائص شخصيته ورسالته ، ألا وهو "ابن الإنسان" أو على الأقل لم يستخدمه فى معنى "المنقذ المنتظر" فاليهود فى ذلك العصر كانوا يجهلون هذا المعنى لتعبير "ابن الإنسان" ، ولم يكن هذا النص - اللفظ - قد استخدمه كهنة اليهود بعد فى تصوير مجئ المسيح المنتظر ولم يدخل معابدهم بهذا المعنى إلا فى عصر متأخر تحت تأثير المسيحية التى أذاعته."(٢).

"وقد اختلط الأمر فى فترة من الفترات على بعض المؤمنين - بعيسى - الذين لم يكونوا على معرفة كبيرة باللغة الآرامية ، إذ أن تعبير "ابن الإنسان" فى هذه اللغة تعنى فقط "انسانا" أو "رجلا" متهيأ لهؤلاء المؤمنين ان هذا التعبير الذى يلقونه أيضا فى مجموعة الحكم المعروفة ب "اللوجيا" لا بد أن تحتوى على سر عميق."(٣).

---

(١) صفحة ٥٠ .
(٢) صفحة ٥١ .
(٣) صفحة ٥٢

ويزيد المؤلف على ذلك :"ان المؤرخ يواجه مشكلة شائكة إذا ما أراد إثبات أن فلاحا من اقليم الجل (*) قد طور المثل الأعلى للبطل الذى تعلقت به آمال الشعب حتى اصبح الرسول الإلهى المرتقب يصور على شاكلة الشهيد المتواضع المستسلم ، بعد أن كان فى خيال الناس ملكا جبارا منتصرا. وقد حاول بعض الفقهاء - للتغلب على ذلك - اثبات القول بأن عيسى ، وإن لم يعلن عن نفسه أنه المسيح المنتظر ، إلا أنه قد ظن ذلك وآمن به ، ولم ينه تلاميذه عن ظنه والايمان به."(١).

ويقول المؤلف :"فهناك إذن فى الواقع حجج لها قدر كبير من المنطق والقوة تدفع إلى الإعتقاد بأن عيسى قد اعتبر نفسه رسولا تحثه روح "يهوه" على إعلان قرب تحقيق الأمل الأكبر وضرورة التمهيد له ، وبأنه قد سلك مسلكا يتمشى مع هذا الايمان."

ويعلق أنه لا يجب الإعتماد فى حساب فترة نبوة عيسى على التقريرات التى يوحى بها الإنجيل الرابع وهى ثلاث سنوات ، وإنما يرى المؤلف أن فترة الدعوة فى حياة المسيح قد اقتصرت بالتأكيد على بضعة أشهر أو حتى على بضعة أسابيع ، قائلا أن التقريرات الدقيقة غير متوافرة. (٢).

ويقول الدكتور جينير أن عيسى لم يأت بشريعة جديدة ، وإنما كان يدعو الناس للعودة إلى شريعة موسى بالإضافة إلى أنه كان يدعو إلى التأمل فى النفس وحب الغير وإلى التواضع والايمان العميق بالله ، فى الوقت الذى كان الناس فيه - والمعنيون هنا هم اليهود - يترقبون دعوة إلى الصراع المسلح وإعلانا للجهاد الأكبر - قال : مهدوا بالتوبة ليوم الحساب القريب. كان يتحدث عن

(١) صفحة ٥٣ .
(٢) صفحة ٥٦ .
(*) يقصد بذلك المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

العدل والسلام فى حين كانوا ينتظرون دعوة إلى الكفاح والنضال ، وكان يخاطب الجماهير الشعبية والطبقات الدنيا من الناس ليؤلبهم على رجال الدين ، واظهار عيوبهم ، فخشيه رجال الدين اليهودى وعملوا على التخلص منه ، واوغروا عليه صدر الحاكم الرومانى ، الذى كان يهمه استتباب الأمور ، فلم يكن صعبا على الأحبار اقناع الوالى بخطر هذا الرجل الوافد إليهم من مدينة الجليل ، مما جعله يأمر بالقبض عليه ومحاكمته.

ونحا محررو الأناجيل نحو إبراء ذمة الحاكم الرومانى من دم المسيح وإلقاء التبعة كلها على اليهود وذلك لعدم اغضاب الحاكم الرومانى واستجلابا لرضاه.

ويقول دكتور شارل جينيبر أن المسيح لم يأت بدين جديد أو شريعة مميزة ، ولا حتى بأى طقس من طقوس العبادة ، وأنه لم يأت إلا بتصور شخصى فريد للتقوى فى إطار العقيدة اليهودية ، ولم يزعم أنه يبغى التغيير من معتقداته أو من شرعها وشعائرها. واعتمدت تعاليمه على حلول مملكة الله متأثرا بدعوة سابقيه - ولعل المقصود هنا هو يوحنا - أما أن تنسب إليه إرادة تأسيس كنيسة تكون كنيسته هو ، تختص بعبادات وطقوس يضعها هو ، فهو قول لا يستند إلى واقع الأحداث ، وان هذا ما هو إلا تحريف لدعوة السيد المسيح.(١)

ويقول الدكتور جينيبر ان دعوة المسيح لم يكن مقيضا لها أن تنتشر لولا اصطناع قصة قتله وصلبه ، مما أثر فى وجدان يهود المهجر ، أكثر من تأثيرها على يهود القدس وفلسطين ، فأعمال الرسل تروى أن الحواريين استمالوا إليهم بعض يهود اليونان الذين وفدوا إلى القدس فى الإحتفالات الخاصة ببعض الأعياد وأن مقتل الشماس إتيين على أيدى قضاة اليهود ، قد أشعل من هذه الدعوة ، التى انتقلت إلى اليونان وفينيقيا وقبرص

---

(١) صفحة ٦٢ .

وانطاكية وطرسوس ، على يد بعض الرسل مثل برنابا وبولس ، الذى كان الدعامة الكبرى للمسيحية المستقبلة ، فى حين أن الاتباع المباشرين للمسيح كانوا مغلولى اليد فى القدس تتهددهم الأخطار التى أحاطت بالمسيح نفسه. وأغلب الظن أن معظمهم استقروا فى المدينة المقدسة ، الا أن بعض الأساطير المستقاة من أعمال الرسل تدعى أن اندريا قد ارتحل إلى بلاد السيخ ، فى حين توجه يعقوب الأكبر إلى أسبانيا ، وأخوه حنا إلى آسيا الصغرى ، وتوماس إلى الهند والصين ، وبطرس إلى كورينثيا وروما ، والمعتقد أن بعضهم ماتوا قتلى ، ومنهم على الأخص بطرس ويعقوب الأكبر ويعقوب الأصغر. والذين لم يكن لهم اليد الطولى فى ذيوع المسيحية وانما وفدت الروح الجديدة للمسيحية من خارج هذه الدائرة ، ومن دائرة تزعمها بولس الرسول ، مبنية على الأفكار والعقائد اليهودية[١].

ولكى نفهم تطور المسيحية من دعوة للأخلاق والتمسك بالفضائل إلى ما هى عليه اليوم ، علينا أن نعرف تطور بولس نفسه. فقد ولد القديس بولس من عائلة يهودية بمدينة طرسوس ، التى تقع فى الطريق ما بين آسيا الصغرى والشام ، حيث انتشرت الدراسات الفلسطينية ، ومنها الفلسفة الرواقية ، والأساليب الخطابية ، ودرس أصول العقيدة اليهودية ، وأكمل هذه الدراسة بمدينة انطاكية ، وكانت هذه البلاد خاضعة للنفوذ اليونانى ، مما جعله يتمتع بلقب مواطن يونانى. وقد حمل فى بدء حياته عداء سافرا للمسيحية ، الى أن خرج بقصة التقائه بالسيد المسيح وهو فى طريقه إلى دمشق ، على النحو الذى فصلناه فى غير هذا المكان ، وعلى الرغم من أنه لم يكن من حواريى المسيح أو ممن كانوا يتلقون عنه ، فقد صارت ثقافته مزيجا من افكار الحواريين الإثنى عشر الأساسية ومن الأفكار والعقائد اليهودية بالإضافة إلى المفاهيم الوثنية ، والأساطير الدينية الشرقية والتى ساد فيها عبادة آلهة منهم أتيس وأدونيس فى الشام وملكارت فى فينيقيا وتموز ومردوك فى بلاد ما بين النهرين وأوزوريس

---

(١) صفحة ٨٥ .

بمصر ومثيرا فى فارس. والظاهرة المشتركة بين هذه الآلهة انهم يموتون فى وقت معين من السنة ثم يبعثون بعد ذلك فى وقت آخر ، هذا ما تتناوله الأساطير فيبعثون فى من يتبعهم ويؤمن بهم الأسى والحزن فى حالة الموت ثم الفرحة فى حالة البعث. بل أنهم يلحقون بكل إله من هذه الآلهة ، زوجة أو حبيبة مثل افروديت وأشتار وايزيس ، ومن هذه الأساطير فى الموت والبعث استمد القديس بولس دعواه فى مأساة السيد المسيح ، فى الصلب ثم البعث والنجاة ، ذلك أن بولس قد استمد ثقافته وأفكاره من مصادر ثلاثة هى اليونانية واليهودية والرومانية ، إلى جانب ما كان يتمتع به من عبقرية شخصية وقدرة خارقة على تطويع الآراء والمذاهب لخدمة أغراضه ، وما كان يتميز به من قدرة خطابية وتعبيرية ، ولأول مرة انشئت كنيسة مسيحية تخلصت من صلاتها باليهودية ، واشتغلت بالدعوة التبشيرية الكبرى ، ومن ثم تطور بولس تطوره النهائى.

وشهد شاهد آخر من أهلها

وهذا شاهد آخر من أهل الكتاب ، من رجال الكنيسة السابقين ، وكان مكلفا بالوعظ فوق مذبح الكنيسة كما كان منوطا به التوسع فى دراسة الاكليروس والاديان الأخرى ، وقد توصل من واقع بحثه الشخصى بعد التعمق فى الدراسة ، ان العقيدة المسيحية بها بعض الالتواء وان الدين الاسلامى هو الدين الصحيح المنزل من عند الله سبحانه وتعالى على يد رسوله الأمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فأشهر اسلامه رسميا ، وتسمى باسم "ابراهيم خليل أحمد" بعد ان كان اسمه سابقا "القس ابراهيم خليل فيلبس" ليس هذا فقط ولكنه أيضا وضع كتابا بعنوان : "محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والانجيل والقرآن" نشرته له "مكتبة الوعى العربى" بالفجالة بالقاهرة . وتحت يدى الطبعة الخامسة منه ، أوجز فيما يلى بعض ما ورد به .

فقد ورد فى المقدمة ان المؤلف قد نشأ نشأة دينية وانه خصص حياته وماله وجهاده فى سبيل الله والحق ، وان الطريق الى الله واضح المعالم والوصول اليه رائده المنطق والعقل وان ما حفزه للبحث عن الحقيقة ما تنبأ به المسيح عليه السلام من بعث سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه بقوله فى انجيل متى اصحاح ٢٣ : ٤٢ و ٤٣ (الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب . . .لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره) ويقول المؤلف : "من هنا بدأت فى إطمئنان ويقين تام أبحث عن هذا الرسول النبى الأمى الذى تنبأ عنه المسيح عليه السلام والذى أشار اليه بقوله "الميسا المنتظر" وانه ربط بين هذه النبوءة وبين النبوءات العديدة فى التوراة والانجيل عن الانبياء والمزامير عن الرسول المصطفى المرتقب ، وانه بمقارنة وحدانية الاله فى الدين الاسلامى ، بالعقيدة السقيمة التى تنادى بالمثلث الالهى : الآب والابن والروح القدس "اله واحد آمين" ان هذه العبارة لم ترد فى الاصل اليونانى انما هى مستمدة من الوثنية الفرعونية .[١]

---

(١) كتاب :محمدصلى الله عليه وسلم فى التوراة والانجيل والقران لمؤلفه ابراهيم خليل احمد .

كما عزز ايمانه ما قارنه متعلقا بالغفران فى المسيحية واليهودية من انه "بدون سفك دم لا تحدث مغفرة" وما ترتب على ذلك من ضرورة اللجوء الى الكنيسة التى تبيع صكوك الغفران ، وما أدراك ما صكوك الغفران التى عبر عنها بأنها بدعة وخروج عن الحق الالهى ، وقارن ذلك بقول الله عز وجل فى الاسلام : "قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم" الزمر ٥٣

وانه قارن بين ما جاء فى الانجيل "اذن لسنا أولاد جارية ، بل أولاد حرة" من تفرقة عنصرية بغيضة ، وبين ما تميز به الاسلام من سماحة وتسامح ومساواة بين الناس جميعا وانه لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأعجمى على عربى ، ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض الا بالتقوى والخضوع الى الله سبحانه وتعالى .[١]

وانه قارن بين الرسالات السماوية ودرس التوراة والانجيل والقرآن ، وقرأ قوله تعالى :"فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام" وقد أراد الله هدايته فشرح صدره للاسلام .[٢]

ويقول انه رغم ما شاب أسفار الكتاب المقدس - سواء فى توراته أو إنجيله من بصمات بشرية ومحاولات حذف وإضافة ، وما حدث من محاولات رهيبة ومحمومة وأعمال حذف وإقحام من جانب المجامع المسكونية لتدوين المخطوطات القديمة ، فان النصوص الأصلية تشير بوضوح الى ظهور الرسالة المحمدية كما تشير الى شخصية النبى محمد عليه الصلاة والسلام حتى ان كثيرا من اليهود والنصارى الغيورين على دينهم ، ليسعدون بقبول محمد نبيا ورسولا عند ظهوره .

---

(١) حديث شريف .
(٢) كتاب : محمد (ص) فى التوراة والانجيل والقران صفحة ١٤ .

ويقول ان التوراة قد تعرضت للضياع فى عهد مملكة يهوذا واكتشفت فى أيام يوشيا ملك يهوذا ثم تعرضت للصياع مرة أخرى حتى الغزو البابلى فى أيام بنوخذنصر ملك بابل فأعيد تدوينها بعد عودة اليهود المسبيين من بابل الى أرض فلسطين فى عهد قورش ملك فارس مما ساعد على عمليات التغيير والتبديل والحذف والاضافة ، وأتاح للمحررين والنساخ ان يضعوا أفكارهم الشخصية وأهواءهم الذاتية ضمن نصوص التوراة السماوية وأقوال موسى عليه السلام كما ان انجيل عيسى عليه السلام قد تعرض هو أيضا خلال ستمائة سنة لمثل ما تعرضت له التوراة من تعديل وتغيير وحذف وإضافة على يد محرريه فضلا عن أخطاء إعادة النسخ ، وقارن هذا بثبات القرآن الكريم وحفظه كما أنزل منذ نزل على قلب محمد الى يومنا هذا ، مصدقا للتوراة والانجيل السماويين ومهيمنا عليهما .

وأورد المؤلف ما ذكره كيرت كوهل Curt Kohl فى كتابه "العهد القديم The old Testament" من ان الكتاب المقدس المتداول حاليا لا يحتوى على التوراة والانجيل المنزلين من الله ، ولقد اعترف علماء باحثون باللمسات البشرية فى إعداد هذا "الكتاب المقدس" (١)

كما أورد أقوال جيمس هستنج James Hasting فى كتابه "قاموس الانجيل Dictionary of the Bible " . . . ومع ذلك فاننا لا نتوقع ان نجد خلال صفحات الكتاب المقدس بعض الاجزاء من التوراة والانجيل الأصليين ، مما يتحتم معه دراسة جادة ، لكى تجعل مضمون الكتاب المقدس مفهوما" (٢)

ويذكر المؤلف الاستاذ ابراهيم خليل أحمد القس السابق الذى أشهر إسلامه ان ما زعزع ثقته فى عدالة الكتاب المقدس ما جاء فيه بشأن

---

(١) المصدر السابق صفحة ٣٦ .
(٢) المصدر السابق صفحة ٣٧ .

الذبيح من أنه إسحق على أساس انه الابن البكر لابراهيم ، وتجاهل بكورية اسماعيل بمقولة انه ابن جارية فتسقط بكوريته ، فى حين ان الاصحاح ٢١ من سفر التثنية العبارة ١٥ - ١٧ ينص على عدم تفضيل ابن على ابن ، أو إعطاء الابن الثانى بكورية الابن الاول بدعوى ان ام الثانى محبوبة وأم الاول مكروهة ، وانما يعطى الابن البكر ولو كان ابن المكروهة نصيبين من كل ما عنده لأنه هو أول قدرته له حق البكورية .

وكذلك لم تطبق هذه القاعدة بين ولدى اسحق : عيسو ويعقوب ، فرغم ان عيسو هو البكر ، فإن البكورية والبركة وما اليها أعطيت ليعقوب وحرم منها عيسو وبينما يعقوب بدوره قد أحب ابنه يوسف وهو الصغير وفضله على بقية أبنائه الكبار لا لشئ الا لأن أمه محبوبة من يعقوب أكثر من أمهات أبنائه الآخرين .

ويستدل المؤلف على ان النبوة والرسالة الشاملة للعالم أجمع قد اختص بها محمد عليه الصلاة والسلام الذى هو من سلالة قيدار بن اسماعيل بينما أن عيسى عليه السلام قد أرسل لبنى إسرائيل فقط حسبما جاء على لسانه "لم ارسل الا لخراف بنى اسرائيل الضالة" (متى ١٥ - ٤)وقال المؤلف تأييدا لذلك : "لم يكن يسوع المسيح هو الذى أعطى رسالته طبيعة الشمول والعالمية ، ولكنه شاول مضطهد الكنيسة الذى زعم ان المسيح تراءى له وجعله تلميذا وسمى نفسه باسم بولس تيمنا باسم الوالى الرومانى بجزيرة قبرص وكان اسمه سرجيوس بولس . (أعمال الرسل اصحاح ١٣ : ٧) (وأعمال الرسول اصحاح ١٣ : ٢)(١)

واستند المؤلف الى ان النبوة هى لمحمد صلى الله عليه وسلم ، من أقوال المسيح نفسه فى انجيل يوحنا (اصحاح ١٤ :١٥ - ١٧) :"ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، وأنا أطلب من الأب ان يعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الابد . روح الحق"

---

(١) المصدر السابق صفحة ٥٠ .

وفى انجيل يوحنا (اصحاح ١٤ : ٢٥ - ٢٦) على لسان المسيح أيضا . "بهذا كلمتكم وأنا عندكم ، وأما المعزى ، الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم ." "وهو يشهد لى" (يوحنا ١٥ : ٢٦ - ٢٧) وعلى لسانه أيضا " . . . متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لأنه لا يتكلم عن نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية . ذلك يمجدنى ." (انجيل يوحنا ١٦ :١٢ - ١٤)[(١)]

ويستطرد مؤلف كتاب "محمد (ص) فى التوراة والانجيل والقرآن" بأن لفظ البارقليط Para Kletos الواردة فى النص اليونانى والتى عربت فى الانجيل بلفظ "المعزى" الذى يدافع عن حقوق الآخرين ، الحريص على مصالح المؤمنين ، الناصح الأمين من أجل سعادة الآخرين ، الذى هو رحيم بالانسانية ، مرشد وآمين ، وان هذا يتطابق مع ما أطلقه القرآن الكريم فى وصف محمد عليه الصلاة والسلام :

"وما أرسلناك الا رحمة للعالمين" (الانبياء ١٠٧)
"ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور باذنه" (الطلاق - ١١)
"بالمؤمنين رؤوف رحيم" (التوبة :١٢٨)

وان كلمة "البارقليط" تقابل ألفاظ "العجيب - الممجد - المحمود - المحمد - الأحمد" وهى من مسمياته عليه الصلاة والسلام .

وان المسيح عليه السلام عندما أعلن عن مجئ النبى الذى يأتى بعده ، أنبأهم عنه قائلا "فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الأبد"
(يوحنا ١٤ - ١٥)

---

(١) نفس المصدر صفحة ٥٧ .

بما يعنى انه لن تكون هناك حاجة لأنبياء آخرين ، أو ما يعنى "خاتم الأنبياء وهو محمد رسول الله . "وأما متى يأتى ذلك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق"

(يوحنا ١٦ : ١٣)

وشاهد ثالث يتساءل :

الله واحد أم ثالوث؟

هذا سؤال يثيره شخص مسيحى النشأة ، من عائلة تعتنق المسيحية وتوغل فيها ، بل انه هو نفسه كان يعده أهله وذووه ليكون قسيسا وشماسا يبشر بتعاليم الدين المسيحى ، وبالفلسفة المسيحية التى أتينا على بعضها فيما سبق ، وخير ما نفعله أن ندعه هو يتكلم بلسانه - ذلك هو الأستاذ محمد مجدى مرجان[1] مؤلف الكتاب الذى يحمل نفس هذا العنوان . يقول سيادته:

(لقد اتاحت لى ظروف نشأتى فى عائلة تؤمن بإله ثالوثى تقيم له الابتهالات وتشيد المعابد ، ثم الحاقى تلميذا فى مدرسة الثالوث شماسا فى احدى الكاتدرائيات حيث يتم اعدادى وتوجيهى لأصبح داعيا لله الثالوث . أتاح لى ذلك وغيره الاطلاع على كثير من العلوم الدينية والاسرار اللاهوتية ... ولقد بذلت جهدا كبيرا فى محاولة اقناع عقلى وفكرى لظروف ولادتى ونشأتى ، التى تحتم الإيمان بالله الثالوث بحكم الوراثة والتقليد والانسياق والعادة ، ولكنى فشلت فى هذا ، فذهبت أبحث العقائد الأخرى فى حياد وتجرد لابحث فيها عن الحقيقة التى يرتاح اليها عقلى وضميرى والتى يسكن اليها روحى وجسدى ...)

ذلك واحد ممن أتاحت له ظروف نشأته ودراسته ان يغوص فى عقيدة التثليث ، بل لقد كان مرجوا من أهله أن يكون داعية لتلك الفلسفة ، واقفا على ذلك المنبر يردد ما لقن له ، لكن عقله لم يقتنع وضميره لم يسترح فراح يدرس هذا الدين وذاك فى تجرد وحياد الى ان انتهى الى الحقيقة ، ولنستمع اليه يقول فى حرية وشجاعة يحسد عليها .

---

(١) علمت فيما بعد انه المستشار محمد مجدى مرجان المستشار بمحكمة الإستئناف مما يدل على سمو مكانته واستقامة تفكيره . مما يعطى كلماته احتراما وتقديرا . وهو مؤلف كتاب "الله واحد ام ثالوث" .

(ان الايمان الحق يحتم على الانسان أن يواجه عقائده ويبحثها ، ثم يبحث ايضا غيرها دون ميل أو هوى ، وبلا ضيق او تعصب ... لايكفى للايمان الحقيقى وراثة العقيدة وتقليد الآباء والأسلاف ... ولو كانت العقيدة إرثا وانصياعا لما انتقل الناس من باطل الى الحق ، ومن عبادة الأصنام والأغنام الى عبادة الخالق ، ولبقى العالم الى اليوم كما كان منذ آلاف السنين ، يسبح فى الأباطيل والترهات .)

ولننتقل الآن الى فلسفة التثليث كما القى عليها الضوء ذلك الكاتب الشجاع المتجرد ، محمد مجدى مرجان:

يعتقد فلاسفة المسيحية ان الله سبحانه يتكون من ثلاثة أقانيم - جمع أقنوم - أى من ثلاثة عناصر مستقلة ، هى الذات والنطق والحياة . فالله موجود بذاته ناطق بكلمته ... حى بروحه .

فالآب	:	هو تجلى الله بصفته ذاتا .
والابن	:	هو النطق المتولد عن الآب .
والروح القدس	:	هو الحياة المنبعثة عن الآب .

وفى حين يقول القس توفيق جيد فى كتابه "سر الأول - نقلا عن كتاب الأستاذ محمد مجدى مرجان الله واحد أم ثالوث: (ان تسمية الثالوث باسم الآب والابن والروح القدس ، تعتبر أعماقا الهية وأسرارا سماوية لايجوز لنا أن نتفلسف فى تفكيكها وتحليلها ، او نلصق بها افكارا من عندياتنا .)

فان القمص ابراهيم ابراهيم فى كتابه "التثليث والتوحيد" يقدم تفسيرا لذلك فيقول:

(ان الله الآب قائم بذاته - ناطق بخاصية الابن الذى هو النطق .... حى بخاصية الحياة التى هى الروح القدس ... والله الابن قائم بخاصية

الذات الذى هو الآب ... ناطق بخاصيته هو ... حى بخاصية الحياة التى هى الروح القدس ...والله الروح القدس قائم بخاصية الذات الذى هو الآب... ناطق بخاصية النطق الذى هو الابن ... حى بخاصيته هو التى هى الحياة ...)

ويضيف الاستاذ يسى منصور:

(إن الأقانيم الثلاثة ليست مجرد أسماء تطلق على الله أو مجرد صفات ينعت بها ، بل ثلاث شخصيات متميزة غير منفصلة ومتساوية فائقة عن التصور ... والثالوث الأقدس هو دعامة إيمان المسيحيين ... ان هذا الكون العظيم لا يدلنا على وجود الله وقدرته فقط ، ولكنه أيضا يدلنا على طبيعة لاهوته وما به من تعدد الأقانيم .. فاذا تأملنا ماهية الله على ضوء الخليقة لوجدنا فيه النسبة والقدرة والانفعال المتبادل والمماثلة ، وهذه الأمور الأربعة تدعم عقيدة التثليث وتجعلها مطابقة للمنطق والعقل؟)

والحق أقول انى لم أفهم شيئا - أهى فلسفة أم دين ، وهل مطلوب من عامة الناس أن يعتنقوا شيئا لا يفهمونه بل لايفهمه حتى الخاصة من الناس . وقد أرادت الفلسفة المسيحية - بل لنقل الفلاسفة المسيحيون - أن يبسطوا هذه الألغاز فقالوا: اننا لا يمكن أن نفهم الله الا عن طريق تصوره بالصورة البشرية ... وكأنما أرادوا أن يعالجوا الغموض فوقعوا فى الخطأ ، كالشخص الذى يريد أن يخلص رجله اليمنى من الوحل فيرتكز برجله اليسرى على حافة بئر ، فإذا جدار البئر تنهار تحت قدمه وإذا هو يهوى إلى القاع ، فلا هو احتفظ بمكانه فوق الأرض ولا هو أنقذ نفسه من السقوط فى الهاوية أو كالمستجير من الرمضاء بالنار فهو هالك على أى الحالات .

ويقول محمد مرجان : ان الله فى نظر فلاسفة المسيحية له كيان قائم بذاته كالانسان تماما ، فالله ناطق بكلمته كالانسان ، وحى بروحه كما أن الانسان حى بروحه ، فالذات والنطق والروح كما تحدد معالم الانسان فهى

بالمثل تحدد معالم الله فى نظر فلاسفة المسيحية ومع ذلك فقد أعطوا الانسان صفات ضنوا بها على الله ، كالسمع والبصر والفؤاد ... ويضيف محمد مرجان المسيحى النشأة المسلم العقيدة نقلا عن القس بولس الياس مبررا عقيدة التثليث فى كتابه يسوع المسيح:

(من الناس من يقولون: لم يا ترى اله واحد فى ثلاثة اقانيم ... او ليس فى تعدد الاقانيم انتقاص لقدرة الله؟ أو ليس من الأفضل ان يقال الله واحد فحسب؟ ويرد القس بولس على تساؤلاته بقوله: لكننا اذا اطلعنا على كنه الله لا يسعنا الا القول بالتثليث؟ وكنه الله محبه ، ولايمكن أن يكون محبة ليكون سعيدا ، فالمحبة هى مصدر سعادة الله - والمحبة تفترض شخصين على الاقل يتحابان . وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما بحيث يندفع المحب الى هبة الذات لمن يحب ، هبة تكون فيها سعادتهما . فليكون الله سعيدا كان عليه أن يهب ذاته لشخص آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ويكون بالتالى صورة ناطقة له . ولهذا ولد الابن منذ الأزل نتيجة لحبه اياه . ووهبه ذاته ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ، وثمرة المحبة المتبادلة بين الآب والابن كانت الروح القدس ...)

وانظر الى أى مدى يلوون الكلام لتبرير فكرة ما ، فالحب كما هو ميزة مفضلة ، فهو أيضا سوءة مبغضة فالمحب يتغاضى دائما عن سوءات حبيبه ، فلا يرى فى نقائصه الا الكمال ، ولا يرى فى دمامته الا الجمال ، وهو بهذا ينحرف عن العدل وقول الحق فى كل ما يتعلق بحبيبه ، اذا نطق ترهات فهى فى نظره الحكمة بعينها واذا قال زورا وبهتانا فهو الصدق ليس غيره صدقا ... وهكذا وهكذا فالحب فى واقع الامر نقيصة لا تليق أن تلصق بالله العادل . فالحب بين شخصين يريم على البصر غشاوة فلا ترى الا ما يراه الحبيب والمحب لا يتكلم الا بلسان حبيبه ولا يرى الا بعينه ، ولا يسمع الا باذنه ، ولا يحس الا باحساسه ، ولا يحكم الا بمنطقه فاين الحق والعدل فى هذا وهما من ابرز صفات الله جل وعلا . ويتنزه الله عن حب أحد مخلوقاته دون باقى من خلقهم ، الا بالعمل الصالح والطاعة وحاشا لله الا أن يكون عادلا .

ثم هل لله رغبات والرغبة شهوة تلح على صاحبها حتى يتحقق له ما يريد ، والله فعال لما يريد .

ويستمر القس توفيق جيد فى شرح موضوع المحبة فيقول:

(ان الوحدانية دون الثالوث تجعل الله فى الأزل بدون موضوع للمحبة ، فالواحد فى كل وجه لا يقدر ان يحب الا نفسه ، وبعبارة اخرى بدون الثالوث أوبالاحرى بدون التمييز الأقنومى لا يبقى لله فى أزليته سوى ذاته ليحبها ؟ وتنزيها لله عن محبة الذات فقد وجد الثالوث حتى تتجه محبة الأقنوم الالهى نحو الأقنوم الآخر .)

ألا ما أشد جحودنا ، هل نسقط على ذات الله ما نطبقه على البشر؟

ويضيف القس بولس الياس عن موضوع المحبة هذا والآراء التى شكلوها حولها ، نظرية تقول:

"ليس الله اذن كائنا تائها فى الفضاء ، منعزلا فى السماء ، لكنه أسرة مؤلفة من أقانيم ثلاثة تسودها المحبة وتفيض منها على الكون براءته ، وهكذا يمكننا ان نقول ان كنه الله يفرض فيه التثليث .)

انهم يسقطون على ذات الله العلى ما يسقطونه على البشر من أحكام ، فيسترسل القس بولس فى شرح نظريته:

(ان العائلة المسيحية فى نظر المسيحى هى صورة مصغرة للعائلة الالهية المثلثة الاقانيم ، فيهب المسيحى ذاته لشريكة حياته هبة تامة ، وتبادله هى هذه المحبة التى تأتى ثمرتها الولد ، الذى يكون صورة لكليهما ورابطا يوطد بينهما اواصر الالفة والوفاق .) فهل المحبة من جانب الله تماثل المحبة عند الانسان بما فيها شهوة ورغبة؟

وما الفارق بين الأسرة المسيحية وأى أسرة أخرى تخالفها فى الدين والعقيدة ، ان الأسرة المسيحية يسرى عليها ما يسرى على غيرها من سلوك ، تكتنفه المحبة أحيانا ، كما قد يكتنفه النفور أحيانا أخرى ، بل والتفكك الأسرى فى بعض الحالات ، فبعيدا عن العقيدة ، لا تختلف الأسرة المسيحية عن غيرها من أسر المجتمع الذى تعيش فيه ، ويسود أعضاءها ما يسود أعضاء الأسر الأخرى ، بل قد يسودها النفور والضيق فترة اكبر لتعذر الانفصال او لصعوبته فى اكثر الأحيان . وان تشبيه ما اطلقوا عليه "العائلة الالهية" بالعائلة البشرية فيه انتقاص للاولى - ان صح وجودها . فالبشر على ما نرى متقلب المزاج بين حب وود أحيانا ، وبغضاء ونفور أحيانا اخرى ، وقد جعلوا لله شركاء وجعلوه فردا فى أسرة ، وهكذا رجعوا بالانسانية القهقرى آلاف السنين ، حين كان الأقدمون يعتقدون بوجود اله وآلهة هى زوجته ، ثم آلهة صغيرة هى نتاج زواجهما .

ثم هل اقتصر الله تعالى على خلق الإنسان ، لقد خلق الجبال والأشجار ، والنبات والحيوان ، فهل يمتد عشق الله وحبه إلى الجبال والحيوان ، بل لقد خلق الله الشيطان ، فهل يحب الله الشيطان ؟

ولله در الأستاذ محمد مجدى مرجان المسيحى النشأة الذى ولد وتربى فى ظل هذه العقيدة المعقدة . فلما رجع الى عقله وأعمل فكره ، واحتكم الى ضميره ووجدانه وقدر بشريته حق قدرها ، راح يستنكر هذا التفكير الملتوى والمنحرف عن جادة الصواب ، فيقول: (ومن يدرى فقد تعقب هذه الثمرة ثمرات اخرى يتزايد بها عدد أفراد الأسرة الالهية ويتم بها سعادتها ، فقد يشتاق الآب الى ابنة اخرى يبثها محبته وحنانه وتكون أختا حانية للابن الوحيد ، بل قد يتجاوز حب الآب للابنة حبه للولد ، ويمكن أيضا مع الزمن تصور إضافة أعضاء جدد للأسرة الالهية ، ويقتصر الحب الالهى عليهم ، فلا حب الا لأبناء الله ولا حنان الا لأفراد الجنس الالهى ، وأما البشر - عبيد الله - فلا حب ولا حنان لهم .)

ومع الحب دوما توجد الأنانية وحب الذات ، فكأنما يفترض فى الله تعالى الأنانية وحب الذات ، وحاشا لله ، إن يقولون الا كذبا ...

ويشبه محمد مجدى مرجان عقيدة الثالوث ، بعقيدة الوثنية ، بل هو يدلل أنها مقتبسة منها ، فيقول:

(يرى الباحثون فى الأديان ان القول بالثالوث الالهى هو مرحلة وسطى بين التعدد المطلق للآلهة وبين التوحيد التام ، فمنذ نشأة الخليقة والانسان فى بحث دائم عن القوى الخفية التى تحكم الكون وتنظم حركة الوجود . وفى المرحلة البدائية او مرحلة التفكير الطفولى للانسان ، لم يكن قادرا على أن يجمع هذه القوى كلها فى كائن واحد وان يردها كلها الى مصدر واحد ، فكان له فى كل مظهر من مظاهر القوى وفى كل ظاهرة من ظواهرها نظرة تقديس ورهبة وعبادة وولاء . فعبد الانسان ضار الحيوان ونافعه ثم عبد الأحجار والأنهار والأصنام ، كما عبد الشمس والقمر والنجوم والكواكب والرياح .)

(وفى المرحلة الوسطى للبشرية أخذ عدد الآلهة يتناقص شيئا فشيئا حتى أقتصر فى معظم الأحيان على الهين أو ثلاثة . فمن الشعوب من قسم الآلهة الى قسمين اله للخير واله للشر ، أو اله للنور وآخر للظلمة او اله للحرب وآخر للسلام فلا تجتمع صفتان متناقضتان فى اله واحد . ومن الشعوب أيضا من يتصور الله عبارة عن أسرة مكونة من اله ذكر تقابله الهة أنثى ولهما أولاد ... ومن تلك التصورات مذهب الثالوث الذى آخذت به الديانة المسيحية ، وهو تقسيم الله الى ثلاثة عناصر: آب وابن وروح قدس .) وهكذا نجد أن المسيحية قد تقهقرت بعقيدة الوحدانية التى نادى بها اليهود الى عقيدة الثالوثية التى أعتنقها الوثنية والديانات المبكرة فى فجر الوعى الانسانى .

فعقيدة التوحيد بناء على ذلك هى أرقى العقائد وخلاصة الفكر

الإنسانى الواعى ، فضلا عن أنها وحى الله وتبليغه للبشرية على لسان أنبيائه ورسله.

وبودى أن أسترسل فى نقل كل ما كتبه محمد مجدى مرجان المتربى فى أحضان الثالوثية ، والمعد ليكون شماسا يلقن الأجيال فلسفة لا يقتنع بها ولا يقبلها عقله الناضج ، حتى اذا ما غاص فى أعماقها اكتشف زيفها وغثاءها ، وأحيل من يرغب الى كتابه "الله واحد او ثالوث" من دار النهضة العربية بشارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة . وحسبى أن أنقل عنه هنا ما عبر عنه بقانون الايمان المسيحى أو الايمان الثالوثى الذى يردده الاخوة المسيحيون داخل كنائسهم ، وهو يحوى خلاصة الفلسفة الثالوثية:

(نؤمن باله واحد ، الله الآب ضابط الكل ، خالق السماء والأرض ، ما يرى وما لا يرى ، نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور ، نور من نور ، اله حق من اله حق مولود غير مخلوق ، مساو فى الجوهر ، كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان ، هذا الذى من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس مريم العذراء ، وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى ، وتألم وقبر من بين الأموات فى اليوم الثالث وصعد الى السماء وجلس عن يمين ابيه وأيضا يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات الذى ليس لملكه أنقضاء ..

.. نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب ، نسجد له ونمجده مع الآب والابن الناطق فى الأنبياء ، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ، وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى .... آمين .)

ومع كل الاحترام اللازم للآخرين ومشاعرهم ومعتقداتهم ، فالعقيدة نابعة من الوجدان الانسانى والاقتناع العقلى ، وليس لأحد سلطان عليها ، فقد جاء فى كتاب الله الحكيم "لكم دينكم ولى دين" "انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء" ونحن نؤمن بأنه "لا

اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى" "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" فكل انسان له حرية العقيدة كما يشاء لا معقب عليه وانما الحكم يومئذ لله ، وما خلقت الجنة والنار الا لحياة الخلود ، لتكون فيصلا بين الايمان وبين الكفر يوم يعرض الناس جميعا على أحكم الحاكمين ، فمن شاء أدخله الجنة يلقى فيها رغدا ومن شاء أدخله النار وبئس القرار .

ايمانا بهذا وتسليما به فاننا لا نستعرض هذا الدعاء تصغيرا له أو استنكارا لقائليه ، ولكن من حق أنفسنا علينا ان نناقش بعض ما ورد به ، لنقيس بمقياس العقل والحجة والبرهان ، وقد أمرنا ديننا الحنيف: "ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين"
١٦ النحل ١٢٥ .

فالدعاء يقول: نؤمن باله واحد ، الله الآب خالق السماء والأرض . وهذا كلام جميل يؤيده العقلاء الا انه يعود فيقول: نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد . فكأنما حصر "الألوهية" فى الله ، ثم حصر الربوبية فى المسيح وأوجد تفرقة بين الألوهية والربوبية ، وهنا يحق لنا ان نستوضح ما المقصود بالألوهية وما المقصود بالربوبية فى مفهوم هؤلاء ، الا اننا لا نلبث أن نجد أنه وصف المسيح بالألوهية أيضا فقال "اله حق من اله حق" فكأنما نسخ بذلك الفقرة الأولى التى جعلت من الآب الها ، ومن المسيح ربا ، اذ عاد فادخل المسيح فى الالوهية وجعله شريكا لله فيها فأصبحا الهين الله ويسوع ثم عاد فوصف الروح القدس بالربوبية اذ قال: الروح القدس الرب المحيى ، وبذا تدرج من الوحدانية الى الثنائية الى الثلاثية بل ربما الى الرباعية . فالله اله ، ويسوع المسيح اله ، والروح القدس رب ، والمسيح رب وهكذا نجد ان لله الآب صفة واحدة هى الاله ، وللروح القدس صفة واحدة هى الرب المحيى ، بينما نجد ليسوع المسيح صفتين هما الرب والاله . وربما كان فى ذلك تطابق مع اليهودية التى تصف اله اسرائيل بالرب الاله - سفر التكوين .

ثم ما جاء بالدعاء عن المسيح "انه مولود قبل كل الدهور" وهو نفس ما عبر عنه انجيل يوحنا دون باقى الأناجيل ، حيث ورد فى أول عبارة بالاصحاح الأول:

(فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ، كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان ... والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب ...)

ومعنى هذا ان المسيح وجد قبل آدم ، وقبل كل الدهور ، وبذا لا يكون له علاقة بالبشرية وليس من أبناء آدم ، فكيف اذن وصف بالناسوت؟ اى بالبشرية . وكيف اذن يكون آدم ، هو أول الوجود البشرى؟ ثم قيل أيضا انه "مولود غير مخلوق" ومولده جاء من مريم حسب كل العقائد ، ومريم من نسل آدم بل وولدت بعد آدم بآلاف السنين ، فوجود المسيح والحالة هذه تال لوجود مريم ، ومريم لم توجد الا بعد آدم ونوح وابراهيم واسحق ويعقوب ....و ....و ... فكيف اذن تمت ولادته واحشاء مريم ورحمها لم يوجدا الا بعد ان وُلدت مريم فى سنة كذا بعد الالف أو الالفين أو الثلاثة من بدء البشرية؟ ولم استثنى عيسى من الخلق وأمه ذاتها من خلق الله ، وقد جاء فى الكتاب المقدس الذى يقدسه المسيحيون أنها حملت به اى خلق فى أحشائها شأن كل وليد ، بل وصف بالنمو فى رحمها فسرى عليه ما يسرى على بقية الخلق من أطوار النمو فالولادة . (فقمطته وأضجعته فى المذود ..) لوقا الاصحاح الثانى .

ومعنى هذا أنه وان كان مولودا من بشر بفعل الله ، فهل لا يخضع لمشيئة الله وقوانينه أيا كانت ، حتى قانون الارادة الالهية ، والله خالق كل شئ ، الا له الخلق والأمر . اذن فلماذا اخضع لقوانين البشر فكان يجوع ويأكل ، ويشرب لأنه يعطش- وينام لأنه يتعب ثم ينعس ، ومن المؤكد انه كان يخرج فضلات الطعام والشراب شأن كل البشر . بل لقد مات وقبر شأن كل الناس كما ذكرت الأناجيل . بل لقد أراد ان يدرأ عن نفسه الموت ، حين ناجى ربه أن يعفيه من هذا المكتوب ، بل انه لم

يستطع أن يمنع عن نفسه الألم . حين وضع على الصليب ودقت فى يديه ورجليه المسامير - على حد قول الأناجيل - التى لكى يثبت لمن رأوه بعد القيامة أنه هو ، أراهم الفتحات والفجوات التى نتجت من المسامير .

إن واضع الفلسفة المسيحية لم يحسن وضعها ، ولم يحسن تصويرها ، ولم يرق الى الفلسفة اليهودية التى وإن احتكرت الرب الأله لنفسها دون باقى البشرالا أنها قامت على الوحدانية ، فلم يكن لليهود الا اله واحد . هو اله بنى اسرائيل وانظر الى تفسير القس توفيق جيد فى توزيع الأدوار بين الاقانيم الثلاثة:

(ان عملية خلاص الانسان التى هى قضية التاريخ الكبرى من بدء الزمان ، هذه العملية تفترض حاكما وقاضيا ، وتتطلب مخلصا وفاديا ، وتستلزم مقدسا ومحييا . انها تفترض حاكما وقاضيا اصدر حكمه بموت الانسان الخاطئ وهلاكه - بالله من هو ذلك الانسان الذى يعنونه بذلك؟ ومن يكون ذلك الحاكم القاضى سوى "الاقنوم الأول" فى اللاهوت . الله الآب . وهذا يتطلب مخلصا وفاديا يرفع الحكم عن الانسان الشقى ومن يكون ذلك المخلص الفادى سوى كائن الهى مثله ذلك الكائن هو الأقنوم الثانى فى اللاهوت . ثم ان عملية الخلاص تستلزم مقدسا ومحييا ،محييا يخلق من الانسان الخاطئ انسانا جديدا فى البر وقداسة الحق . ومقدسا يعيد للانسان الفاسد صورة القداسة المفقودة ، ومن يكون ذلك المقدس المحيى سوى كائن الهى قادر على كل شئ هو الأقنوم الثالث فى اللاهوت ، أى الروح القدس ...)

هكذا ظهرت الفلسفة جلية واضحة ، ثلاثة آلهة متميزين لكل منهم وظيفته الخاصة به ، الآب الاله الأول الذى سبق أن خلق الانسان يحكم بموته وافنائه من أجل خطيئته؟ وهى عصيانه واكله من الشجرة المحرمة ثم اله مخلص يفتدى الانسان ويموت من أجله وبدلا عنه - ذلك يسوع - ثم اله ثالث يخلق الانسان من جديد بغير خطايا مبرءا من العيوب . ماذا كانت رسالة نوح اذن وماذا فعل الطوفان بالناس الم يطهرهم؟ ويقتل العاصين عن طاعة ربهم .

ثم لنمسك القضية من أولها ، الله الذى خلق الانسان أول مرة ألم يكن يعلم ما هى طبيعة هذا الانسان ،عاصيا أم طائعا قوى العزيمة أم خائر ها وهو الذى قال

"ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد"

فأين هذه الصورة الاسلامية من التصور المسيحى؟

الله الذى خلق الانسان وأوجده يحكم بموته وافنائه ، فلم اذن خلقه من قبل ، الم يكن عالما بطبيعته؟

ولكن هناك اله آخر اله رحيم بالانسان عطوف عليه - عكس الاول - يغفر له خطيئته ويستأنف قرار الاله الأول بل يسقط ذلك القرار ويهدمه ويموت هو بدلا منه فيصبح فاديا ومخلصا للانسان ذلك هو يسوع المسيح . ثم يأتى دور الاله الثالث - الروح القدس - فيحمى الانسان من جديد ، كيف والانسان لم يمت اذ أن الذى مات هو فاديه ، الاله المخلص هذا هو تناقض الفلسفة المسيحية .

أما وقد مات الانسان - نظريا أو فلسفيا على الأقل - وجاء إنسان جديد أحياه الروح القدس انسان بر وصلاح ، فالمفروض أن تختفى الخطيئة من حياته ، فهل اختفت الخطيئة فعلا من حياة الانسان . هل اختفت الرذيله؟ هل اختفى القتل وسفك الدماء؟ هل اختفى الظلم واختفى الشر؟ والا فان العالم فى حاجة الى مسيح جديد ، بل ثالوث جديد يميت الانسان ويحييه ، ويقضى آثام الانسان وحروبه ومآسية؟

ثم ما هو مصير الثالوث الأول ، اين ذهب بعد أن لعب كل منهم دوره ، ومن الذى يرعى العالم الآن وهل يترك العالم بلا راع يرعاه أو مدير يدير حركته ، أو مدبر يدبر أموره وشئونه؟ .

الا يا قوم فلنتق الله فى عقول الناس . وكفى بنا فلسفة وهرطقة ، ولنعد الى جادة العقل والصواب ولا نتمادى فيما بدأنا ، لا لشئ الا المكابرة والعناد . وحياك الله يا محمد يا ابن مجدى مرجان . يا من رفضت اللامعقول ، وأيقنت الحقيقة ، فتصديت للهراء ورجعت الى بر الأمان والإيمان .

الفصل العاشر

أقوال علماء الغرب
عن دعوى تجسد الله فى السيد المسيح

---

* كتاب أسطورة تجسد الإله في الدين المسيحي. تأليف نخبة من أساتذة العلوم الدينية بجامعات إنجلترا. ترجمه الدكتور نبيل نصحي، طبعة دارالقلم للطباعة والنشر والتوزيع بالكويت

صدر في الربع الأخير من القرن الحالي (عام١٩٧٧) في انجلترا كتاب غاية في الأهمية تحت عنوان The Myth of God Incarnate وترجمته "أسطورة التجسد الألهي" وقصد بها اسطورة تجسد الاله في السيد المسيح، وهى الدعوى التي تستند اليها مسيحية الغرب في دعوى البنوة والتثليث.

أما مؤلفو الكتاب فهم سبعة من أساطين العلم والدين بانجلترا، نذكر أسماءهم ومراكزهم فيما يلي :-

١- دون كوبيت Don Cuppit محاضر في الالهيات وعميد كلية عمانوئيل بجامعة كمبردج ببريطانيا .

٢- ميخائيل جولدر Michael Goulder محاضر في علم اللاهوت في جامعة برمنجهام ببريطاني.

٣- جون هيك John Hick أستاذ علم اللآهوت بجامعة برمنجهام ببريطانيا وهو ناشر الكتاب

٤- لسلي هولدر Leslie Holden محاضر في دراسة الأناجيل - العهد الجديد - بكلية كنج - جامعة لندن ببريطانيا .

٥- دنيس نايتهام Dennice Nineham مدير كلية كيبل - جامعة أكسفورد ببريطانيا.

٦- موريس وايلز Mourice Wiles أستاذ علم الألهيات والكتاب المقدس في كلية المسيح جامعة أكسفورد ببريطانيا

٧- فرانسيس يانج Frances Young محاضرة في دراسة الأناجيل - العهد الجديد بجامعة برمنجهام ببريطانيا

هؤلاء السبعة وهم من الأساتذه المرموقين بجامعات انجلترا

كما ترى ومن المتخصصين في العلوم الدينيه-المسيحية على وجه الخصوص-في الكتاب المقدس- هؤلاء أجمعوا على أن دعوى تجسد الله سبحانه وتعالى - في جسد المسيح دعوى غير حقيقية وباطلة ولا يسندها شيء من المنطق بل لا تعدو أن تكون أسطورة مقحومة على الفكر المسيحي الذي جاء به عيسى بن مريم عليه السلام، مأخوذة من الفكر اليهودي والتراث الوثني الاغريقي، ولم تجر على لسان السيد المسيح نفسه ولا نقلها عنه أحد تلاميذه الذين لازموه وتتلمذوا عليه والمعروفين بأسم الحواريين .

ويقول ناشر الكتاب البريطاني الجنسيه أن هذا الكتاب أحدث ضجة كبيرة في انجلترا وواجه هجوما عنيفا من البعض . بينما أقبل على شرائه واقتنائه الكثيرون. حتى لقد نفذت النسخ التي طبعت منه في ذات يوم نزوله بالسوق، مما دعا الى اعادة الطبع مرات ومرات ، وتدور أبحاث هؤلاء الكتاب السبعة حول الأسطورة التي تسربت الى العقيدة المسيحية - والمسيح منها براء - تتعلق بتأليه المسيح وحلول الله المتعالى وتجسده فيه، ومن ثم جاءت دعوى التثليث (الآب والآبن والروح القدس) اله واحد آمين ؟ . . . . . .

كيف يستقيم أن يكون ثلاثة آلهه في اله واحد . دعوى لامنطق فيها . وينصح الكتاب السبعة المذكورون، بالتخلي عن هذه الأسطورة الدخيلة على دعوة سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام، المرسل من ربه نبيا ورسولا لبني اسرائيل لتصحيح سلوكهم واعوجاجهم في رسالة ربهم .

وفيما يلي نقتبس - مع الايجاز الشديد - بعض ما جاء بآراء هؤلاء الأساتذه المتخصصين

-١-

يتساءل البروفيسير موريس وايلز أستاذ علم الألهيات والكتاب المقدس بكلية المسيح بجامعة أكسفورد، هل العقيدة التجسدية ضرورية للدين المسيحي بغيرها لا يقوم هذا الدين؟ أو بمعنى آخر لو فصلت عقيدة التجسد والحلول عن الدين المسيحي ، هل يضار الدين المسيحى فى شيء ؟ ويتساءل ما مدى الثقه وما هو الدليل في أن أسفار الكتاب المقدس هى من عند الله سبحانه وتعالى، فلو اتضح أنها غير ذلك، وهذا ما أثبته كتاب ومفكرون كثيرون من داخل المسيحيه ذاتها - اذا ثبت أن هذه الأسفار غير مقدسة وغير الهية، وأنها كتابات بشر، فهل يبقى الكتاب المقدس مقدسا؟ وهل يظل أساس الدعوة لدين ملحوظ من الديانات التي تبسط سلطانها على جزء كبير من العالم وعلى عدد كبير من البشر يقدر بثلث البشرية المعاصرة على وجه التقريب وهل للقربان المقدس بتحويل الخبز والنبيذ التي يقوم بنذرها المؤمنون بالمسيحية، تتحول حقا الى جسد المسيح ودمه ؟ هل هذه الدعوى لازالت مفهومة ومنطقية بمفاهيم هذا الزمان، وهل نجمت عقيدة الحلول والتجسد الألهي في جسد المسيح كنتيجة حتمية لمولد السيد المسيح بدون أب من البشر متجاهلة قدرات الله سبحانه وتعالى أن يفعل ما يشاء وقتما يشاء وكيفما يشاء.

وكثير من المسيحيين يحفظون لأسفار الكتاب المقدس مكانتها الا أنهم يتنصلون في ذات الوقت من عصمتها، وبالتالي من قدسيتها، كما ورد ذلك في التقرير العقائدي للكنيسة الأنجليزية عام ١٩٣٨ ميلادية حيث اعترف هذا التقرير باختلاف وجهات النظر حيال هذه المسائل وأن تمسكوا بدعوى تجسد الاله في المسيح .

ويضيف البروفيسور وايلز أن التجسد بمعناه الكامل غير

مذكور بصورة مباشرة في أسفارالكتاب المقدس، وانما بنى بطريق الأستدلال على أساس الأدلة المتنوعةالمستقاة من المخطوطات القديمة في حين أن ازدياد المعلومات التاريخية في وقتناالمعاصر كشف الحقيقة لهذا الجيل عن الطريقة التي ظهرت بها دعوى التجسد مما لم يتح للأجيال السابقه، وأن كتاب الأناجيل لم يكونوا فقط ناقلين لتعاليم المسيح بل أنهم أعطوا لأنفسهم حرية التفسير، بل لقد اختلفوا فيما بينهم بشأن هذه التفسيرات، ففي البداية كان التجسد واحدا من الأفكار والتفسيرات التي جاءبها المسيحيون الأوائل، ثم ما لبث أن صار العمود الفقري الأساسي للعقيدة المسيحية .

هذه الفكرة التي نجمت عن تأثر العقيدة الأولى للمسيحية بالبيئات الأولى التي نشأت وسطها وهى البيئة اليهودية واليونانية، والتي كانت تعتقد بامكان التدخل الالهي كنمط طبيعي للفكر والايمان، الأمر الذي لم يعد اليوم - وهذا رأى المؤلف - صحيحا بالنسبة لغالبية المسيحيين .

ويقول وايلز : أن الكنيسة خلال تاريخ طويل من محاولات تقديم عرض منطقي للمسيح كأنسان كامل واله كامل في نفس الوقت، لم تنجح أبدا في عرض صورة متماسكة ومترابطة ومقنعة، وكانت بشرية المسيح هى التي أضيرت في الغالب بهذا الأسلوب . وتفرع عن ذلك جدل فيما اذا كان للمسيح ارادة واحدة أم ارادتان احداهما بشرية والأخرى الهيه،وهل المعرفة التي اكتسبها المسيح هى معرفة بشرية نمت معه من الطفولة الى الشباب والرجولة، أم أنها معرفة كلية علوية أفرغت مرة واحدة في ذاته وكيانه بالقدر الذى سمحت به قدراته البشرية ؟ وكان رد المؤلف على ذلك : أن ذلك غير منطقي .

ويتساءل في نهاية بحثه عن البديل عن التجسد، هل هو في العودة الى عقيدة التوحيد القديمة التي رفضهاالجسم الكنسي

فى الماضي لانها في نظره تخلو من الديناميية التي تطبع الأيمان الحى ، أو يمكن النظر الى اقتراح "مسيحية بدون تجسد" كحل ايجابي بناء؟ ويجيب بأنه ليس من السهل الأجابة على هذا السؤال ، فالدين هوأكثر بكثير من مجموعة أفكار ذهنية ذلك أنه مجموعة تقاليد حية متطورة ، وفي اطار المسيحية ، فان المعنى الديني الأكبر في أغلبه مترابط بصورة حميمة بصور وأفكار التجسد . ويستشهد وايلز بأقوال (ر.هـ.لا يتفوت) التي يقول فيها "ما خفى عنا في حياة المسيح في جزئهاالأرضي لا يقل عماخفى عنا من جزئها السماوي وهذا يعبر بصورة جلية عن حقيقة لا يمكن تجاهلها في ضوء الدراسة العلمية للأناجيل . وحتى لو كان يسوع هو (ابن الله) حقا المتجسد فيه وكانت حياته البشرية كاملة ، لا تتوفر لنا هذه الرجولة الكاملة مباشرة كنموذج مطلق السلطة على حياتنا . فهو -حسب العقيدة المسيحية- الذي نجتمع بالله من خلاله ، وعبره أخذ الله قرارا قاطعا بانقاذ العالم!!

"فيسوع الأقنوم الثاني والاله المتجسد في عقيدة التثليث هو الذي نصل عبره الى الله الأقنوم الأول وهو الذي تتوجه الأقانيم الثلاثة من خلاله الينا . !!

ولا يمكن التنبؤ سلفا بسهولة عن وجه التغيير الذي سينتج عن التخلي عن عقيدة التجسد لأن التنمية الدينية ليست ببساطة استنتاجا منطقيا ولكنها حياة متغيرة والتغير الأكثراحتمالا سيكون نحو تأكيد أقل خصوصية عن يسوع كمثل لكل البشر ولكل الثقافات ." (١)

-٢-

أما الأستاذة فرنسيس ينج المحاضرة بجامعة برمنجهام والمتخصصة في دراسة الأناجيل فتقول "أن الأناجيل ما هى الا وثائق ذات أهداف متعددة وآتية من خلفيات مختلفة يتوزع تاريخ

(١) المصدر السابق من صفحة ٢٧ الى صفحة ٣٩

تأليفها على ثلاثة أرباع قرن تقريبا ، مكتوبة بديباجات أدبية مختلفة في اللغة والاسلوب" وقالت عن ألقاب يسوع المسيح ، أن هذه الألقاب والأفكار التي رويت عنها كانت موجودة قبل أن يتبناها المسيحيون الأوائل ويمكن الاطلاع عليهافي وثائق غير مسيحية وبتفسيرات غير مسيحية ، وأن الألقاب التي جرى تداولها عن يسوع نسبت اليه من غيره ولم يدعيها هو لنفسه ، وأن هذه الألقاب لها جذور يهودية ويونانية قديمة ، وأن الأناجيل لا توفر معلومات مباشرة من الوحي عن تأليه عيسى عليه السلام .

وتقول أن الاعتراف بيسوع الآن وفي الماضي كان في بيئات مختلفة الثقافة ذات أنماط مختلفة من البشر لها آمال وتوقعات مختلفة بحيث تفرضاحتمال وجود أنواع عدة من البيانات المتباينة عن شخصيةالسيد المسيح تتشابه مع الطرق المتعددة التي عاناها وعبر عنها المسيحيون في موضوعى الكفارة والخلاص وتعتمد عليها .

وأن دراسة تاريخ وأعمال السيد المسيح في الأناجيل مبنية من مادة كانت جزءا من تراث ثقافي لتلك الفترة من التاريخ . وأن الألقاب التي لقب بها المسيح ناجمة عن التراث اليهودي الذي كان لمجتمعه آمال متنوعة سياسية واجتماعية ووطنية وتنبؤية ودينية وخارقة لظواهر الطبيعة ، بعضها متداخل وبعضها واضح الملامح غير متوافقة أحيانا . وأن ايمان الكنيسة بوضع تاريخي معين أثر على حفظ ونقل تاريخ يسوع ، وايمان كتاب الأناجيل بوضع معين أثر في اختيارهم للمواد وترتيبها وحفظها . وقبل الوصول الى هذه الاستنتاجات عن الأناجيل الثلاثة الأولى متى ومرقص ولوقا كان انجيل يوحنا يعامل لأجيال طويلة كتفكير عميق في حياة يسوع أكثر منه رواية لتاريخ حياته . وأكثر الأساليب ثمرا في الدراسات الحديثة كان اعتبار هذا الأنجيل مبنيا على مواعظ مؤسسة على تقاليد اجمالية .

وتضيف الباحثة : واذا التفتنا الى رسائل بولص فمن المتفق عليه بصورة عامة أن فهمها يستند الى اعتبار دراسته اللاهوتية كمجموعة افتراضات مسبقة، واجه بولص في ضوئها مشاكل المجتمعات المسيحية المعاصرة له . وكذلك يمكن فهم رسائل يوحنا، فقط اذا نظرنا اليها ضمن خلفية انقسام الكنيسة الذي دفع لمزيد من التفكير في طبيعة الشهادة المسيحية كالايمان بيسوع المسيح .

وتقول : ولنتوجه الآن الى الناحية الأكثر خصوصية في دراسة المسيح في الأناجيل، فالنقاش هنا يميل الى الدوران حول مجموعة ألقاب يسوع والمعاني الممكنة في الخلفية المعاصرة وفي اطار الأناجيل لكلمات : المسيح، ابن الانسان، ابن الله، السيد، كلمة الله، الخ ، هذه المعاني درست بصورة متكررة واستهلك فيها النقاش، وبرزت مجموعة من الاستنتاجات نتيجة لذلك ، منها :

(أ) أن الألقاب والأفكار كانت موجودة قبل أن يتبناها المسيحيون الأوائل ويمكن الاطلاع عليها في وثائق غير مسيحية.

(ب) وبتطبيق استعمالها على يسوع حملت هذه التعابير مضامين جديدة وأصبحت التفسيرات الجديدة أمرا لا بد منه عندما ظهر امتزاج جديد لأفكار كانت من قبل متميزة كل بمفردها .

(ج) ومن المحتمل أن الامتزاج كان نتيجة لتفتيش المؤمنين بالمسيحية عن تصنيفات يستطيعون بواسطتها التعبير عن استجاباتهم ليسوع أكثر منه نتيجة ادعاء ليسوع أنه هو هذه الشخصيات المعينة .

(د) ان دراسة المسيح في الأناجيل مبنية من مادة كانت جزءا من تراث ثقافي لتلك الفترة من التاريخ . وقد تغيرت الألقاب ونمت بتطبيق استعمالها على يسوع .

(هـ)ان يسوع لم يكن بصفة خاصة "مسيحيا سياسيا جيدا" ولكنهم ادعوا أنه(ابن داود) ولو كان من نسل داود ما كان بأستطاعته أن يكون كاهنا حسب قوانين التوراة، (اذ أن الكهانة قاصرة على سبط هارون) .

(و) ومن بين كل الألقاب التي أسبغت على يسوع، كان لقب (ابن الانسان) هو فقط الذي يظهر باستمرار في استعمالات يسوع نفسه وعلى لسانه .

(ز) يظهر من بعض نصوص الأناجيل، كأنما كان يسوع يشير فيها الى شخص آخر غيره، كما في انجيل مرقص (٨ :٣٨)* ، بل ان انجيل مرقص يحمل انطباعا بأن يسوع حاول أن يبقي هويته كمسيح سرا لا يفشيه الا في دائرة أخصائه .

(ح) ان المهم في دراسة المسيح أن بولص استطاع أن يوهم الناس بأنهم جسد المسيح وأنهم يعيشون في يسوع وهو يعيش فيهم، وأن موت المسيح وقيامته يعبر عن موت المؤمنين به وعن قيامتهم وهكذا أصبحت حياة هؤلاء هى حياة المسيح نفسه، وأن اشارة بولص الى (التبني) لا تعني فقط (بنوة) المسيح لله، بل تعني بنوة كل المؤمنين لله . وأن مركز الايمان الحى بالنسبة لبولص هو اندماج أتباعه في المسيح وتجسد المسيح فيهم .

وتضيف الكاتبة المذكورة أن فكرة التجسد بمعناها المقبول تقليديا لم ترد حتى صراحة في رسائل بولص بل وجدت في أذهان قراء هذه الرسائل الذين فسروها على هذا النحو ، وأن كتاب العهد الجديد (الأناجيل) كانوا يتلمسون طريقهم شيئا فشيئا نحو فهم كامل للسؤال : من هو يسوع ؟ وأن الأجابة على ذلك توفرت بنمو المعتقد الكنسي بالتجسد . ويمكن القول بصورة عامة أن عالم اللاهوت المسيحي في القرون القليلة الأولى قد

* "لأنه ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه. أو ماذا يعطي الانسان فداء عن نفسه. لأن من استحى بى وبكلامى فى هذا الجيل الفاسق الخاطىء فإن ابن الانسان يستحى به متى جاء بمجد ابيه مع الملائكة القديسين."

واجه سؤالين أساسيين :

(١) ماهى الصلة بين يسوع السامي المقام الذي يعبد على أنه هو (السيد) وبين الاله الواحد الأحد ؟

(٢) ماهى صلة الله بهذا العالم ؟

وأنهم استنبطوا من الفكر اليهودي امكان الاتحاد بين (الاله) وبين البشر، وعندما استعصى عليهم الاجابة على السؤال الأول، اضطروا ازاء هذا التناقض بين فكرة عبادة اله واحد وبين فكرة التعبد لالهين، أن يضعوا هذه الصيغة في شكل (التبني) . أى الربط بين الاله وبين يسوع برابطة البنوة والأبوة، بينما توصلوا الى اجابة للسؤال الثاني، بأنه يلزم ايجاد وسيط أو وسطاء بين الله في عليائه وبين العالم الذي هو من خلقه وايجاده، فكان الحل في الجمع بين اللاهوت والناسوت على الصورة التي اعتنقتها الكنيسة وروجت لها . وقد استقى هذا من الفلسفة الأفلاطونية التي تستند الى التباين بين الاله المتسامي في عليائه وبين العالم الأرضي والتي تحاشت وضع خط فاصل بين الاله الخالق وبين خلقه من البشر . وأن ايجاد هذا الخط الفاصل كان هو المشكلة الملحةعلى المسيحية مما اضطرها الى ايجاد الحل في هذه العلاقة (البنوية) بين البشر وبين الاله .

-٣-

أما الأستاذ ميخائيل جولدر المحاضر في اللاهوت بجامعة برمنجهام، فيقول أن بولص قد استوحى فكرة التجسد من أفكار السامريين (العبريين)، وبذا تكون فكرة التجسد من أصل يهودي، ويروى في مجال مجاذبته الحديث مع بعض رجال الدين المسيحي "هناك شيء أكيد وهو أن يسوع نفسه لم يكن يظن أنه الأقنوم الثاني في ثلاثية التثليث."

ان مهمة يسوع كانت مؤسسة على الدعوة العامة في الجليل وموضوعها الأساسي هو أن حكم الله الموعود الذي ذكره الأنبياء قد ابتدأ ، فيسوع يدعو في الأناجيل الثلاثةالأولى لملكوت الله ، وأن دعوته بدأت بعد القضاء على (يوحنا المعمدان) وأن هناك طائفة من أتباع يوحنا المعمدان كانت بمثابة منافس للكنيسة المسيحية ، وأن هذا يظهر في الكتاب الخامس من العهد الجديد . وكان المسيح ينظر اليه كزعيم (محارب) أوكل اليه أمر اقامة أمبراطورية يهودية تتجاوز أمبراطورية داوود .

ان نبوءة دانيال قد تنبأت من قبل بالاطاحه بالامبراطوريات الوثنية التي صورها في أحلامه على شكل وحوش ذات رؤوس متعددة ، وأن يسوع في الأرجح قد رأى نفسه مثل دانيال (ابن الانسان) الذي يجب أن يتعرض للمحن فترة أو فترتين (ونصف) ، وعندها فقط يسمو للحضرة الألهية ويعطى الملكوت !!

وحسب انجيل مرقص فان يسوع قد رأى قدره في (ابن الانسان) ونائب الله في الأرض مع كل الصلاحيات ليغفر الذنوب ويلغي الوصية الرابعة من الوصايا العشر (لاتصنعوا معي آلهه) ، ولكنه كابن انسان كان يتوقع أن يتعذب وأن يموت ، بعد ثلاثة أيام ليعطي مملكته ويعود حاكما كامل القدرة . ولقد وجدت الكنائس الأغريقية نفسها عاجزة عن التبشير بهذا الأسلوب كما هو الأمر الآن في عصرنا الحاضر . ولقد استعمل مرقص هده الفكرة رغم صعوبتها لأن التاريخ كان يتطلب ذلك . وتوسع متى ولوقا في استعمالها لما فيها من نبرة الهية مرتفعة . وفي العهد القديم كان ينظر للملك الداوودي كابن للاله : (سأكون له أبا ويكون لي ابنا . أنت ابني ، اليوم أنجبتك) .

ومن هنا كان ينظر الى يسوع ليس كنبي أو مساعد لله ، بل كابن لله . والتي عبر عنهاانجيل مرقص في العشاء الأخير .

ورغم وجود عدد من الأمثلة في الأدب العبري عن حاخامات وقديسين تحدثوا عنهم كأبناء لله، الا أنه ليس هناك مثيل جدي مواز لأستعمال كلمة (آبا Abba) عند مخاطبة الله، وهو تعبير عادي بالنسبة لولد يخاطب (أباه) .

وقد خرج يسوع على مبادىء الدين اليهودي، فشفى المرضى في يوم السبت ، وتحدث عن الزواج على أنه رباط مقدس غير قابل للفسخ متحديا بذلك التوراة . وقلب قوانين الطعام فأكل مع الأنجاس (غير النظيفين) ورحب بهم في مجتمعه مما اعتبره المتدينون فضيحة . وأصالة يسوع ليس في أنه أشاد بالمحبة، فكل تعاليمه تقريبا لها نظائرها في المصادر اليهودية، ولكن أصالته في رؤيةامكانية الأختلاف أحيانا مع المفاهيم اليهودية والقانون اليهودي، وتحمله مسئولية تجاوز هذا القانون . ولم يكن اختيار يسوع لتلاميذ وأتباع عددهم اثنى عشر، قد جاء عفوا، وانما قصد بذلك أن يكون عددهم مواز لعدد أسباط بني اسرائيل الأثنى عشر وحتى يختص كل واحد منهم بسبط .

أما قبوله للمنبوذين اجتماعيا في مجتمعه مع الذين لم يقترفوا اثما أو أعمالا فاضحة في حياتهم ناقضا بذلك للتقاليد التوراتية، فقد وصف هذا بأنه غفران للخطايا.

وعندما رأى المنبوذون أن المجتمع قد قبلهم، انقلب كرههم للمجتمع الى محبة .

ان كل شعب أو مجتمع تزداد به الأزمة الى ذروتها وتتعقد عنده الأمور، ينظر الى زعيم منقذ يأخذ بيده وينتشله من وهدته، وقد تكرر ذلك في التاريخ القديم والحديث على حد سواء وبالنسبة ليسوع فان طوائف اليهود المختلفة من فريسيين ومتعصبين، وسدوسيين، (وهى طائفة سياسية يهودية تعارض الفريسيين) عندما وصلت جميعها الى مفترق الطرق والى

ذروة الصراع، كان لابد من ظهور زعيم منقذ، هو ما تنبأت به المخطوطات الدينية في نبوءة دانيال : (له أعطى السلطان والمجد والملكوت) وعلى كل الناس والشعوب يكون سلطانه، وسلطانه دائم لا يزول أبدا ومملكته لن تدمر) دانيال ٧ :١٤ ومن ثم أسبغ على يسوع أنه **المخلص والمنقذ** .

ومن صميم صفات رجال القدر هؤلاء احتمال استشهادهم دفاعا عن مبادئهم، وهذه مخاطرة يعلمونها سلفا، فان من يتصدى للوقوف في وجه الظلم يعرض نفسه للموت والأستشهاد . وهذا أمر طبيعي ومنطقي، وتكرر مرارا على مسار التاريخ فهم الهدف الواضح للظالمين . ومن ثم كانت أسطورة نهاية حياة المسيح على الصليب، وهى الدعوى التي تبنتها الكنيسة لتجعل من مأساوية حياة المسيح دافعا منشطا للدعوة التي نادى بها . وذلك أنه لو عاش يسوع داعيا للمحبة فقط ثم مات (ميتة طبيعية) فمن الصعب التفكير بأن دعوته كانت ستعيش أكثر من أسابيع قليلة . لكن أسطورة هذه الميتة المأساوية على الصليب، ثم القيامة والعودة الى مملكته، كل هذا أذكى عند أتباع المسيح التحمس الزائد له .

وينهي الأستاذ جولدر بحثه بالعبارة الآتية :

"وبعض المسيحيين الأقل تقليدية يرون أن الله في علاقة مستمرة قوية مع الكون،(ولكن بدون تفاعل وتبادل !!) كيف ؟؟ قال : لقد وضع الله العالم على الطريق الصحيح وفيه نظام من ذاته لتنميته المتطورة، ومن جملته ظهور الأنسان وفي تركيبه الفطري تجاوب ديني مع الحياة، كذلك ظهور بعض الناس بمشاعر دينية أدق وأعمق من غيرهم، وكان لا بد من ظهور أناس فيهم أعلى المستويات من المشاعر الدينية، وصدف أنهم كانوا من بني اسرائيل ... وكان لا بد أن يقع القدر على واحد منهم ليبدأ مجتمع المحبة العالمي، ولم يكن من الممكن ممارسة مثل هذه

الدعوة قبل ظهور درجة معينة من النضج القومي ثم انفتح الباب لأى اسرائيلي له القدر الكافي من الولاء والاخلاص والشجاعة والتوجه الشديد نحو الهدف، ليتجاوب مع هذه الدعوة، وكان الرجل الذي قبل التحدي هو يسوع ."(٢)

ثم يقول الأستاذ جولدر أنه ورد في انجيل لوقا أن سمعان ادعى أنه قدرة الله التي تسمى كبيرة، ومعنى هذا أن سمعان كان يعتقد أن الله قد تجسد فيه، وهذا تجديف ولا شك (أى كفر) فكيف قبل سمعان في الكنيسة بعد ذلك، أراد لوقا أن يخفف من هذا الكفر فقال أن سمعان كان (ساحرا)، وكان هذا التفسير المخفف حتى يقبل سمعان في الكنيسة - ويستفاد من هذا أن ادعاء التجسد الألهي في المسيحية لم يتناول المسيح فقط ولكن تعداه الى غيره من التلاميذ .

ويضيف جولدر : بعد مااستشهد جيمس العادل، عين (سيميون) بطريكا، وكانوا الى هذه اللحظة يسمون الكنيسة عذراء، لانه لم يصبها الفساد حتى ذلك الوقت بالتعاليم الباطلة، الا أن (نيبوثيس) وبسبب عدم تعيينه بطريكا، بدأ يفسدها سرا مع الطوائف السبع من اليهود الذين كان هو نفسه منتميا اليهم، ومنهم جاء سمعان وهو سامرى ، وسميت جماعته بالسمعانيين .
وأنه في الخمسينيات من التاريخ الميلادي، كان في القدس حزب كبير من المسيحيين السامريين، الذين فشلوا في تعيين مرشحهم كبطريك بعد استشهاد جيمس، وأنهم أصبحوا بعد ذلك نواة لطوائف متكاثرة. ويظهر مدى تأثير السامريين (اليهود) في المنحى العام للمسيحية من عدد المرات التي يظهر فيها تناسب ايجابي في التفاصيل بين توراة السامريين والترجمة الآرامية المفسرة للعهد القديم، بخاصة في انجيل يوحنا وكتاب لوقا الكتاب الخامس في العهد الجديد . فيوحنا يظهر متعاطفا مع السامريين ، فيصف رحلة يسوع في زيارة أمرأة من السامرة دخلت

---

(٢) صفحة ١٠٧

المسيحية وأدخلت معها مواطنيها وأن الرسائل العبرية كانت موجهة للسامريين المسيحيين الذين كانوا طائفة قوية في كنيسة القرن الأول ، وقد نمت وشكلت طائفة المعرفيين (الفنوسطوسيين) Gnosties في القرن الثاني ، وكانت هذه الطائفة تشكل تحديا لمسيحية الجليل في كل مكان . وأستأثرت بمسيحي مصر وشرق سورية ، وفي مصر مسيحية غير أرثوذكسية لاهوتها هو لاهوت المعرفيين Gnosties [٣] .

والقطيعة التي حدثت بين القدس (حيث الهيكل) والسامرة حدثت بالتدريج بدءا ببناء معبد مستقل على جبل جريزيم في عهد الأسكندر . واستولى السامريون على الكتب المقدسة اليهودية الخمسة (المعروفة بتوراة موسى) وعدلوا بعض نصوصها . وفي عقيدة السامريين يوجد أكثر من اله : اله قديم أزلي (أضاع قرونا منذ ايلياءابسا متجهما) ويسمى أيضا الرب الألهي ... ثم الرب (المجد) ... ثم الرب السماوي وتظهر هذه الأزدواجية في سفر التكوين بتسمية الاله مرة بأسم (الوهيم) ومرة باسم (يهوه)[٤] ومن ثم فان (سمعان ماغوس) اعتبر نفسه تجسدا لواحد من هذا الثالوث الألهي .ويتساءل المؤلف : اليس من الممكن أن يكون سمعان قد استوحى فكرة (التجسد الألهي) من بولص وطبقها على نفسه ؟ فالازدواجية وعقيدة التجسد كانتا من الأشياء المقبولة في العقيدة عند السامريين الذين دخلوا المسيحية في العقد الأول من تاريخ الكنيسة .

وتقول المصادر اليهودية والمسيحية الأساسية أن السامريين لم يؤمنوا بالبعث لأنه غير موجود بالأسفار الخمسة .وأن سمعان لم يعتقد بالبعث ولكن (بعدم الموت) . ومن ثم فليس من الصعب رؤية أى نوع من العقيدة كان من الممكن أن تظهر عندما جاء(فيليب)للسامرة في الثلاثينيات ومعه قصة حياة يسوع وموته وقيامته ، وكان الصليب كما قال بولص هو العقبة الكؤود في طريق

---

(٣) صفحة ١١٨ (٤) صفحة ١٢٢-١٢٣

الايمان . ففكرة (مسيح مصلوب) تتناقض مع فكرة ملك مرسوم من نسل داوود يقود اليهود الى النصر . ولذلك بررت كنائس بطرس وبولس هذا التناقض بالأستعانة بنبوءة دانيال بأن على (ابن الانسان) أن يتعذب وأخيرا يشكو من الآم الحشر لمرة ومرتين ونصف !! ثم يرفع الى مركز الساعد الأيمن لله ويعطي ملكا عالميا . وسمى موته تضحية وخلاصا وواسطة للعفو عن الخطايا السابقة . ومن ثم كان على الدعوة المسيحية عاجلا أو آجلا أن تدعى بالأقنوم الثاني المتجسد في يسوع ... أو تفشل ويذهب ريحها .

"لذا فدراسة المسيح من وجهة نظر السامرية ، تميل الى الاسهام بخمسة أشياء اضافة لتفسيرات أهل الجليل لمغزى المسيح :

١- التأكيد على الحكمة والمعرفة كثمرات أولية لأعتناق المسيحية ، أكثر من الاعتماد على الايمان والحب . ولذلك سموا المعرفيين ...

٢- أسطورة الوجود السابق للمسيح في الاله الرأسي وفي تجسد هذا الاله .

٣- الدعوة (للمجد) بدلا من الدعوة (لابن الانسان) واتخاذ (موسى) النموذج بدلا من (داوود) .

٤- التقليل من موضوع صلب وقيام المسيح ، فيسوع يجب أن يأخذ طريقه الى الآب .

٥- فلسفة حشر ونشور منجزة حاضرة بدلا من فلسفة حشر ونشور مستقبلية .

وهذه هي معتقدات معارضي بولص ومصدر الجدل الذي أدى الى تركيب الأرثوذكية الكلاسيكية .

ومن أبرز خصال بولص التى تستحق الاعجاب كما يقول الباحث - مرونته وقدرته على "سرقة ثياب معارضيه عندما يستحمون" فلقد سرق بولص الحكمة من المبشرين الآخرين ، أما "معرفتهم" فلم يمسها فقد وضع خطا فاصلا بين معرفة المسيح ومعرفة كل الأسرار التى يدعيها الآخرون بأن المسيح كان موجودا منذ الأزل . فيقول : يسوع كان دائما ابن الله ، ولكن كان عليه أن يولد بطريقة ما وكان ذلك من خلال ذرية داوود من ناحية الأب . والأنسان هو بذرة أبيه حسب التفكير اليهودي أما الأم فهى الناقلة فقط حيث تنمو البذرة . وهنا يصطدم بولص بعقبة ، فكيف يكون ليسوع أب ثان - داود والأب - وكيف يمكن تفسير ذلك ، فيتحاشى بولص الاجابه عليه بالمعادلة الفارغة ذات المستويين . فيذكر وعد الله لابراهيم ولبذرته - وليس لذريته - وبذرته هى المسيح . وقد خلق آدم من التراب أما يسوع فقد جاء من السماء ...!!! والأفكار الجديدة تحتاج لوقت كى تهضم فعندما كتب بولص رسالة للمسيحيين الذين آمنوا بالتجسد في (كورنثيا) أدخل ولو باختصار هذه الفكرة الجديدة عن المسيح .ولكنه لما كتب للرومان والفالسيين أبعدت هذه الفكرة الجديدة واستعيض عنها بالآراء المعروفة قبلا . فلم يكن هناك ذكر للأبوة البشرية ليسوع . (كان يسوع المسيح بشكل الاله وأفرغ نفسه بولادته وكان مطيعا حتى الموت ... الموت على الصليب . لذلك مجده الله كثيرا ووهبه الأسم الذى هو فوق كل الأسماء) .

ومن هنا نجد أن بولص كان يتكلم مع كل أناس بما يناسبهم ويتمشى مع أفكارهم ولو تعارض ذلك مع كلامه مع غيرهم ، وبذا كان يلقي كل قوم بالوجه الذى يرضيهم .

ولم يكن عند بولص الا القليل عن حياة يسوع ، والملاحظات التى ابداها فى أول رسائله الى كورنثيا كانت عن (حاخام) بشرى الصفات يعطى التوجيهات عن تكرار الزواج . وأنه

(يسوع) تنقل في كل أرض فلسطين كانسان بشري عرف التعب والخيبة والخوف واليأس ...ولكن سرعان ما تآكلت الناحية الكاشفة لبشرية حياة يسوع على أيدي الذين خلفوا مرقص . فزوقوا كلامه وأفكاره ولمعوها وبدلوا فيها .

ويختتم جولدر مقاله :"ان الدراسات التاريخية لا تنقض النشاطات الالهية بل تجعل نمط الوحى القديم غير مفهوم ، ففلسفة الحشر والنشور لأهل الجليل لايعتقد بها أى منا ، لأن يسوع لم يعد أثناء حياة واحد انتظره ، وهى دعوى سامرية لايعتقد بها أى منا لأنها تشير الى ثنائية فى الكائن الالهي ، فهى بالنسبة لنا تخمين غير مأمون ... فمن الواضح أن خلق أسطورة اعتقد بها في العالمين القديم والوسيط كان أمرا هاما حاسما بالنسبة لتأسيس الكنيسة . وما أعنيه أنه لايمكن تصديقها اليوم وأن جيلنا مدعو لصياغة دراسة مسيحية جديدة . وكمسيحيين كاثوليك نحن نشتهي اعطاء سلطة لتجربة وايمان يسوع نفسه ولأصحابه الأوائل وأكثر ذلك مفتوح مكشوف لنا . أما ظنون التجسد التي أدخلها للكنيسة سمعان ماغوس ورفاقه السامريون فيبدو لي أنه يمكن الاستغناء عنها كلية."(٥)

-٤-

أما فرانسيس يانج الأستاذة بجامعة برمنجهام فتعترض على حصر مصادر التجسد في مصدرين فقط هما اليهودية والوثنية على ما وصل اليه ميخائيل جولدر فى البحث السابق، وتقول أن مصادر التجسد أكثر من ذلك بكثير ، وأن الاقتصار على مصدرين فقط لعقيدة التجسد، يؤدي الى اهمال مصادر وأدلة وأحداث أخرى . اذ لاشك أن تأليه المسيح قد جاء نتيجة مجموعة واسعة من الأفكار والصور والتخمينات الماضية التي كانت موجودة في العصر الذي سبق ظهور المسيح والكنيسة، وانتقل بالتالي الى ذلك

---

(٥) صفحة ١٤٤

العصر.

فهناك أسطورة عن نزول (الاله أبولو والاله اسكليبوس) الى الأرضباعلانات الهيه وعجائب ، فيشفى الناس ويعمل الخير ويتنبأ بالمستقبل . وأن الهة تدعى (امفيكسيون)قد حملت من أبولو وولدت طفلا وقد تكون هذه الأسطوره الوثنية هى التي أوحت الى المسيحية بقصة بنوة المسيح لله. كما تسرد أسطورة وثنية أخرى قصة عمن يدعى (بروثيوس) الذي القى بنفسه في النار لينتقل من محيط البشرالى عالم الآلهةوأنه صاحب ذلك حدوث هزة أرضية كبيرةرافقها انشقاق الأرضثم طيران عقاب ألسنة اللهب ذاهبا الى السماء قائلا بلغة بشرية وبصوت عالي :"لقد انتهيت من الأرض. أنا متوجه الى الأولمب مقر الألهة."

وأن هناك من يدعى (بريفرينوس) ادعى النبوة وزعامة لمذهب ورئاسة كنيسة وقد آمن به كثير من المسيحيين وكانوا يتعبدون له بعد ذهاب المسيح ، وأن بريفرينوسهذا جمع ثروة طائلة على حساب سذاجة أتباعه المسيحيين ، مما يؤيد أن المسيحيين الأوائل كانوا مستعدين لتصديق أى قصة تروى لهم ولو من مشعوذ . اذ كانوا معروفين بالبر واستعدادهم للموت كشهداء ، كما أن هناك قصة لصعود (هرقلس) الى الألهه أيضا عن طريق النار، كما تردد تأليه (اسكليبوس) و (ديونيوس) برحمة من اله أطلق عليه اسم "لاقط الصواعق".

وأن هناك من كان يدعى (اسكندر الالهي) الذي رتب ولادة أفعى صغيرة من بيضة نعامة ويظهر أنه كان يزاول أعمال السحر والدجل، اذ أنه بعد أيام قلائل أجلس نفسه على أريكة وهو يرتدي زيا يناسب الألهة محتضنا الأفعى المذكورة وقد كبرت وتضخمت ومعها رأس بشري مزيف وعرفت الأفعى باسم (غلايكون) وقد جاء اسكندر هذا بتنبؤات ووصفات للشفاء من الأمراض وصور نفسه كنبي يستجيب للصلوات وادعى أن موهبته

التنبؤية صادرة عن عقل الله (الأب) الذي أرسله لمساعدة الناس الطيبين ، وستعود روحه الى الله عن طريق "لاقط الصواعق" الذي يخص الله .!! كان الناس في تلك الفترة يعتقدون بالآلهة والشياطين كرتبتين لكائنات عليا ، وأعتبر (أبولو تيوس) و (اسكندر) الأمثلة الرئيسية لما في (الانسان الالهي) في العالم القديم من صناع المعجزات والأنبياء الذين يعتبرون زوارا من عالم آخر .

وتقول المؤلفة أن هذه الروايات كانت ردا على ادعاء التجسد الألهي في المسيح ، وهى تتحدث عن أنبياء سابقين ادعوا أنهم الهة وأبناء آلهة . ومنها ما ذكر عن أفلاطون من أن ولادته تمت بطريقة عجيبة ومعجزة وقصة القرابة الألهية لأفلاطون تاريخية قديمة وسابقة لمولد المسيح . وظهور الأناجيل (العهد الجديد) بسنوات كثيرة مما قد يكون ايحاء لقصة التجسد الألهي في المسيح . والفيلسوفان اللذان تجمعت حولهما أساطير التجسد والتألية كانا (فيثاغورث) و (أنبيدوقلس) قبل عصر سقراط وفي احدى الروايات أن (فيثاغورث) هو الابن المتجسد لـ (هرمس) وأن (أنبيدو كلس) اختفى في احدى الليالي . وبعد ذلك أدعى احدهم أنه سمع صوتا عاليا في منتصف الليل ينادي (انبيدوكلس) وعندما قام رأى نورا متوهجا في السماء وفسر ذلك بأنه أشياء أبعد من مستوى التوقع حدثت له وأن الواجب أن يقدموا له القرابين حيث أنه الآن اله ..!!

ومن الأساطير القديمة أن المصريين كانوا يسمحون بصلات جنسية بين امرأة غانية واله ذكر فينجب اله طفل ذكر، وأن هذا الأعتقاد لا يسمح بانجاب الهة أنثى من اتصال بشر ذكر بأنثى الهية على أساس أن مادة الآلهة مؤلفة من الهواء والنفس (أى الأرواح) ومن بعض الحرارات والرطوبة .

وهناك رواية تنسب لمولد الأسكندر الأكبر تقول أنه في

الليلة السابقة لزفاف أبيه وأمه حلمت العروس أن (اللاقط للصواعق) والمفترض أن أصله من (زيوس) وقع على رحمها ،وأن الاسكندر على ذلك اعتبر نفسه (ابن زيوس) وهناك رواية اخرى تعزو الحمل بالأسكندر الى اله بشكل أفعى شوهد في سرير أمه (أولمبيا) نائما معها . وتوقف فيليب عن مضاجعة (أوليمبيا) لأنه اقتنع أنها شريكة لكائن علوي هو (زيوس آمون) الذي ادعى الاسكندر بعد ذلك أنه من نسله وصلبه . أضف الى ذلك أن الأفاعي لازمت عبادة (ديونيسوس) ابن (زيوس) .

كما أن هناك رواية تتعلق بـ (رومولوس) ذلك أن العذراء (ريهيا سيلفيا) قد أغتصبت وولدت توأمين قيل أن أباهما كان (مارس) اله الحرب ، وأنه أثناء عاصفة مفاجئة لفت الجميع بغيم كثيف وحين مر الغيم فوق رأس (رومولوس) اختفى ولم يعد على هذه الأرض . فأعتبر الها وأبن اله ، الملك والأب للمدينة الرومانية ، وأدعى أحد النبلاء أنه رأى (رومولوس) ينزل من السماء ومعه الأمر التالي : اذهبوا واعلنوا للرومان ارادة السماء بأن روما التي تخصني ستكون عاصمة العالم لذا عليهم أن يفروا من الحرب وعليهم أن ، يعلموا أولادهم أنه ليس هناك قوة بشرية تستطيع مقاومة السلاح الروماني . وبعد ذلك قفل راجعا الى السماء .

وهكذا نجد أن الأساطير والخرافات الوثنية الرومانية واليونانية مليئة بأساطير نزول الآلهة الى الأرض واختلاطهم بالبشر واتصالهم بهم أحيانا اتصالا تزاوجيا ثم صعودهم وعودتهم الى مقارهم السماوية ولا يستبعد المؤلف - بل يرجح - أن تكون هذه الأساطير هى التي أوحت للمسيحية بالتجسد الألهي في المسيح ، فقد كتب جيل قبل مولد المسيح بسنوات قليلة نشيدا يتعلق بولد صاحب الألهة ويحكم العالم بالسلام ، ويدعى الولد "سليل الألهة العزيز" ، بل لقد نسب الى الأمبراطور (أوغسطس) الذي ولد المسيح ابان حكمه ، أن الألهة قد أرسلته -أرسلت أوغسطس- وأنه

اله نزل الى الأرض، ومن ثم فأن هناك دلائل على أن المسيحيين الجدد الناطقين باليونانية والمرموز لهم بالأمميين هم الذين حولوا يسوع المسيح - المولود اليهودي في فلسطين - الى كائن الهي متجسد، ويقولون : طالما لايمكن تصور مثل هذا التطور في اطار العقيدة اليهودية الموحدة لله، فالبيئةالوثنية التلفيقية وحدها هى الأصل لعقيدة التجسد .

وهناك نقوشآسيوية يرجع تاريخهاالى عام ٤٨ قبل ميلادالمسيح تتحدث عن (يوليوسقيصر) على أنه اله ظاهر من نسل (آريس) و (أفروديت) ومنقذ عام للحياة الأنسانية . وهناك نقشعلى الرخام يقول : الامبراطور قيصر ابن الله، والاله أوغسطس المشرق على الأرض هى ذاتها التي كانت تطلق على هؤلاء الذين جرى تأليههم في العصر السابق للمسيح، وأن كلمة تعني اله او الهي، أو الخالد أو الأبدي، خاصة بالنسبة للحكام والفلاسفة والأشخاصالأستثنائيين، وأن هناك تشابه عام بين الأله الوثني (رومولوس) وبين يسوع المسيح فيما يتعلق بالولادة العذرية والحمل عن طريق الاله وحياة بارزة واختفاء بلا أثر للجسد بعد الموت، ثم ظهوره بعد الموت لتكليف خلفائه بتقديم الصلوات له. وهكذا ترى المؤلفة أن ما نسب الى المسيح مستقى من تلك الخلفية الوثنية التي كانت سائدة الى ما قبل عصر المسيح بقليل، ومن ثم عزيت أصول تحليل شخصية المسيح لعوارضدينية أكثر خفية في العالم الاغريقي الروماني، وربط ذلك بما ورد في الأناجيل عن شخصية المنقذ أو المخلص حسب تعاريف (بولص) التي تعتمد على أسس وثنية ويهودية وحذا حذوه كتاب الأناجيل الآخرون، فاليهودية اذن - كما تقول المؤلفة - كانت اطار الأصول الأولية للمسيحية، رغم أن اليهودية آنذاك كانت تقاوم العقائد الوثنية، ولم يحصل الأنفصال بين الكنيسة الباكرة وبين جذورها اليهودية الا بعد خلاف داخلي شديد

ورفض مباشر من غالبية اليهود، اذ ليس هناك ابن حقيقي للاله في الآثار والمعتقدات العبرية . وأن امتداد الكنيسة في العالم غير اليهودي هو وحده السبب في قيام عقيدة التجسد . وهذا الرأى يؤكد أن بولص اليهودي هو أول من أوعز أن "عميلا لله فوق مستوى البشر قد دخل العالم في شخص يسوع المسيح ."

وهنا سؤال تثيره المؤلفة عن اليهودية التي نبعت منها المسيحية، والتي تلتزم بوحدانية الله. هو هل كان اليهود حقا غير متأثرين كلية بالأفكار الوثنية المحيطة بهم، وهل لم تكن هناك حركات في اليهودية مماثلة للأسطورية اليونانية الوثنية ولأفكار المعرفيين، وبمعنى آخر هل ألزمت اليهودية نفسها بفكرة الاله الواحد المبرأة من أى خلط، أو انه كان هناك تخمينات عن كائنات أخرى فوق الطبيعة، وهل كان تعبير (ابن الله) مستعملا في الاطار اليهودي بمعنى مغاير تماما لما اعتنقته كل من الوثنية والمسيحية . ترد المؤلفة أن مثل هذه التعابير قد أستعملت بصورة عامة في أدبيات اليهود لوصف (اسرائيل) حيث ورد في التوراة في سفر صموئيل (... الا أن ابنك سيصبح عظيما في الأرض أيها الملك، وكل البشر سيصنعون السلام والكل سيخدمونه وسيدعى ابن الرب الكبير وسيدعى بأسمه وسينادى به (ابن الله) وسيسمونه (ابن العلى) . (٦)

والنص العبري "سيدعوك الله ابنا" كما تشير كتب اليهود الى كائنات سماوية ملائكية) بأنها تعني (ابن الله البكر)، وهو يعني كائنا له صفات مثل صفات الله. أو كائن اختاره الله للقيام بواجب معين، وأنه المكلف أن ينجز وعود الله . وأن فكرة البنوة الألهية التي تعني حرفيا أن الله اشترك في صلة جنسية بيولوجية مع أنثى من البشر، وهذه الفكرة كانت كريهة بالنسبة للتفكير اليهودي رغم تكرارها في أساطير اليونان، وأنها تعني ولادات خارقة ،لم يستبعد فيها الأب البشري، وانما تمت بتدخلات من

---

(٦) سفر صموئيل ٧ :١١ - ١٤

الله. (مثل مولد سارة لاسحق. واليصابات ليوحنا بعد سن اليأس) ومثل أن النبي موسى قد تنبأ بموته، بل انه كتب قصة موته بيده (جاء الوقت الذي كان عليه فيه أن يحج من الأرض الى السماء ويترك هذه الحياة الفانية الى أخرى خالدة، فاستدعاه الى هناك الأب الذي حل طبيعته الثنائية في النص والجسد وجعلها وحدة واحدة محولا بذلك كيانه كله الى عقل صاف كضوء الشمس.) (٧) بل ان التراث اليهودي يذكر أن ثلاثة هم (اينوخ وموسى واليجا) قد صعدوا الى السماء في شكل الهة .

-٥-

أما البروفيسور لسلى هولدن الأستاذ بكلية كينج بجامعة لندن والمتخصص في دراسة الأناجيل فيقول أن كتب الأناجيل لم تشتمل على دراسة موحدة للسيد المسيح، فكل كاتب له تصوره الخاص لحياة وأعمال المسيح، وأن من بينهم مثلا (بولص) قد غير وجهة نظره فيما كتبه وكشف لنا فيه عن فكره. كما أن كل واحد من كتاب الأناجيل له تصوره الخاص عن المسيح تعبر عنه الألقاب التي صاغوها له، ففيما يتعلق ببولص على وجه المثال يرسم صورة المسيح عن طريق الألقاب التي أسقطها عليه مثل : (المسيح) (وابن الله) ،(السيد) (الحكمة)، فاذا قورن ذلك بما ذكره (يوحنا) نجد أن يوحنا أسبغ على يسوع ألقابا أخرى بالاضافة الى اختلاف النسب فكل رواية لها هيكلها الخاص بها وتركيبها الخاص بها ورسالتها الخاصة بها وماذا كان يعنيه يسوع بالنسبه لهذا الكاتب أوذاك وبمزيج متميز من المعلومات والتخمينات والقناعة والتقوى أصبح يسوع يعني هذه الأشياء جميعا .

وهذا الاسلوب في التناول يترك نوعا من الفجوة عند البحث في كيفية التعبير عن شخص المسيح . وليس هذا راجع

(٧) فيلو كتاب حياة موسى

الى الاختلاف في شخصية المسيح ذاتها بقدر ما هو راجع الى الاختلاف في نفسية ومزاج الكاتب وآرائه ومعتقداته عن المسيح على أساس درجة قربه أو بعده عنه، فالمسيح هو هو ولكن ما جاء عنه بالأناجيل يختلف من كاتب الى كاتب آخر، بحيث يمكن وصف احدى الصياغات أنها تجريبية احتكاكية والأخرى ايمانية عقائدية يدخل فيها كثير من التصرف والخيال المبني على الأسطورة المتواترة، ولو استطعنا أن نفسر كلام بولص باعتباره مبدعا واسع الخيال غير دقيق في النقل والتعبير، لما اعتبر ذلك مديحا بل على العكس فان كلا من (بولص) و (راعي الكنيسة) سيدعيان بدون شك نفس الادعاء: أنهما يبينان الحقيقة الحقة عن الله وعن يسوع وعن أعمالهما من أجل البشرية. ولكن هذا الأدعاء غير دقيق فليس هناك انسان مفكر مهما كان متعلقا بالايمان المسيحي كما عبرت عنه الأناجيل، غير قادر على التمييز بين مستوى الحقيقة ومستوى الخيال والتخيل في أعمال (بولص).

صحيح أن المسيحيين يميلون الى اخفاء صفة المعنى المباشر الحرفي لبعض تعابير مركزية في المسيحية مثل (السيد Lord) أو (ابن الله)، لكننا لا نحتاج الا الى قليل من الجهد المتواضع في تفكيرنا لنرى أنه يوجد هنا أيضا اطار من الصور والأفكار التي شرطت شروط استعمالات المسيحيين الأوائل لهذه التعابير. فالتحدث عن يسوع أو استعمال اللفظ في وصف مسيحي مؤمن لكلمة (ابن الله) هو استعمال تشبيهه بالبنوة الانسانية وليس المقصود بها البنوة البيولوجية، وبالمثل استخدم لفظ (السيد Lord) أو المالك فهو وصف لعلو القدر وليس تأليها. فاذا افترضنا أن (بولص) لم يع التمييز بين الجمل الوصفية والبيانات الحقيقية والتصور كأنواع يمكن تصنيف اللغة اللاهوتية

بمقتضاها فليس هناك سبب يمنع الشخص العاقل المفكر من تصحيح هذه الفكرة الوصفية .

-٦-

أما دون كوبيت الأستاذ المحاضر في الألهيات وعميد كلية عمانوئيل بجامعة كمبردج فقد تكلم عن (يوحنا الدمشقي) الكاتب المسيحي الذي عاش في بلاد المسلمين في أواخر القرن السابع الميلادي الى منتصف القرن الثامن، والذي كان يتمتع بحرية التعبير والكتابة رغم أنه يعيش في كنف المسلمين، يوحنا الدمشقي هذا أنكر وجود (التثليث) أو (وحدة مادة الأب والأبن) أو (ثنائية الطبيعة في المسيح) أنكر وجود هذا كله في الكتب المقدسة معترفا أن الأيقونات والتثليث والتجسد كلها بدع مستحدثة .وأن عقيدة التجسد لاتنتمي لروح المسيحية بل تمت لفترة ما من تاريخ الكنيسةانتهى أمرها وفات أوانها، وان كان هذا سيصيب بعض الناس بالذعر، ولقد مرت فترات معينة في القرن التاسع عشر بدأ فيها الانهيار الداخلي للأرثوذوكسية الشالسدونية القديمة في نظرتها للمسيح، تلك النظرة التي سادت مدة الف وخمسمائة سنة . والدفاع الذي أبداه (هـ .ب. لدون) في كتابه الوهية سيدنا ومنقذنا يسوع المسيح المطبوع سنة ١٨٦٥ ميلادية، فان خليفته (تشارلزغور)قد وجد نفسه غير قادر على الاستمرار في هذا الموقف التقليدي . رغم أنه رجل من رجال الكنيسة ومفكر كاثوليكي انجليزي، فهو يقول ويلح دائما على أن الكنيسة دعت دائما لانسانية وبشرية يسوع الكاملة وأن القدرة الالهية وحدها هى التي استطاعت أن توجه الآباء الكنيسيين لتأكيد (انسانية المسيح، معتقدا أن في يسوع شخص واحد فقط، وأن ما ينادي به الكاثوليك من (طبيعتين متحدتين بدون اختلاط في شخص المسيح) لاتعني التجسد بحال. وأنه اذا كان المذهب الأرثوذوكسي (الدوغمائي) غير متماسك داخليا، فلن يستطيع أن

يكون حاجزا أو حدودا لأنه فشل في احتواء وتخصيص مساحة مفهومة للعقل المسيحي ليتجول فيها ويفكر بشيء من الحرية . وبعض المحللين يوحون بأنه بينما كان (لدون) يبشر بأن يسوع هو (كلى المعرفة) فان تلميذه غور كان يقول أنه (محدود المعرفة)، وأنه بينما يعلن (لدون) أن للشخصية الواحدة دائرتا وجود احداهما مقدسة خالدة كلية المعرفة، والثانية تعيش بآلام الفكر والجسد وتلتقي بالموت الواقع مع تعرض مقابل لمحدودية في المعرفة، وأنه في الوقت الذي يزيد فيه هذا التعارض مع الشعور بحب المسيح، فأن (غور) قد وجد من المستحيل عليه أن يفهم كيف يمكن للاله المتجسد أن يكون بشرا كاملا - محدود العلم - وكلى المعرفة في آن واحد معا .

ويضيف (دون كوبيت) أنه في الفترة ما بين (لدون) و (غور) بدأت النظرة التي شكلت عن المسيح في القرنين الرابع والخامس الميلادي تنهار، ليس فقط في أذهان الناقدين العقلانيين، ولكن في أذهان زعماء الكنيسة اليوم كذلك، ويستنتج أن عقيدة التجسد أدت على المدى الطويل الى الاضرار بالايمان بالله، وبادراك علاقة الانسان بالله، ويعطى لذلك الأدلة الآتية :

١- أن التأكيد باتحاد الألوهية والبشرية في شخص (السيد الاله المتجسد) يشوه دعوة المسيح الذي نادى بنقيض ذلك . سواء أعتبر المسيح نبيا موحى اليه أو حاخاما حصيفا -أو الأثنين معا - فالمهم في دعوته كان ابراز التقابل بين نظامين متعارضين، وجاء التجسد يضعف هذا التعارض المميز .

٢- اذا كان الله ذاته متجسدا كليا في المسيح، فانه حسب العقيدة المسيحية يمكن عبادة يسوع مباشرة على أنه الله . والمثل على (وثنية) المسيحية كان في الاتفاق على تأسيس مجلس الكنائس العالمي على أساس العقيدة التي تعترف

بأن يسوع المسيح هو الله .وهكذا نقل التركيز في العبادة والطاعة من الله الى - الاله المتجسد - المسيح .

٣- اذا كان الأمر في التجسيد هو أن الله نفسه اتخذ وبصورة دائمة طبيعة بشرية ، يمكن على هذا الأساس ادراك الألوهية بهيئه وتركيب بشري. وبذا تعود فكرة الوثنيين الى الوجود .

ويختتم المؤلف بحثه بقوله : يجب أن تكون عقيدة المسيح بحيث تقوى وتظهر فهم البشر للسمو الالهي ، لا أن تعيقها أو تحد منها ، ومقياس التدين الصحيح بمفهومه الحقيقي يتطلب ألا تصبح دراسة شخصية المسيح نوعا من مذهب عبادة الانسان للانسان اذ يجب التركيز على ذات الله وليس على المسيح - أحد مخلوقاته .

-٧-

فاذا ما أتينا الى بحث البروفيسور موريس وايلز أستاذ علم الالهيات والكتاب المقدس في كلية المسيح بجامعة أكسفورد تحت عنوان "الأسطورة في علم اللاهوت" نجده يفسر كلمة (الأسطورة) - ميثولوجيا - في علم اللاهوت ولماذا أختيرت عنوانا للكتاب وللبحث قائلا أنها تعني القصص الأسطورية والخرافية التي تتداولها الروايات الشعبية والتقاليد المتوارثة الدهمائية والمعنى الذي تحمله هو "الخرافة" وليس "الحقيقة" وأيد ما ذهب اليه البرفيسور (جون هك) في الفصل الخاص به عندما قارن بين ظهور (بوذا) ونشوء البوذية - الماهايانية - وبين ظهور المسيح ونشوء الديانة المسيحية من بعده وأشار الى نمو الديانتين في وقت متقارب بطرق متماثلة ، فبوذا الانسان أسندت الخرافات اليه أنه تجسد وأصبح الها متساميا مثلما قيل عن يسوع ، والماهايانا عقيدة الأجسام الثلاثة ، حيث يقابلها في المسيحية العقيدة الثالوثية والادعاء بأن عيسى (ابن الله)وأن

كلتاالعقيدتين قد نشأتا من تطور الخرافة التي أدخلت في روع الأجيال المتعاقبة، وتساؤله عن كيفية وصول اليهود مع الأميين من المسيحيين الى عبادة كائن بشري محطمين عقيدتهم في وجود اله واحد بطريقة أودت بهم الى الميتافيزيقية المعقدة للتثليث . وذلك يرجع الى الفكرة اليهودية عن التجسد الألهي في هيئة بشرية دون أن يثير التساؤل هل هذه الفكرة منطقية تتمشى مع العقل والمنطق أم لا ، ويعبر عنها بأنها روايات وأحداث حقيقية صيغت ولونت بآثار قديمة خلطت بين ما هو الهي وما هو انساني وبين ما هو طبيعي وما هو غير طبيعي .

ثم أشار الى ماذهب اليه (شتراوس) في كتابه "حياة يسوع" من أن الأناجيل في العهد الجديد لاتعدو أن تكون أساطير عفوية غيرمخططة في حياة المجتمعات المسيحية الأولى ألهبها الحماس الديني الناتج من القهر والأستعباد مما أدى الى اختراع مشاهد ورموز وأساطير مفتعلة تستند الى أفكار سجلها بعض الأشخاص على مراحل لايمكن تعقب آثارها ، واكتسبت تدريجيا ومع الوقت شكلها الثابت في الأناجيل المكتوبة وذلك نتيجة عمل متعمد ومخطط وتلفيقات خيالية ودعائية مقصودة للتغلب على المعجزات الغير صحيحة حرفيا أو المفتعلة والأكاذيب التي لجأ اليها كتبة الأناجيل كماعبر عن ذلك (ميلمان) في كتاب تاريخ المسيحية الصادر عام ١٨٤٠ وقد عبر (شتراوس) عن ذلك بأن عصر المسيح كان عصر الأساطير التي تساوي الغش والخداع والوهم والاحتيال . وأن المسيحية تقف على قدم المساواة في أسسها الفكرية مع قصص الوثنيين الخرافية . وقد قال البعض أن المسيحية مؤسسة على ضلال الوثنيين .[٨]

وفي هذا النطاق فأنه يقتبس ما كتبه (ولف هارت باتنبرج) عن التجسد ، (أن فكرة التجسد في ابن الله تعتبر أسطورة تحوي عنصرا مزعجا غريبا جدا . أنها لا تقول فقط بأن الله ظهر بشكل

---

(٨) المصدر السابق صفحة ٢٣٨

انساني، بل تقول أنه أصبح تماما من البشر، عاش كشخص تاريخي حتى تعذب ومات كانسان .)

ان المسألة الحيوية التي تواجه كل باحث في اللاهوت المسيحي هى : ما نوع الصلة بين الأسطورة والتاريخ، وهل هناك عنصر أساسي من الحقائق التاريخية ضروري لدرجة تسترعى التأكيد المستمر للأسطورة المسيحية ؟ وهل من ضمن الأسطورة الادعاء بأنها حقيقية ؟

اذا كان الكون كما نعرفه نظاما كليا متكاملا ذاتي الاكتفاء والتطور، لا يعتمد في وجوده الا على نفسه، تكون أسطورة الخلق في هذه الحالة غير مناسبة وخاطئة من الوجهة الدينية، ولكن اذا كان العالم يعتمد حقا على مصدر خلاق سام كما يؤمن بذلك المؤمنون بوجود الله - بما فيهم المسيحيون المؤمنون - تكون الأسطورة - أسطورة الخلق - مناسبة وصحيحة. وليس مهما في هذه الحالة مدى الصحة أو الخطأ في الأسطورة.

-٨-

نأتي الآن للبحث الأخير للبروفيسور (جون هك) أستاذ اللاهوت بجامعة برمنجهام والمنسق لهذه الأبحاث وقد اختتم الكتاب ببحث بعنوان : (يسوع والديانات العالمية). يستهله بالحيرة التي يجد مسيحيو الوقت الحاضر أنفسهم فيها عندما يحاولون التفكير في شخص يسوع - الشخصية التاريخية التي ظهرت وعاشت منذ أكثر من تسعة عشر قرنا ونصف - اذ أن الدراسة النهجية للأناجيل على حد قوله تظهر مدى التفتت والابهام في البيانات غير الدقيقة المتوفرة لديهم، والتي تفسد تعبد لفيف من الناس له مثلما عبد أشخاص آخرون غيرهم كائنات أخرى من البشر، والى أى مدى كان تعظيم الايمان المسيحي لانسان الناصرة في المسيح الألهي - ابن الله - الأقنوم الثاني من

الأقانيم المقدسة الثلاثة!!!، وكيف كان هذا التعظيم استجابة لحاجات هؤلاء الناس الدينية والروحية آنذاك أو تقليدا لأتباع بوذا (غوتاما) الانسان المتجسد في صورة الهية والذي رفع فأصبح كائنا خالدا كوني الأهمية !!

ولكن يمكن القول بوجود اختلاف كلي بين (يسوع) و (غوتاما) وهذا الأختلاف هو الذي يبرر اضفاء الصفات الالهية على أحدهما وليس على الآخر،وهو الادعاء بأن يسوع قام بعد موته،ولا يمكن التأكد اليوم عما اشتملت عليه حادثة (القيامة) هذه فالاحتمالات تتراوح بين رؤية جسد يسوع مستعيد الحياة ورؤية السيد الاله في مجده المتألق !! مما يحمل على الشك في أن حادثة القيامة - مهما كانت طبيعتها - جعلت معاصريه ينظرون اليهاعلى أنها ضمان ألوهيته . فعودة الحياة للميت لم تكن تعتبر في ذلك الوقت وفي تلك الدوائر على أنها هزة عنيفة بعيدة عن التصديق كما ينظر اليها العقل المعاصر وهذا واضح من ذكر قيام الموتى مرات متعددة في كتب العهد الجديد (الأناجيل) وكتابات آباء الكنيسة .

لذا فادعاء أن يسوع قام بعد الموت لا يضعه بصورة آلية في نوعية فريدة وليس مبررا لاسقاط الطبيعة الالهية عليه وقد امتلأت الأناجيل بروايات عن أشخاص عادوا الى الحياة مثل (العازر) في انجيل يوحنا وابن احدى الأرامل في انجيل لوقا وابنة جيروس في انجيل مرقص ولوقا ، بالاضافة الى ما ذكره انجيل متى من أن القبور عندما فتحت قامت أجساد كثير من القديسين من الموت ، وذهبوا الى المدينة المقدسة!! ، اذن فهذه الروايات كانت معتادة ولاتحمل على الظن بأن أحد هؤلاء هو من الآلهة . ومن وجهة النظر الحالية فان ليس من السهل قبول حكايات قيام يسوع جسديا من القبر. فان هذا صعب التفسير والتعليل . وحتى اذا تخيلنا اليوم حدوث انبعاث جسدي فليس من المؤكد اعتباره

بالضرورة دليلا على الألوهية، وقد وضح (جورج كيرد) ذلك بقوله : (لنفرض أنك ستواجه غدا بدليل لا يدحض أن أحد معارفك الذي بلغك موته من قبل رؤى حيا، فهل ياترى سيتطرق الى ذهنك الظن بأن صفة الألوهية قد أسبغت عليه، أم تعيد النظر في المعلومة التي وصلتك عن سبق موته؟.)

ثم تطرق المؤلف من هذا الى موضوع رفع الكائن البشري الى المرتبة الألهية وهو ما أشيع بالنسبة ليسوع، بمقولة أنه "الاله الابن المتجسد الأقنوم الثاني في الثالوث الذي يعيش حياة بشرية - ابن الله الأوحد الذي كان منذ الأزل، نور الأنوار، الله الحق لله الحق ،وجد ولم يخلق، من نفس نسيج الاله الآب" ... وقرر أن هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة وأبعد ما يكون عن تفكير يسوع ذاته أو دعوته، وليس هناك دليل واحد على الأقوال المنسوبة اليه، مثل (أنا والآب واحد) (لا يأتي أحد الى الآب الا بى - من رآني فقد رأى الآب ..) الى غير ذلك من الأقوال المنسوبة للمسيح .

ويقول الباحث : "مما لاشك فيه - وهذا هو اعتقادي - أن تأليه يسوع قد جاء جزئيا - بل وربما في الغالب. كنتيجة للتجربة المسيحية في التصالح مع الله، فالحياة الجديدة التي جاء بها يسوع لحوارييه، والتي استجلبوا هم أيضا اليها آخرين، كان يتخللها معنى مجيد من التسامح الالهي والحب الالهي، وكان الأمر بديهيا بالنسبة لهم كيهود تأثروا بتقاليد قديمة عن تضحيات الكهنة وأنه لن يكون هناك غفران للخطايا بدون اراقة دماء . كان هناك انتقال طبيعي في أذهانهم من تجربة التصالح مع الله كحواريين ليسوع الى فكرة موته كتضحية وكفارة، ومن هذه الى الأستنتاج بأنه حتى يكون موت يسوع كفارة كافية عن خطايا الأنسان ، كان يجب عليه أن يكون الهيا . لهذا كان طبيعيا أن يحيي الناس يسوع على أنه الذي التقى الناس من خلاله لقاء حاسما بالله، ويهتف به على أنه (ابن الله) ثم على أنه (الاله

الابن) من نفس نسيج الأب في اطار (الثالوث في واحد - والواحد في الثالوث) ...

-٩-

والمبحث الأخير بالكتاب هو للبروفيسور دنيس نايينهام مدير كلية كيبل بجامعة أكسفورد فيقول : ان وجهة نظري تتلخص في أنه بينما وضع كل انسان قبل المسيح ذاته كمركز الثقل في الحياة ومحور الكون، ولم يعترفوا بوضعه وسلطانه، فرانت الأنانية على نفوسهم، جاء المسيح فركز كلية على وجود الله ونعمته، وأدخل في التاريخ انسانية جديدة واسلوبا جديدا في المشاعر الأنسانية، فأصبح (انسانا من أجل الغير) وأصبح الوحيد الذي يركز اهتمامه الكلي فيما يتعلق بحياة العالم، يتركز على خير الآخرين، وسيطر حب الله على حياته، حتى وصف بأنه (انسان من أجل الله، أو في خدمة الله) وأنه الانسان الذي وعى بقوة وكلية واستغراق حقيقة الله، وتفتحت روحه كلية لله في حب واخلاص، وأنه فرغ نفسه كلية من الأنانية حتى أصبح حاملا لاسم هو فوق كل اسم غيره . ومن ثم فقد استعمل كمال يسوع الأنساني كدعم لأسطورة التجسد رغم غرابة هذه الفكرة اذ كيف يمكن لادعاء الكمال لبشرية يسوع أن تؤدي الى عقيدة تأليه بأفتراض أن أحداث حياته قد قادت من شاهدوها ومن خلفهم من بعدهم الى (الأستنتاج) أن في ذلك الشخص قد تحول الأنسان حتى أصبح خلقا جديدا رسم تماما على حياة وصورة الله نفسه .

ولكن هل من الممكن أن نصدق (ادعاءات) من هذا القبيل على أساس الدليل التاريخي بأن يسوع عاش بلا خطيئة، وهو أمر بالغ الصعوبة الى حد الأستحالة ؟ فمنذا الذي يصدق أو يتأكد بأن يسوعا بقى صادقا - بدون انقطاع - لمبادئه، ولم ينظر أبدا الى امرأة بشهوة على حد تعبير متى، وليس المقصود بهذا

الأستفسار القاء شبهة شك على نقاء يسوع جنسيا، وانما عنينا به فقط أن مثل هذه الأدعاءات عن يسوع لايمكن تبريرها حتى آخرها . فالأناجيل ليست أبدا وثائق من هذا النوع، واذا وضعنا جانبا الأيام والليالي الأربعين في التيه - والتي لم يسمع عنها في الواقع أى شيء - فكل ما نقل أن يسوع قاله أو عمله في الأناجيل الأربعة يملأ فقط فراغ ثلاثة اسابيع من العمر، وهذا يترك الجزء الأكبر من حياة يسوع وأعماله غير مسجل رغم أن الذين نقلوا مواد الأناجيل كانوا يهتمون بالدرجة الأولى بتبرير وتزكية ادعاءات عن يسوع فوق مستوى الطبيعة .

ولقد قال البحاثة الأمريكي (هـ.ج.كادبري) أن قصص الانجيل لاتظهر دائما أهداف يسوع ولاتظهر أنها كتبت بأقلام أشخاص شعروا بصفة الأخلاق الأصيلة، ولم يثبت أن يسوع ألزم نفسه بها، فحينما قال أنه يجب على المرء أن يحب أعداءه، لم تذكر قصة واحدة عن صلاته من أجل حاخام فريس واحد . بل أن المرأة الكنعانية عندما لجأت اليه لشفاء ابنتها، قال قولته المشهورة : لايجب أن يعطى خبز الأولاد للكلاب، وهذا دليل كبير على انحيازه في ناحية معينة . كانت أحاسيسه الدينية مرهفة الى حد أنه أدان بشدة كل من لم يشاركه رؤيته . كان له الحماس النقي لنبي عبري (يهودي) أكثر مما كان له الهدوء الواسع لحكيم اغريقي .

واختتم الباحث بحثه بقوله أن المسيح الذي يدعى له في المواعظ لايطابق تماما يسوع التاريخي . والذين يستمرون في ادعاء التجسد والتأليه والتثليث، يعون تماما المشاكل المتضمنة في تقديم وتبرير هذه الأدعاءات، وأنه من المستحيل تبرير هذه الادعاءات على أسس تاريخية صرفة مهما توسعت الشبكة لاصطياد الأدلة . وأنه حتى الأناجيل لاتستطيع توفير الأدلة اللازمة .

هذه أقوال وأبحاث نخبة ملحوظة من علماء اللآهوت الكبار مسيحيي الديانة ممن يعتنقون المذهبين البروستانتي والكاثوليكي ووجدوا عندهم الشجاعة لأن يفكروا بصوت مرتفع مسموع وأن يشرحوا عقائد وأوهام آلت الى كثير من الناس عبر عشرين قرنا عن الوهية المسيح، وهم ليسوا طغمة من الدهماء أو المدعين وانما هم أساتذة ومحاضرون بأكبر الجامعات الانجليزية لهم مكانتهم الملحوظة، وخير ما نعلق به على أقوالهم هو :

"شهد شاهد من اهلها".

وهم ليسوا شاهدا واحدا وانما شهود عديدون على أعلى مستوى من الفكر والادراك، بل ان من بينهم رجال كهنوت منوط بهم الوعظ في الكنيسة !!!.

فهل بعد هذا دليل على كذب الأدعاء بألوهية المسيح أو أنه (ابن الله).

"اللهم غفرانك".

الفصل الحادى عشر

عود الى برنابا المناهض لبولس

- المسيا فى توراة اليهود هو محمد رسول الله .

عود إلى برنابا المناهض لبولس[1]

ذكرنا فيما قبل أن برنابا هو أحد حواريى المسيح على حد قول إنجيل برنابا ، وهو على الأقل أحد الرسل والأتباع المخلصين الوارد ذكره مرارا بأعمال الرسل موفدا إلى عدة بلاد خارجية للتبشير بدعوة المسيح منها انطاكية وقبرص مع بولس .

وفى بداية ظهور بولس - شاول اليهودى - ودخوله المسيحية كان معظم تلاميذ المسيح فى شك من أمره ، حيث كان أكبر مناوئ للمسيحية ، وكان يضطهد المسيحيين ويسلمهم للشرطة لسجنهم ، ولكن برنابا دافع عنه وقدمه للتلاميذ ، وصحبه فى جولاته الأولى للتبشير بالمسيحية ، فلما رأى بولس ينحرف بالدعوة المسيحية عما جاء به المسيح ، إنفض عنه ورفض مصاحبته بل ناصبه العداء ، ولجأ إلى كتابة الإنجيل المعروف باسمه ، الذى يخالف مخالفة صريحة ما ينادى به بولس ، حيث يقول فى مقدمته :

(أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد إفتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التى إتخذها الشيطان[2] ذريعة لتضليل الكثيرين بدعوة التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح "ابن الله" ورافضين الختان الذى أمر به الله دائما ، مجيزين كل لحم نجس ، الذين ضل فى عدادهم أيضا بولس الذى لا أتكلم عنه إلا مع الأسى . وهو السبب الذى من أجله أسطر ذلك الحق الذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتى ليسوع ، لكى تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا فى دينونة الله . وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصا أبديا) .

---

(١) سبق ان تحدثنا عن انجيل برنابا عندما تكلمنا عن الاناجيل وان ما ورد بها ليس حجة على المسيح .

(٢) يقصد بولس (شاول) .

ويقول برنابا إنه بسبب المعجزات التى كان يأتيها المسيح ، نسب الناس له الألوهية وكان جيش الرومان يحتل البلاد وكان عادة الرومان أن كل من يفعل شيئا نافعا فيه نفع الناس ، أن ينسبوا اليه الألوهية ويعبدوه ، فلما رأوا معجزة المسيح بإحياء الفتى الميت المحمول بالنعش ، وأوعزوا إلى تعاليم المسيح أن عيسى اله ، وتلقف الشيطان هذه الفكرة - يقصد بولس - وأشاعها بين الناس وجعلها أساس دعوته ، فصدق بعض الناس هذا الإدعاء ، وقال آخرون : ان الله لا يرى ، فلم يره أحد ولا موسى ، "فالمسيح ليس هو الله بل بالحرى ابنه" . وقال آخرون : ليس هو الله ولا ابنه لأنه ليس لله جسد فيلد بل هو نبى عظيم .

وعندما بلغ هذا الكلام عيسى أنكر ألوهيته وصرخ فى وجه هؤلاء المضللين إنه إنما هو بشر ، ولكن بولس يتلقف هذه الدعوى فيضمنها فلسفته ويدعو بها بعد أن إدعى أنه رسول . وأنه يتلقي عن المسيح ويتكلم باسمه بينما ينكر عيسى هذه الألوهية قائلا : إنى أشهد السماء وأشهد كل ساكن على الأرض إنى برئ من كل ما قال الناس عنى من انى أعظم من بشر لأنى مولود من امرأة وعرضة لحكم الله وأعيش كسائر البشر عرضة للشقاء .[1] الحق أقول لكم متكلما من القلب ، إنى أقشعر لأن العالم سيدعونى إلها . وعلىّ أن أقدم لأجل هذا حسابا الى الله الذى نفسى واقفة فى حضرته إنى رجل فان كسائر الناس . على أنى وإن أقامنى الله نبيا على بيت اسرائيل لأجل صحة الضعفاء وإصلاح الخطأة خادم الله وأنتم شهداء على هذا .

أما فيما يتعلق بواقعة القبض على عيسى فقد ورد فى إنجيل برنابا :

لما دنت الجنود مع يهوذا سمع يسوع دنو جمع غفير فاستيقظ وكان الحواريون الأحد عشر نياما ثم رفع الله المسيح اليه ودخل يهوذا إلى الغرفة التى صعد منها يسوع فأتى العجيب بأمر عجيب ، إذ تغير يهوذا فى النطق وفى الوجه فصار شبيها بيسوع حتى اننا إعتقدنا أنه المسيح .. ودخل الجنود فأخذوا يهوذا وأوثقوه

---

(١) انجيل برنابا : ٩٤ : ١ - ٢ .

ظانين أنه يسوع وكان المسيح قد تنبأ بذلك من قبل إذ قال لبرنابا : اعلم يا برنابا إنه سيبيعنى أحد تلاميذى بثلاثين قطعة من النقود . وإنى على يقين من أن من يبيعنى سوف يقتل باسمى ، لأن الله سيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد أنه أنا [١] .

أما إنجيل برنابا فهو من الأناجيل التى طمستها الكنيسة لأنها لا تتمشى مع الفلسفة المسيحية التى وضعها بولس ، لكن نسخة باللغة الإيطالية كانت قد تسربت واختفت فى مكتبة البابا اسكنس الخامس بابا كنيسة روما ولكن راهبا اسمه فرامرينو كان قد عثر عليها فاختلسها - وكان ذلك حوالى القرن السادس عشر ، ثم آلت هذه النسخة إلى أحد أعيان امستردام حيث احتفظ بها حتى مطلع القرن الثامن عشر وفى سنة ١٧٠٩ كان أحد مستشارى ملك بروسيا واسمه كريمر ينزل فى ضيافة ذلك الوجيه فلما رآها استعارها وعندما قرأها أدرك قيمتها وأشار إلى ذلك لمضيفه الحائز عليها فاهداها هذا فى عام ١٧١٣ إلى البرنس إيوجين سافوى الذى كان مولعا بالعلوم والآثار التاريخية ثم انتقلت بعد ذلك مع مكتبة البلاط الملكى فى فيينا [٢] .

وقد استطاع الدكتور خليل سعادة أن يطلع على هذه النسخة ، وأن يقوم بترجمتها إلى اللغة العربية . ويدّعى معتنقو الديانة المسيحية الحالية التى وضعها بولس أن كاتب انجيل برنابا من أصل عربى مسلم الديانة - كتب هذا الانجيل ونسبه إلى برنابا - وذلك لشدة تطابق هذا الانجيل مع مفهوم الإسلام من حيث نبوة عيسى ونفى الألوهية عنه ، وما يتعلق بانكار صلب المسيح ورفعه إلى السماء ، وأن ملامح "المسيا" الوارد فى كتاب اليهود والذى بشر به نبيا بعد موسى - يهدى إلى الله - ينطبق على النبى محمد وليس على عيسى عليه السلام ، بل لقد ورد اسم محمد

---

(١) برنابا ١١ : ٢٣ - ١٥ .

(٢) الدكتور أحمد شلبى : كتاب المسيحية . نقلا عن الترجمة العربية لانجيل برنابا وقد سبق أن أوردنا نفس القصة نقلا عن الشيخ محمد أبو زهرة حسبما ورد بكتاب أنبياء الله للأستاذ أحمد بهجت .

صراحة وأن عيسى قال أن نبيا سيأتى بعده لهداية الناس إلى الحق ويختتم الله به أنبياءه ورسله ... من هنا عارض المسيحيون التابعون لديانة بولس ، هذا الأنجيل وعملوا على طمسه وقالوا أنه من كتابة شخص يدين بالإسلام ، ولكن مترجم هذا الانجيل دكتور خليل سعادة ، دحض هذا الرأى قائلا إنه لم يرد ذكر لهذا الانجيل فى كتابات مشاهير الكتاب المسلمين ، سواء فى العصور القديمة أو العصور الحديثة ، حتى ولا فى مؤلفات المتخصصين فى الأبحاث الدينية ، وكان الأولى بهؤلاء المسلمين أن يشيروا إلى هذا الأنجيل وأن يستندوا إلى ما ورد به كحجة فى مواجهة المسيحية ويقول الدكتور خليل سعادة إنه يرجح أن يكون محرر هذا الانجيل يهوديا أندلسيا تعمق فى دراسة اليهودية ثم انتقل إلى الدين المسيحى وتعمق فيه أيضا ثم انتقل إلى الدين الاسلامى وتعمق فيه وتحمس له .

ويدحض الدكتور أحمد شلبى فى كتابه "المسيحية" هذا الظن ، بأن التاريخ يذكر أمرا أصدره الباب جلاسيوس الأول الذى جلس على كرسى البابوية فى سنة ٤٩٢ ميلادية - أى قبل ظهور الدين الإسلامى بحوالى مائة عام - يحظر فيه قراءة عدة كتب وأناجيل من ضمنها انجيل يسمى (انجيل برنابة) فكيف يكون اذن من كتب هذا الانجيل قد أدرك الاسلام وكتب هذا الانجيل بوحى عقيدته الإسلامية ، وقد ظهر هذا الأنجيل قبل ظهور الإسلام بأكثر من قرن من الزمان ، ثم أن الإسلام لم يدخل الأندلس إلا فى وقت متأخر مما يزيد الفجوة الزمنية بين ظهور هذا الإنجيل وبين ظهور الإسلام .

أما أن هذا الإنجيل قد أورد اسم "محمد" صراحة ، فهذا الانجيل قد كتب أصلا بلغة غير عربية ، لعلها اللغة الآرامية أو العبرية ، ثم نقل إلى لغات أخرى منها الإيطالية والاسبانية ، وأن المسيح كان يبشر بنبى يأتى من بعده ، ويستخدم لذلك لفظ "المسيا" أو "فارقليط" ويقابلها كلمة "بيريكلتوس" فى الترجمة اليونانية ، ومعناها الذى له حمد كثير أو "المحمد" أو "الأحمد".[١]

(١) من كتاب قصص الانبياء للاستاذ عبد الوهاب النجار ص ٤٧٣ وقد اشرنا إلى ذلك من قبل .

ويقدم الدكتور أحمد شلبى تعليقا على الرأى الذى يقول إن انجيل برنابا هو من كتابة شخص مسلم واسع الثقافة الدينية ، ما يلى :

١- إن شخصا يتعمق فى دراسة اليهودية ، ثم يتركها ليعتنق المسيحية ويتعمق فيها ، ثم يتركها ليعتنق الإسلام ويتعمق فيه ويتحمس له ، يحتاج إلى سنين كثيرة تفوق عمر الإنسان . وأضيف إلى ذلك إنه لو صح هذا الرأى لكان شهادة للإسلام وتفوقه على الدينيين السابقين له ، فالإنسان ينتقل من الحسن إلى الأحسن ، ثم إلى الأكثر حسنا ، وهذا اعتراف من الدكتور سعادة بأن الدين الإسلامى هو حقا أفضل الديانات وأنه قد أتى بخلاصة الحق والهدى من الله تعالى .

٢- إن شخصا بهذه الثقافة وهذه الألمعية ، ما كان ليفصح عن هويته بأن يذكر اسم محمد صراحة ، ولأعطى بدلا من ذلك إشارات لا تنطبق إلا على نبى الإسلام ، وذلك من قبيل التمويه .

٣- وأخيرا فإن هذا الانجيل لو كان حقا من كتابة مسلم واسع الإطلاع لنسبه من باب أولى إلى المسيح عيسى عليه السلام ، والمعلوم أن المسيح حسب العقيدة الإسلامية قد تلقى من ربه كتابا باسم الإنجيل إندثر أو دشتته الكنيسة ، فلم يعد له من أثر ، أو هو مخبأ لا يعلمه إلا حراس الدين المسيحى .

٤- وإن ما جاء فى هذا الانجيل ، مما يتمشى مع الحقائق الإسلامية ، من حيث :

أ- إن المسيح إن هو إلا بشر نبى خلقه الله بإحدى قدراته ، وليس إلها ولا ابن اله .

ب- إن الله واحد لا شريك له ، لم يلد ولم يولد .

جـ- إن الابن الذى أوحى إلى ابراهيم بذبحه وتقديم الفداء عنه ، هو اسماعيل وليس اسحق .

د- ان المسيح عيسى لم يصلب ، وإنما الذى صلب هو شبيه له ، أو خلع عليه شبه المسيح .

هـ- أن النبى المبشر به فى كتب اليهود هو النبى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم - وليس المسيح عيسى بن مريم .

و- إن المسيح عيسى بن مريم إن هو إلا حلقة من حلقات أنبياء اليهود ، بل هو آخرهم ولم يظهر نبى آخر بعد محمد وهذا دليل على أن رسالات السماء قد وقفت عند محمد خاتم الأنبياء ، والمرسل إلى الناس كافة بينما المسيح أرسل إلى بنى اسرائيل دون غيرهم . كما كان الرسل من قبل مبعوثين إلى فئة من الناس دون غيرهم . فيما خلا نوحا وابراهيم .

وأخيراً فإن ما جاء بهذا الانجيل لهو شهادة للإسلام بأنه دين الحق . وسنتكلم عن ذلك عندما يأتى الحديث عن الإسلام .

وإننا لا نتمسك بانجيل برنابا - سواء كان صادرا فعلا عن برنابا الحوارى تلميذ المسيح ، أو صادرا عن غيره - ولا نتخذه دليلا على صحة الإسلام فأسانيد الإسلام ودعائمه فى غير حاجة إلى دليل أو انجيل يدعمه ، وما انجيل برنابا إلا واحد من اناجيل المسيحية المتعددة ، والإسلام لم يشر إلا إلى انجيل واحد منزل من عند الله سبحانه وتعالى ، وليس من كتابة البشر - فهو ليس انجيل برنابا ولا متى ولا لوقا ولا يوحنا ولا أيا من أسفار الكتاب المقدس .

وليس مسلما من كتب انجيل برنابا وليس مؤمنا من حذف وأضاف فى

ذلك الانجيل ، وليس مسلما من جعل بعض مخلوقات الله سبحانه وتعالى يدخلون فى جدل مع العزة الالهية ، فانجيل برنابا لم يخرج فى روحه وجسده عن بقية الاناجيل ، فكلها مصنوع من صناعة البشر ، وسواء كان كاتبه مسلما أو نصرانيا أو يهوديا فهو من تأليف بشر ، أما الانجيل الذى يؤمن به المسلم فهو انجيل رباني من كلام الله سبحانه وتعالى .

والسذاجة فى الحوار أو العبارة فى انجيل برنابا لا تغيب عن فطنة القارئ العادى واعى العقل مستيقظ الضمير ، بله عن المؤمن الذى يغمر الايمان قلبه ، والذى يبحث عن الحقيقة ويفتش عنها . ففى انجيل برنابا زعم الكاتب أن التراب الذى خلق الله منه آدم ، بصق عليه الشيطان فنجسه ، وأن الشيطان كان فى الأصل كاهناً ورئيساً للملائكة[1] فيقول بالنص فى مجال خلق آدم عليه السلام .

(ولما خلق الله كتلة من التراب وتركها خمسا وعشرين ألف سنة بدون أن يفعل شيئا آخر !! ، علم الشيطان الذى كان بمثابة كاهن ورئيس للملائكة لما كان عليه من الادراك العظيم إن الله سيأخذ من تلك الكتلة مائة وأربعة وأربعين ألفا موسومين بسمة النبوة ، ورسول الله الذى خلق الله روحه قبل كل شئ آخر بستين ألف سنة ، ولذلك غضب الشيطان فأغرى الملائكة قائلا : "انظروا سيريد الله يوما ما أن نسجد لهذا التراب ، وعليه فتبصروا فى اننا روح وأنه لا يليق أن نفعل ذلك" . وأن الله حين أمر الملائكة بالسجود أمرهم بالسجود للتراب قائلا "ليسجد توا كل من اتخذنى ربا لهذا التراب"[2] فسجد الذين أحبوا الله أما الشيطان ومن كان على شاكلته فقالوا : يارب اننا روح ولذلك ليس من العدل أن نسجد لهذه الطينة" . فتحول للتو منظر الشيطان من جمال إلى قبح ودمامة . "حينئذ قال الشيطان : يارب إنك جعلتنى قبيحا ظلما ولكننى راض بذلك لأنى أروم أن أبطل كل ما فعلت" وأن الشياطين من اتباع الشيطان الأكبر قالوا لله سبحانه وتعالى : "إننا نتوب عن سجودنا لك لأنك غير عادل ، ولكن الشيطان عادل وبرئ

---

(١) الفصل الخامس والثلاثون .
(٢) الفصل الخامس والثلاثون عبارة ١٢ .

وهو ربنا" "ويصق الشيطان أثناء انصرافه على كتلة التراب ، فرفع جبريل ذلك البصاق مع شئ من التراب فكان للانسان بسبب ذلك سرة فى بطنه" .

سذاجة فى التصوير والاستدلال والاستنباط ، لا يمكن أن يقرها مسلم قرأ القرآن ، واستوعب ما حكاه القرآن فى سورة البقرة عن قصة خلق آدم .

«وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ...»

البقرة ٣٠ وما بعدها

فانجيل برنابا يجعل الشيطان - الذى كان فى الأصل كاهنا ورئيسا للملائكة على حد قول هذا الانجيل ، يجعله ندا لله سبحانه وتعالى ويكلمه كلام الند ، بل ويجعله عالما بما سوف يفعله الله من تحويل هذا التراب إلى انسان ، بينما فى القرآن الكريم ، الله سبحانه وتعالى هو الذى أخبر الملائكة بذلك ، وكانوا من قبل ذلك يجهلونه ، بل أن القرآن أورد على لسانهم قولهم :"سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا"

بل لقد جعل انجيل برنابا فى الجنة خيلا وحميرا وبغالا ترعى من عشب الجنة ، فيقول فى الفصل التاسع والثلاثين :

(فاقترب الشيطان يوما من أبواب الجنة - بعد طرده منها - فلما رأى الخيل تأكل العشب أخبرها أنه إذ تأتى لتلك الكتلة من التراب أن يصير لها نفس أصابها - أى أصاب الخيل - ضنك ؟ ولذلك كان من مصلحتها أن تدوس القطعة من التراب على طريقة لا تكون بعدها صالحة لشئ ، فثارت الخيل وأخذت تعدو بشدة على تلك القطعة من التراب التى كانت بين الزنابق والورود ، فأعطى الله من ثم روح لذلك الجزء من التراب الذى وقع عليه بصاق الشيطان الذى كان أخذه جبريل من الكتلة وأنشأ الكلب فأخذ ينبح فروع الخيل فهربت ، ثم أعطى نفسه للانسان وكان الملائكة كلها ترنم : اللهم ربنا تبارك اسمك القدوس" .

فهل يعقل أن يخط مسلم بيده مثل هذا الكلام ، وعنده القرآن الكريم يصور مشهد خلق آدم أجمل تصوير[١] فلا خيل ولا بغال ولا بصقة شيطان . إنما الذى كتب هذا ليس بمسلم يقينا وإنما هو فى الأغلب الأعم يهودى متشرب بروح اليهودية بدليل انه جعل للملائكة رئيسا على هيئة كاهن ، والكاهن شخص يهودى اتخذ من الكهانة صناعة له وحرفة يحترفها . ولا كهانة فى الاسلام .

أما ما جاء بعد ذلك من ذكر اسم "محمد" ذكرا صريحا فى انجيل برنابا ، فهو من السذاجة بحيث لا يلجأ اليه عالم من علماء المسلمين ، ولا مسلم تشرب قلبه بالاسلام ، إلا أن يكون من المجاذيب أو الدراويش الذين لا يحكم المنطق السليم أفعالهم أو أقوالهم .

فقد ورد فى انجيل برنابا فى الفصل التاسع والثلاثين عبارة ١٤ وما بعدها : "فلما انتصب آدم على قدميه ، رأى فى الهواء كتابه تتألق كالشمس نصها لا إله إلا الله محمد رسول الله".

وكأنما أراد محرر انجيل برنابا ، أو من أضاف هذه الإضافة اليه ، أن يجتذب إلى صفه القارئ المسلم ، وأن يشكك غير المسلم فى صحة الانجيل ذاته - انجيل برنابا - لمخالفته ومغايرته لباقى الاناجيل فى النقاط الأربعة السابق الاشارة اليها ، وهى حيلة لا تنطلى على أى مسلم مؤمن ، لأن القرآن الكريم لم يشر إلى شئ من هذا ، ولم يذكر أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد خلق قبل كل المخلوقات بستين ألف سنة وأن الوجود كله قد خلق من أجله ! ولا قال ذلك محمد صلى الله عليه وسلم عن نفسه .

وإنما قال النبى محمد عن نفسه فى حديث شريف : أنا ابن إمرأة من قريش كانت تأكل القديد وتمشى فى الأسواق . فمحمد الذى جاء بالقرآن الكريم الموحى به اليـه من رب العالمين ، لم يقل عن نفسه شيئا من ذلك ،

---

(١) فى سورة البقرة اية .

ولا قال عن أمه أكثر من أنها إمرأة من قريش كسائر النساء . وهو الذى حمل إلى البشرية آيات من القرآن الكريم رفعت من شأن مريم العذراء وفضلتها على سائر نساء العالمين ، فهل لم يكن فى امكانه أن يقول عن نفسه وعن أمه ما يرفعهما فوق مصاف البشر لو كان هو الذى ألف القرآن .

إن الاسلام يقوم على المنطق والعقل والواقع ، ولم يلجأ إلى ما لجأ اليه غيره من اتباع الديانات الأخرى من حيث تقديس انبيائهم ورفعهم إلى مصاف الآلهة .

لذلك نكرر القول أن من كتب انجيل برنابا أو أضاف اليه إضافات ليس مسلما بحال من الأحوال ، فليس مسلما من يقول أن باب الجنة تحرسه حية مخوفة لها قوائم كقوائم الجمل وأظافر أقدامها محددة من كل جانب كموس ، وأن هذه الحية أدخلت الشيطان فى جوفها ليخرج من مؤخرتها فى الجنة لكى يستطيع اغواء آدم(١) ولا يطاوع مسلماً قلبهُ أو قلمهُ ليفترى على الله الكذب فيتقول على الله مثل هذه العبارة(٢) :

(فأجاب الشيطان إنه - يقصد الله جل جلاله - لم يقل الصدق . فيجب أن تعرفى أن الله - حاشا لله - شرير وحسود ، لذلك لا يحتمل أنداداً ، ويقدم الشيطان نصيحته لحواء قائلا : (ولكن إذا كنت وعشيرك تعملان بنصيحتى فإنكما تأكلان من هذه الأثمار كما تأكلان من غيرها ولا تلبثا خاضعين لآخرين . بل تعرفان الخير والشر كالله وتفعلان ما تريدان لأنكما تصيران ندين لله.) (٣)

من هو المسلم الذى يطاوعه قلمه أن يكتب هذا الهراء بل الكفر . وقد نفى الدكتور خليل سعادة مترجم انجيل برنابا ذاته . وهو على ما يظن مسيحى العقيدة - نفى هذا الادعاء ، بل نفى أن يكون محرر انجيل برنابا

(١) الفصل الاربعون من انجيل برنابا .
(٢) انجيل برنابا الفصل الاربعون عبارة ١٥ .
(٣) جاء ذلك بالنص فى سفر التكوين اليهودى .

شخصا يمت إلى العرب والعربية بأدنى صلة ، لأن العربى لا يقول : "سورة عيسى ألم" ويقصد بها "سورة آلام عيسى" فهو يضع المضاف إليه قبل المضاف ، ثم هو يكتب الخبائث بالسين بدلا من الثاء فيكتبها هكذا (الخبائس) .

ويضيف الدكتور سعادة فى تعليقه على هذا الانجيل فى مقدمة ترجمته ، أن هذا الانجيل إنما هو بقلم رجل له إلمام بالتوراة اللاتينية ، يقرب من إلمام الفيلسوف دانت ، رجل معرفته للأسفار المسيحية تفوق كثيرا إطلاعه على الكتب الدينية الاسلامية ، فيرجح إذاً أنه مرتد عن النصرانية . وأنا أكاد أجزم أنه يهودى متعصب ليهوديته ، أراد أن يوقع بين المسيحية والإسلام ... فهذه لعبة اليهودية المفضلة . أو على الأقل أراد أن يحشر بذلك الانجيل أقوالا لا يقبلها العقل بسهولة فيفقد الناس ثقتهم بالانجيل كله . وهو هدف تسعى اليه اليهودية باستماتة وفى غير ما كلل .

"المسيا" الوارد فى التوراة والانجيل هل هو عيسى أم محمد ؟

قال الله سبحانه وتعالى فى سورة الاعراف :

"....قال عذابى أصيب به من أشاء ,ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاه والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الآمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ."٧ الأعراف ١٥٦ـ ١٥٧

يخبرنا القرآن الكريم آن النبى محمدا صلى الله عليه وسلم كانت له اشارات تنبىء بمجيئة وتعطى أوصافه فى كل من التوراة والانجيل المنزلين من عند الله سبحانه وتعالى رب العالمين الذى تشير اليه وتؤكده الآيات السابقة كما تؤكده الآية التالية :

"واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا بما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ." ٦١ الصف ٦

وفى رسالة كتبها الدكتور احمد حجازى السقا[١] يشرح فيها ذلك من واقع الآناجيل التى يعتقد فيها المسيحيون وايضا من واقع التوراة التى وضعها اليهود وهى الآساس فى ذات الوقت لعقيدة المسيحيين والتى ضمنوها كتابهم المقدس فيقول :

ورد فى الكتاب المقدس فى العهد القديم اليهودى فى

---

(١) الدكتور احمد حجازى السقا : الكتاب المسيا المنتظر هو نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم .الناشر مكتبه الثقافه الدينيه-الطبعه الاولى سنه ١٩٧٧ رسالة نال عليها المؤلف درجة الدكتوراه .

الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنيه على لسان موسى عليه السلام يخاطب اليهود :

(يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلي، له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب الهك في حوريب يوم الاجتماع قائلا لا آعود آسمع صوت الرب الهي ..... قال لي الرب ... آقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ماأوصيه به..) (تثنيه ح ١٨ ع ١٥-١٨)

واطلق اليهود علي ذلك النبي الذي ورد ذكره في هذه العباره لقب "المسيا" وباتوا ينتظرونه ليخلصهم مما هم فيه.

فلما جاء المسيح عيسى بن مريم قال أتباعه انه هو النبي الموعود الذي جاء ذكره بالتوراة ووصفوه بأنه كاهن ونبي وملك ..(ملك اليهود) . وهذه هي معنى كلمة مسيا في اللغه التي حولوها فيما بعد الى كلمة المسيح .

والمسيح لم يكن أبدا ملكا وقد جاء بانجيل يوحنا (ح ٦ ع ١٥) انه عندما علم انهم جاءوا لياخذوه وينصبوه ملكا انصرف الى الجبل وحده هربا منهم وعزوفا عن ان يصير ملكا .

وكذلك لم يكن المسيح كاهنا والكهانة وقف على اليهود وهو قد تنصل من يهوديته بخروجه عليها كما أن الكهانة وقف على سبط هارون وقد لقبته الاناجيل على غير الحقيقه انه من آبناء داوود وداوود من سبط يهوذا . ولم يبق بذلك من صفات المسيا الا النبوة وهذا ما لاينكره احد على عيسى عليه السلام . ولكن المسيح قال أنه ليس هو (المسيا) وأن المسيا سيآتي بعده . ومن ثم يمكن ان ينصرف المعنى الى النبي محمد عليه الصلاة والسلام وهو ما انتهى اليه بعض الباحثين والمفكرين ومنهم الدكتور احمد حجازي السقا الذي دلل على ذلك من كتابات اليهود والمسيحين انفسهم واوردها هنا بدون أي تعليق من جانبي

اذ أني سبق أن شككت في توراه اليهود المصنوعه وفي اناجيل المسيحيين ولكنني آوردها هنا-على سبيل الذكر فقط وماقاله اصحاب هذا الرأى استنادا الى ان الكتاب المقدس وان كان من وضع بشر الا انه لاشك مقتبس بعض اجزاءه من التوراة والانجيل المنزلين من عند الله سبحانه وتعالى.

يقول الدكتور السقا ان توراة الكتاب المقدس قد ذكرت ان النبى المبشر به سيكون مثل موسى، وعيسى لم يكن مثل موسى من حيث :

ا-لم ينشأ عيسى عليه السلام فى بيئة وثنية مثلما نشأ موسى فى رعاية فرعون.

ب -ان عيسى عليه السلام لم يحارب ولم يمتشق الحسام سواء دفاعا عن حق أو محاربه لباطل وانما كانت دعوته تقتصر على الخطابة والوعظ .

ج -ان عيسى عليه السلام لم يأت بشريعة جديده وانما كان يعزز ويدافع عن شريعة موسى عليه السلام , حيث قال ما جئت لأنقض الناموس بل لآكمله .

د-ان عيسى عليه السلام لم يتزوج ولم ينجب.

وهذه الأوصاف كلها - فى حين انها لاتنطبق على عيسى عليه السلام - تنطبق على محمد صلى الله عليه وسلم .

هـ-اما قوله من وسط اخوتك فان محمدا صلى الله عليه وسلم تجمعه بموسى عليه السلام قرابتهما لآبراهيم عليه السلام فكلاهما من نسله .

و-وآما اشارة توراة الكتاب المقدس(واجعل كلامى فى فمه) فتدل على انه لايقرأ ولايكتب ولايعتمد على القراءه او الكتابه فيما يقول) بينما كان عيسى عليه السلام يقرأ ويكتب (كان

يكتب باصبعه على الأرض) .(يوحنا ح٨ ع٦)

ز- تقول الآناجيل ان عيسى عليه السلام قد قتل ومات فداء عن خطايا البشرية بينما تذكر توراه الكتاب المقدس : (لا يقتل الآباء عن الآولاد ولا يقتل الآولاد عن الآباء . كل انسان بخطيئته يقتل) . (تثنيه ح٢٤ ع١٦) (العدد ح١٥ ع٣١) (خرقيال ح١٨ ع٢٠-٢٤)

ويعزز هذه المقولة - مقوله ان المسيا هو محمد صلى الله عليه وسلم - ما ورد بانجيل برنابا من ان عيسى عليه السلام قد بشر بنبى يأتى من بعده ، وذكر اسمه على المجاز وعلى الحقيقه فعندما سأله الكاهن وهم يحاكمونه : انه مكتوب فى كتاب موسى ان الهنا سيرسل لنا (مسيا) الذى سيأتى ليخبرنا بما يريد الله رحمة للعالم . فهل انت مسيا الله الذى ننتظره ؟

(اجاب يسوع : حقا ان الله وعد هكذا ولكنى لست هو لأنه خلق قبلى وسيأتى بعدى .)

ولما سأله بأية كيفية سيأتى(المسيا)

(اجاب يسوع : لعمرالله الذى تقف بحضرتة نفسى انى انا لست مسيا الذى تنتظره كل قبائل الأرض كما وعد الله أبانا ابراهيم قائلا : بنسلك أبارك كل قبائل الآرض .ولكن عندما يآخذنى الله من العالم سيشير الشيطان مرة اخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عادم التقوى على الآعتقاد بآنى انا الله وآبن الله فيتنجس بسبب هذا كلامى وتعليمى حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمنا .

(حينئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذى خلق كل الآشياء لآجله)

الذى سيأتى من الجنوب بقوة وسيبيد الآصنام وعبدة الآصنام

. وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر وسيأتى برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به وسيكون من يؤمن به مباركا .) (الفصل ٩٦ برنابا) . ثم اضاف فى الفصل ٩٧ : (ومع انى لست مستحقا ان أحل سير حذاءه ،فقد نلت نعمة ورحمة من الله لآراه .)

(ان كلامكم لا يعزينى لأنه يأتى ظلام حين ترجون النور ،ولكن تعزيتى هى فى مجىء الرسول الذى سيبيد كل رآى كاذب فى وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره لآنه هكذا وعد الله أبانا ابراهيم ،وآن ما يعزينى هو آن لانهاية لدينه لآن الله سيحفظه صحيحا .)

(لا يآتى بعده آنبياء صادقون مرسلون من الله .)

فقال حينئذ الكاهن : ماذا يسمى مسيا وما هى العلامة التى تعلن مجيئه؟ (آجاب يسوع : أن اسم مسيا عجيب لآن الله نفسه سماه لما خلق نفسه ووضعها فى بهاء سماوى . قال الله : آصبر "يا محمد " لآنى لآجلك آريد آن اخلق الجنة والعالم وجما غفيرا من الخلائق التى أهبها لك حتى أن من يباركك يكون مباركا ومن يلعنك يكون ملعونا .

ومتى آرسلتك الى العالم آجعلك رسولى للخلاص وتكون كلمتك صاد قة حتى أن السماء والآرض تهنان ولكن ايمانك لا يهن آبدا . ان اسمه المبارك محمد .)

(حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : ياالله ارسل لنا رسولك " يا محمد تعالى سريعا لخلاص العالم .)

ولقد شاءت ارادة الله تعالى ان تكون بركة سيدنا ابراهيم منحصرة فى ولديه اسماعيل واسحق فقط دون بقيه أبنائه , اذ جاء بسفر التكوين من توراة الكتاب المقدس, أن الله قال لابراهيم : انا الله القدير سر امامى وكن كاملا فاجعل عهدى بينى وبينك , واكثرك كثيرا جدا ... وتكون ابا لجمهور من الامم ... واقيم

عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهدا ابديا (تكوين اصحاح ١٧)

وقال ابراهيم لله ليت اسماعيل يعيش أمامك ... فقال أما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ها انا اباركه وأثمره واكثره كثيرا جدا ...)(تكوين ح١٧)

وقد قال فريق من علماء اليهود الذين دخلوا الاسلام والذين يعرفون دقائق توراة الكتاب المقدس وكنايات الالفاظ بها أن لفظ كثيرا جدا الوارد فى نهاية العباره السابقة ليس هو اللفظ الأصلى وانما أستبدل محل الكلمة الأصلية التى كانت اسم محمد عليه الصلاه والسلام ودللوا على ذلك بان عدد أحرف الكلمة الآصلية والكلمة المستبدلة بحسب الجمل الذى يتقنه اليهود واحد وهو ٩٢ باعتبار الالف واحد والباء اثنان والجيم ثلاثة وهكذا..

ومن هذا النص الذى يدل على بركة اسماعيل عليه السلام يتبين مجىء نبى عظيم فى مستقبل الأيام ورد ذكره فى توراة موسى عليه السلام , وهذا النبى العظيم الذى تبدأ من وجوده بركة اسماعيل بن ابراهيم وتنتهى بركه اسحق فى الامم أطلق عليه اليهود لقب مسيا على عادة اليهود فى اطلاق هذا الاسم على الانبياء والكهان والملوك , باعتبار انهم مختارين (مصطفون) من الله عز وجل لاداء رساله سامية .

وقد قال شموئيل بن يهوذا بن أيوب (اليهودى) وصدق على قوله الشيخ رحمت الله الهندى المنسوب للامام القرطبى (المسلم) أن لفظ محمد أستبدل فى العبرية بلفظ بمادماد التى ترجمتها كثيرا جدا لتساويهما فى العدد بحساب الجمل على الوجه الآتى حسب استخدامات٠ اليهود.

م ح م د = ٤٠+٨+٤٠+٤=٩٢

ب م ا د م ا د=٢+٤٠+١+٤+٤٠+١+٤=٩٢

كما أن يعقوب عليه السلام عندما حضره الموت , جمع أولاده وقال لهم : لايزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتى (شيلون) وله يكون خضوع شعوب (تكوين ح٤٩ ع ١٠) ومعناه لايزول الملك من بنى اسرائيل حتى يأتى نبى الآمان وبيده الشعوب تقاد . ولم يزل الملك من بنى اسرائيل ألاعلى يدى نبى الاسلام سواء بجلائهم عن المدينة المنورة , او عن مدينة ايلياء بفلسطين فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . ولم تنزل من السماء شريعة تماثل شريعة موسى عليه السلام الا على قلب محمد عليه الصلاه والسلام التى نسخت الشريعة الأولى وأحلت اليهود من بعض المحظورات التى كانت مفروضة عليهم .

" يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم وألاغلال التى كانت عليهم ..." ٧ ألاعراف ١٥٧

وقد فسر المسيحيون لفظ "شيلون" بكلمة "مسيا" ثم ترجموها الى"المسيح ".

فهم يسقطون هذه النبوءه على المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بينما يؤكد الباحثون سواء أكانوا مسلمين او غير مسلمين , أن المقصود بالنبوة المذكورة هو محمد صلى الله عليه وسلم , على الوجه السابق التنويه اليه , ويستندون فى ذلك الى ما ورد بتوراة اليهود وأناجيل المسيحيين أنفسهم بالكتاب المقدس.

ونزيد على ذلك بأن حزقيال فى سفره قد عبر عن"شيلون"الذى له الحكم فى قوله : (وأنت أيها النجس الشرير رئيس اسرائيل الذى قد جاء يومه فى زمان أثم النهايه هكذا قال السيد الرب : أنزع العمامه . أرفع التاج . هذه لاتلك . ارفع الوضيع وضع الرفيع . منقلبا منقلبا أجعله هذا أيضا لايكون حتى

يأتى الذى له الحكم فأعطيه اياه .)(خزقيال ح ٢١ ع ٢٥-٢٧)
وهذا يعنى : حتى يأتى الشخص الذى فى مجيئه تنزع عمامة الكهنة من بنى اسرائيل وينزع تاج الملك من على رءوس بنى اسرائيل . وقد فسر هذا التفسير (شموئيل بن يهوذا بن أيوب) اليهودى الآصل المتوفى سنه ٥٧٠ هـ والذى هداه الله للاسلام وفى سفر التثنيه يتحدث موسى عليه السلام عن أوصاف نبى الاسلام - الذى سيولد بعد ذلك بواحد وعشرين قرنا - وهى الآوصاف الخاصه بالمسيا وهى كالآتى :

١- أن يكون نبيا .

٢- من بنى ابراهيم وعلى الآخص من بنى اسماعيل عليهما السلام .

٣- أن يتماثل مع موسى عليه السلام .

٤- ينسخ شريعة موسى ويأتى بشريعة جديده .

٥- يقضى على مملكه اليهود .

٦- أمى لا يقرأ ولا يكتب .

٧- يكون أمينا على الوحى الذى يوحى اليه من السماء .

٨- يتحدث عن أمور غيبية تتحقق فى مستقبل الزمان (وقد تحدث نبى الآسلام عن أن الفرس سيغلبون الروم ثم تغلب الروم بعد ذلك ثم يتغلب عليهما كليهما بعد ذلك المسلمون المؤمنون ويقوضون أركان مملكتيهما ويخضعونها لسلطانهم) وقد تحقق ذلك .

وقد تحدث ألآناجيل بعد ذلك على لسان عيسى عليه السلام بأنه يبشر بمسيا يأتى من بعده ,لقبته ألآناجيل بلقب (المعزى) وهو تعريب للكلمة اليونانية بارقليط particulus والترجمه الحرفيه لها هى "الاكثر حمدا" أو الآحمد أو المحمد .

وقد جاء فى انجيل متى على لسان المسيح عيسى عليه السلام :

(الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب. كان هذا وهو عجيب فى أعيننا. لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تحمل أثماره .) متى ٢٣ : ٤٢-٤٣

وفوق كل هذا فقد تحدث القران الكريم الى أهل الكتاب فى ذلك بالآيات الآتية :

"الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ,الحق من ربك فلاتكونن من الممترين ." (البقره ١٤٦-١٤٧)

"كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ." (البقره ٥١)

وليس أصدق من الله قيلا .

الفصل الثانى عشر

ختام حياة المسيح فى الأناجيل
الصلب والقيامة

- الاختلاف بين الأناجيل فيما يتعلق بالصلب .
- ختام حياة المسيح فى القران الكريم .

ختام حياة المسيح فى الاناجيل
الصلب والقيامة

ورد فى نهاية الاناجيل الاربعة وصف لختام حياة المسيح على الارض ، وذلك بالقبض عليه بواسطة جند الوالى الرومانى ، بإيعاز وإثارة من أحبار اليهود وكهنتهم ثم محاكمته السريعة وصلبه ، ودفنه وقيامته ، حسبما أوردته الاناجيل الاربعة ، واليك ما ورد بانجيل متى فى هذا الخصوص :

متى : الاصحاح ٢٦ : (ولما أكمل يسوع هذه الاقوال كلها قال لتلاميذه : تعلمون بعد يومين يكون عيد الفصح ، وابن الانسان يسلم ليصلب . حينئذ إجتمع رؤساء الكهنة والكتبة الى دار رئيس الكهنة الذى يدعى قيافا وتشاوروا لكى يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه ولكنهم قالوا ليس فى العيد لئلا يكون شغب فى الشعب . حينئذ ذهب واحد من الاثنى عشر الذى يدعى يهوذا الاسخربوطى الى رؤساء الكهنة وقال ماذا تريدون ان تعطونى وأنا أسلمه لكم ، فجعلوا له ثلاثين من الفضة ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه .)

وأعدوا وليمة الفصح حسبما قال لهم المسيح ... (وفيما هم يأكلون الفصح قال لهم ، الحق أقول لكم ان واحدا منكم يسلمنى . الذى يغمس يده معى فى الصحفة هو يسلمنى . ان ابن الانسان ماض كما هو مكتوب عنه ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الانسان ، كان خيرا لذلك الانسان لو لم يولد . فأجاب يهوذا مسلمه وقال : هل أنا هو يا سيدى؟ قال له أنت قلت .)

(وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدى . وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا : اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى .. الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا ... كلكم تشكّون فىّ هذه الليلة ..ولكن بعد قيامى أسبقكم الى الجليل ... وإبتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم : نفسى حزينة جدا حتى الموت .. ثم تقدم قليلا وخر على

وجهه وكان يصلى قائلا : يا أبتاه ان أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت .. يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس الا ان اشربها فلتكن مشيئتك ..)

(وفيما هو يتكلم اذا يهوذا أحد الاثنى عشر قد جاء[١] ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ، والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلا : الذى أقبله هو هو إمسكوه .. حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا والذين أمسكوا يسوع مضوا به الى قيافا رئيس الكهنة حيث إجتمع الشيوخ والكتبة ومع انه جاء شهود زور كثيرون لم يجدوا ولكن أخيرا تقدم شاهدا زور وقالا : هذا قال إنى أقدر ان أنقض هيكل الله وفى ثلاثة أيام أبنيه . فقال له رئيس الكهنة : أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله ؟)

وهل فى عقيدة اليهود ان المسيا ابن الله ، أو ان لله ابن كعقيدة المسيحيين؟ ان اليهود رغم إنحرافهم فى العقيدة فهم أهل توحيد لإلههم ، فقط يعتقدون ان هناك آلهة أخرى للأقوام غير اليهودية ، كالوثنيين وغيرهم لكنهم ليسوا أهل تثنية أو تثليث كالمسيحيين .

(قال له يسوع : أنت قلت ، وأيضا أقول لكم من الآن ، من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء ... فقال رئيس الكهنة لقد جدف ، ما حاجتنا بعد الى شهود . ماذا ترون فأجابوا وقالوا : انه مستوجب الموت ...)

الاصحاح ٢٧ : (ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه فأوثقوه ومضوا به ودفعوا به الى بيلاطس البنطى الوالى - حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه انه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة الى رؤساء الكهنة والشيوخ ، ثم مضى وخنق نفسه .)

---

(١) كيف ويهوذا يحضر معه الوليمة ، بل ويساله عن شخص مسلمه قائلا : هل هو انا يا سيدى فيرد عليه المسيح : انت قلت .

(فوقف يسوع أمام الوالى فسأله قائلا : أأنت ملك اليهود ؟ فقال له يسوع : أنت قلت . وكان الوالى معتادا فى العيد أن يطلق للجمع أسيرا واحدا من أرادوه وكان لهم حينئذ أسير مشهور يسمى باراباس . ففيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس من تريدون أن أطلق لكم باراباس أم يسوع الذى يدعى المسيح؟ ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على ان يطلبوا باراباس ويهلكوا يسوع . فأخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلا : إنى برئ من دم هذا البار - فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أبنائنا ... حينئذ أطلق لهم باراباس أما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب .)

(وضفروا اكليلا من الشوك ووضعوه على رأسه وقصبة فى يمينه ، وفيما هم خارجون وجدوا انسانا قيروانيا اسمه سمعان فسخروه ليحمل الصليب وأعطوه خلا ممزوجا بمرارة ليشرب ولما ذاق لم يرد ان يشرب .. ولما صلبوه إقتسموا ثيابه مقترعين عليها ، وكان المجتازون يجدفون عليه قائلين : يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلّص نفسك ان كنت ابن الله فانزل عن الصليب . أما رؤساء الكهنة أو الشيوخ فقالوا خلّص آخرين وأما نفسه فما يقدر ان يخلصها . ان كان هو ملك اليهود فلينزل الآن عن الصليب ونحن نؤمن به .)

(وفى التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : ايلى ايلى لما شبقتنى ، أى الهى لماذا تركتنى . فركض واحد من الواقفين وأخذ إسفنجة وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقاه ، وصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح . وإذا حجاب الهيكل قد إنشق الى إثنين من فوق الى أسفل والارض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من اجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور ... وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد وبينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوسى وأم ابنى زبدى .)

(ولما كان المساء جاء رجل غنى من الرامة اسمه يوسف وكان هو أيضا تلميذا ليسوع تقدم الى بيلاطس وطلب جسد يسوع فأخذ الجسد ولفه بكتان نقى ووضعه فى قبره الجديد الذى كان قد نحته فى الصخر ثم دحرج حجرا كبيرا على باب القبر ومضى .)

الاصحاح ٢٨ : (وبعد السبت عند فجر أول الاسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الاخرى لتنظرا القبر ، واذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه ، وقال للمرأتين : ليس هو هاهنا لأنه قام كما قال . هلما انظرا الموضع الذى كان الرب مضطجعا فيه واذهبا سريعا قولا لتلاميذه انه قد قام من الاموات . ها هو يسبقكم الى الجليل وهناك ترونه . وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه انه قام من الاموات اذا يسوع لاقاهما وقال سلام لكما فقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له .

(وأما الاحد عشر تلميذا فانطلقوا الى الجليل الى الجبل حيث أمرهم يسوع ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا فتقدم يسوع وكلمهم قائلا دفع الى كل سلطان فى السماء وفى الارض فإذهبوا وتلمذوا جميع أمم الارض وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم ان يحفظوا جميع ما أوصيكم به .)

الاختلافات بين الاناجيل فيما يتعلق بالصلب :

تتفق الاناجيل فى محور الرواية الخاصة بصلب المسيح ولكنها تختلف فى بعض التفاصيل الحيوية ، فالاناجيل الثلاثة الاولى منقول بعضها عن بعض كما سبق القول لهذا فاننا لا نتوقع إختلافا كبيرا فى سياق القصة وتتابعها ورغم ذلك فان بعض التفاصيل تختلف لعلة لا نفهمها - اللهم الا اذا كان ذلك مبررا لتعددها ، وبالأخص فإن إنجيل يوحنا يختلف اختلافا جوهريا عن بقية الاناجيل .

ففيما يتعلق بالمبرر الذى دفع يهوذا الاسخريوطى الى خيانة معلمه ، نجد متى يوضح ذلك فى الثلاثين من الفضة -على تفاهتها- كمبرر لهذه الخيانة ، وان كان يقول أن يهوذا قد أعادها فيما بعدلرؤساء الكهنة بعد أن أمسكوا بالمسيح وحاكموه محاكمة سريعة وأدانوه تمهيدا لصلبه ، كأنما قد أحس بالندم ووخز الضمير ، بل انه لم يكتف بذلك فذهب وخنق نفسه على حد قول متى ، أما إنجيلا مرقس ولوقا فلم يحددا المبلغ المقابل للتسليم وان كان هناك وعد -مجرد وعد- بالمكافأة عندما يتم التسليم أما القيمة فلم يحدداها ، بل ولم يشيرا بعد ذلك الي ما يفيد ان يهوذا قد تسلمها وعلى أي حال فإن مجرد ذكر أن يهوذا قد طلب مكافأة مقابل تسليمه المسيح لهم ، فيه مبرر لقيامه بهذا العمل وهو مبرر للحصول علي عوض مادى وان كان لا يتناسب بطبيعة الحال مع الفعل نفسه .

وقد فعل انجيل لوقا خيرا حين جعل دخول الشيطان فى يهوذا - ح٢٢ ع ٤ - سببا ومبررا لفعلته النكراء تلك ، فمعلوم مدى العداء بين الشيطان من ناحية وبين بقية البشر وعلى الاخص أنبياء الله منهم ، بل لقد أفادتنا بعض الاناجيل ان الشيطان إستدرج المسيح الى البرية أربعين يوما ليجربه وليغريه بشتى أنواع الاغراء بعد تعميد يوحنا له . فالعداء هنا قديم بين الشيطان وبين المسيح ، وبدخول الشيطان وتقمصه فى يهوذا يجعل الذى يتصرف هو الشيطان لا يهوذا فلا غرابة فى ان يوقع بالمسيح لتسليمه لأعدائه اليهود .

أما انجيل يوحنا فلم يحاول أن يعطى أى مبرر عينى أو نفسى أو عقائدى يجعل يهوذا تلميذ المسيح يقدم على تسليم المسيح لأعدائه سوى التعلل بأن الشيطان قد ألقى فى قلبه هذا ، فهو ليس تقمصا من الشيطان بالدخول فى يهوذا كما فى إنجيل لوقا حيث صار الشيطان المتقمص فى يهوذا هو المسئول عن الفعل ، وإنما فى يوحنا مجرد إيعاز من الشيطان - وما أكثر إيعازات الشيطان وإيحاءاته لبنى البشر فهى والحالة هذه واقعة على العقل والنفس وليست على الشيطان باى حال - يوحنا ١٣ ع - اللهم الا ان يكون ذلك إستجابة لما دأبت الاناجيل على ترديده بأنه مكتوب من قبل ، أو تمشيا مع ما كتبته الاناجيل الأخرى .

وعموما فان قصة تسليم المسيح لأعدائه اليهود بواسطة واحد من تلاميذه واتباعه هى قصة رخوة غير محبوكة الاطراف ، ذلك بأن المسيح يقوم بدعوته علنا وفى غير خفاء ، فى وسط الناس وبين اليهود أنفسهم بل لقد إستعان ببركة شفائه رؤساء للمجمع اليهودى ، كما ان المسيح كان دائم التجوال فى البلاد بطولها وعرضها وهى منطقة ضيقة وليست مسافات شاسعة ، بل لقد كان للمسيح مع أحبار اليهود جولات من النقاش والجدل الدينى داخل الهيكل ذاته ، فلم تكن شخصية المسيح والأمر كذلك بالنسبة لليهود شخصية مجهولة أو مجهلة ، بل لقد كان يأتى بمعجزاته وسط ملأ من الناس ، فقد كان شخصية عامة ملحوظة ، ونبيا من أنبياء بنى اسرائيل ، بل لقد أشيع عنه انه ملك اليهود . ولقد قال المسيح لمن جاءوا للقبض عليه بالعصى والسيوف (كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذونى ، وكل يوم كنت أجلس معكم أعلم فى الهيكل ولم تمسكونى) - ثم أردف كأنما يعطيهم التبرير (وأما هذا كله فقد كان لكى تكمل كتب الانبياء) متى ح ٢٦ ع ٥٥ - ٥٦ .

والامر الملفت للنظر حقا انه بالرغم من أن الاناجيل كلها تذكر ان هذه النهاية كانت مقررة من قبل ومحتومة بالنسبة للمسيح ، بل ومن أجل غاية سامية الا وهى الكفارة عن أخطاء البشرية جمعاء وعن خطاياها ، وكان

المسيح نفسه أول عالم بها ومدرك لها ، بل لقد أخبر تلاميذه بها فى مناسبات عدة ، آخرها وأقربها يوم القبض عليه اذ قال لتلاميذه : (تعلمون انه بعد يومين يكون الفصح و"ابن الانسان" يسلم ليصلب) متى ح ٢٦ ع ١ ثم يذكر انجيل متى فى العبارة ٢٦ من نفس الاصحاح : أخذ يسوع الخبز وكسر وأعطاهم قائلا : خذوا كلوا هذا هو جسدى . ثم أخذ الكأس وشكر وأعطى التلاميذ قائلا : اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد ، الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا . وتكررت نفس العبارة فى مرقس أيضا ح ١٤ ع ٢٢

فالمسيح كان يعلم اذن انه بعد الصلب والقيامة سيصعد الى السماء ويجلس عن يمين أبيه "الاب" ليدين الناس ، فهو سيترك هذه الدنيا الى مكان أفضل هو السماء ، وهو سيترك أحباءه على الارض ليلقى حبيبه فى السماء "الذى به سر" وسيتولى مهمة أفضل من مهمته على الارض ، الا وهى دينونة البشر واستعراض اعمالهم من خير وشر ، فقد وكله "أبوه" الذى فى السماء بذلك وتنازل عن محاسبة البشر وفوضه ان شاء غفر لهم وان شاء أدانهم "وما بعد الدينونة الا العذاب المهلك" فهل أسمى من ذلك مهمة يكلّف بها ، وهل أحب الى الابن من ان يجلس على يمين أبيه ، وهل ألذ من أن يتنازل الاب عن سلطاته لابنه؟

انها لا شك رحلة مشوقة ومبتغاة تستأهل البشر والفرحة ، بل تستأهل العجلة والاسراع ، ولكن بالرغم من ذلك فالاناجيل تحيطها بجو مأسوى من الخوف والرهبة ، وكأنها كارثة لا محيص عنها يترقبها من قدرت عليه بهلع وجزع ، فقد ورد بالاناجيل ان المسيح قال ليهوذا حين جاءه مع الجند ليقبض عليه ، فى إستنكار وعتاب : "يا صاحب لماذا جئت؟" متى ٢٦ ع ٥٠ - فكأنما كان يرجو لو ان هذه الساعة لم تحن ، أو بالقليل لو انها تأخرت ثم وصفته بالدهشة والاكتئاب : فقال لهم (نفسى حزينة جدا حتى الموت .. ثم تقدم قليلا وخر على الارض وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة ان أمكن . وقال : يا أبا الآب كل شئ مستطاع لك فإجز عنى هذه الكأس . ولكن ليكن لاما أريد أنا بل ما تريد أنت) مرقس ١٤ ع ٣٣ - ٣٦ . لوقا ح ٢٢ ع ٤١ - ٤٢ .

(وظهر له ملاك من السماء يقويه . - مما يدل على انه كان خائفا - واذ كان فى جهاد يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرة دم نازلة على الارض) لوقا ح ٢٢ ع ٤٣ - ٤٤ .

فالاناجيل الثلاثة متى ومرقس ولوقا - قد عبرت عن حزن المسيح وإكتئابه بقرب هذه اللحظة ، ثم بخوفه وإشفاقه من مجئ الجند للقبض عليه حتى ان العرق ليتصبب منه كقطرات دم ، وكان الاحرى بتلك الاناجيل ان تصور المسيح بصورة الفرح المستبشر بمجئ هذه اللحظة المرتقبة . ولقد خالفهم يوحنا فى تصوير تلك اللحظة ، فهو ان لم يصور الشوق والفرح بمجيئها ، الا انه أيضا لم يظهر على المسيح الجزع والخوف ، فيقول :

(فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه وقال لهم -للجند- من تطلبون؟ فأجابوه : يسوع الناصرى . فقال لهم يسوع : أنا هو .) يوحنا ح ١٨ ع ٤ - ٥ .

فالانجيل الوحيد الذى صور المسيح ثابت الجنان قوى العزيمة لحظة القبض عليه هو انجيل يوحنا . وقد صور المسيح ثابت الجنان قوى العزيمة لحظة القبض عليه . وقد صوره انجيل لوقا أيضا ثابت الجنان وهو على الصليب اذ يقول : (نادى يسوع بصوت عظيم وقال : ياأبتاه فى يديك أستودع روحى . ولما قال هذا أسلم الروح) لوقا ح ٢٣ ع ٤٦ .

أما إنجيلا متى ومرقس فهما يصوران تلك اللحظة بالنسبة للمسيح بما يفيد الضيق والاستنجاد بالرب حيث يقول متى (صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : ايلى ايلى لمَ شبقتنى ، أى الهى الهى لماذا تركتنى .) متى ح ٢٧ ع ٤٦ وذكر مرقس نفس الشئ ولكن بعد استبدال لفظ ايلى بلفظ الوى قائلا (الوى الوى لمَ شبقتنى) مرقس ح ١٥ ع ٣٤ . فهو هنا فى هذين الانجيلين يستنجد بربه كما لو كان يرجو لو ان هذه اللحظة لم تمر عليه .

ونحن لا نعتقد ان عيسى عليه السلام كان مشفقا من لقاء ربه ، ولكنه سوء تصوير من كتبة الاناجيل المذكورة - ولو قارنا ذلك بمشهد شهداء المسلمين حين كانوا يدعون للقتال مع النبى - وشتان بين الموقفين فهؤلاء صحابة نبى ، أما ذاك فنبى ورسول - فكان المؤمنون حين يدعون للقتال يتسابقون لنيل الشهادة والموت فى سبيل الله ، الذى قال وما أصدقه من قائل :

"ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما اتاهم الله من فضله ... يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين ."

٣ آل عمران ١٦٩ - ١٧١

ختام حياة المسيح فى القرآن الكريم

ينفى القرآن الكريم عن عيسى بن مريم عليه السلام ، واقعة الصلب والقتل فى قول الله سبحانه وتعالى فى سورة النساء آية ١٥٧ :

"وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا"

وهكذا يدحض القرآن الكريم وقوع الصلب أو القتل على عيسى عليه السلام خلافاً لما قررته الأناجيل على الصورة السابق إيضاحها ، ولكن واقعة القتل والصلب قد وقعت على شخص آخر ألقى الله عليه شبه المسيح ، أو هكذا شبه للقوم أنه المسيح ، ويتفق هذا مع ما ذكرته بعض الأناجيل من أن من يدعى يهوذا الاسخربوطى وهو الذى وشى بالمسيح عند الكهنة لقاء عطية قدرها ثلاثون من الفضة - أستلمها فى بعض الاناجيل ، ولم يتسلمها فى بعض الأناجيل الأخرى وإنما أخذ وعدا بتقاضيها عندما يسلمهم المسيح ، فشاءت إرادة الله أن يوقعه فى شر أعماله ، فألقى الله عليه شبه المسيح ليأخذه القوم لمحاكمته ، وهو الذى نفذ فيه حكم الصلب على الأرجح تبعا لتسلسل الوقائع فى الأناجيل .

أما عيسى عليه السلام فإن القرآن الكريم يقطع بأنه لم يصلب ولم يقتل فى قوله تعالى - وهو أصدق القائلين - "وما قتلوه يقينا"

والله الذى ألقى على الواشى شبه المسيح قادر على أن يلجم لسانه فلا ينطق ليفصح عن شخصيته ويوضح اللبس الذى وقع فيع القوم ، وحتى إذا نطق فإن أحدا لن يصدقه ، وهكذا نفذ فيه حكم الصلب بدلا من المسيح .

أما مصير عيسى عليه السلام ، فإن القرآن الكريم يقول إن الله رفعه إليه فى قوله :

"بل رفعه الله إليه ، وكان الله عزيزا حكيما" النساء ١٥٨

ولكن الناس اختلفوا فى طريقة هذا الرفع ، فيعتقد أتباعه أن الله قد رفعه حياً بجسده وروحه ، بينما يقول بعض المفسرين إن الله رفعه بروحه فقط شأن كل الأنبياء والمرسلين ، بل شأن الناس جميعا ، ذلك أن من يقولون برفع المسيح حيا بجسده ينفون عنه الموت ، ولكن خضوع عيسى للموت ككل البشر قد ورد فى أكثر من آية من آيات القرآن الكريم ، ففى سورة مريم :

"والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا" مريم ٣٣

فواقعة الموت وواقعة البعث كلاهما تنطبق على عيسى كما تنطبق على الأنبياء بل وعلى سائر البشر .

أما رفع عيسى إليه فقد حدث بعد وفاته فى قوله تعالى :

"إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ ..."

آل عمران ٥٥

إذن فالوفاة أولا ثم الرفع إلى السماء . والوفاة تعنى انفصال الروح عن الجسد ، والجسد إذا انفصلت عنه الروح صار جدثا أو جيفة تتحلل ذراته وتعود إلى الأرض ولا ترقى إلى السماء ، إنما الذى يرقى إلى السماء هى الروح فقط لتسكن فى مكان علوى حتى تحين "الساعة" وينفخ فى الصور ، وحينئذ تدب الحياة فى الجسد ، وتتجمع ذراته لتنضم كل ذرة إلى مثيلاتها فى الجسد الذى كانت بضعة منه قبل الوفاة ، تعرف صاحبها ، بل ومكانها من جسد صاحبها لا تخطئ موقعها أبدا ، وحينئذ

تنضم الروح إلى الجسد وتدخل فيه ، فتحيا النفس البشرية مرة أخرى بإذن ربها ، لتحاسب عن أعمالها خيراً كانت أو شراً .

"يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليرَوا أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره"

الزلزلة ٧ - ٨

وقد ورد فى وصف هذه الحالة آيات كثيرة فى القرآن الكريم ، ففى سورة يس :

"ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون . فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون . ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون . قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ، هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون . إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون". يس ٤٨ - ٥٣

وإذن فإن الجدل حول ما إذا كان عيسى عليه السلام قد رفع حيا بجسده إلى السماء ، قد حسمته تلك الآيات ، من أن حقيقة الموت قد انطبعت عليه كما تنطبع على كافة البشر بما فيهم الأنبياء والمرسلون ، وإن رفع الله عيسى إليه إنما كان بعد وفاته فى قوله تعالى :

"إنى متوفيك ورافعك إلىّ..."

وإذن فالرفع بعد الوفاة ، والرفع فى هذه الحالة إنما ينصب على الروح وحدها دون الجسد ، الذى يبقى بالأرض . فإذا قال قائل : إذن ما هى الميزة التى تميز بها عيسى على الناس ، فأقول إن الأرواح حين تصعد إلى بارئها وإلى أن يحين يوم الحساب ، تسكن فى درجات وطبقات متفاوتة ، تكون أقربها إلى ذات الله سبحانه وتعالى ، أرواح النبيين والصديقين والشهداء .

إذن فإن روح عيسى عليه السلام ، حينما توفاه الله إليه ، صعدت إلى حيث تسكن أرواح إخوانه الأنبياء في منزلة عالية :

"في مقعد صدق عند مليك مقتدر" القمر ٥٥

فإذا جاء يوم البعث ، بعث عيسى مع الناس جميعا ، وسوف يكون في صفوف الأنبياء حيث يكون شهيداً على قومه :

"وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته . ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا". النساء ١٥٩

والمقصود هنا حسب تفاسير المفسرين ، إنه ما من شخص من أهل الكتاب ممن كفروا بعيسى - وهم اليهود - وتقولوا عليه وعلى أمه أقبح الأقاويل ، إلا وتتراءى له حين تحضره الوفاة ، حقيقة عيسى وأنه رسول الله حقا ، ولكن إيمانه برسالة عيسى وحقيقته لن تنفعه حينئذ ولن تنقذه من العذاب ، إذ يكون الأوان قد فات ، ومجال التوبة قد انتهى . كما لن تكون أمامه فرصة إخبار غيره برؤيته الحقيقة ، حيث أن الموتى لا يعودون إلى الحياة ولا يتكلمون .

ويقول الله سبحانه وتعالى مخاطبا اليهود الذين حاربوا المسيح وادعوا عليه وعلى أمه بهتانا عظيما ، والنصارى الذى التووا بدعوة المسيح .

"يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم ، إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ، له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ..."

النساء ١٧١ - ١٧٢

الفصل الثالث عشر

معجزات المسيح

- الاختلاف بين الأناجيل فيما يتعلق بالمعجزات.
- معجزة تحويل الماء الى خمر انفرد بها انجيل يوحنا .

معجزات المسيح

المعجزة أمر خارق للعادة يخرج عن طبيعة الأشياء وعن القوانين السارية ، لا يقدر عليه الا الله سبحانه وتعالى ولا يأتى إلا مرة واحدة وفى مناسبة معينة ، بينما الأمر المعتاد - حتى ولو لم يكن فى طاقة كل انسان ، أو كان فوق قدرة كل الناس الا الشخص الذى يقوم به فهو أمر متكرر متى توفرت أسبابه وظروفه ، حتى ولو كان أمرا خارقا لا يقدر عليه الا انسان بعينه .

فالشخص الذى يستطيع أن ينوم شخصا آخر عن بعد ، والشخص الذى يستطيع أن يقرأ أفكار شخص آخر عن بعد ، أو ينبئ بأشياء تحدث على بعد مسافات طويلة وقت حدوثها ، انما يأتى أمرا خارقا لا تستطيعه غالبية الناس ، فاذا تكرر هذا الفعل فهو فى نطاق الأمر المعتاد بالنسبة لهذا الشخص ، ولا يمكن أن يطلق عليه مفهوم المعجزة .

ولقد رأيت بعينى عن قرب منذ سنوات شخصا يفتت أشد قطع الزلط صلابة بين أصابعه كما تفتت أنت قطعة من الطين الجاف و يمحو النقش من فوق قطعة نقد معدنية بمجرد تمرير أصبعه فوقها ويخرق قطعة معدنية بمجرد تمرير أصبعة الصغير فيها و يقصف مسمارا غليظا بضربة من أصبعه ، فهذه وغيرها وان كانت أمورا خارقة بالنسبة لأى شخص آخر ، الا أنها ليست من قبيل المعجزة بالنسبة لهذا الشخص بل تصبح أمرا معتادا .

فاذا حمل طفل صغير سيارة نقل محملة بالأثقال ورفعها بين يديه كما ترفع كرسيا مثلا فان هذا يكون أمرا خارقا فاذا تكرر منه هذا الفعل فانه يصبح أمرا معتادا بالنسبة له - حتى وان كان أمرا معجزا بالنسبة لغيره .

وقد منح الله تعالى كثيرا من أنبيائه معجزات تخرج عن طاقة البشر ، لا لشئ الا ليبرهنوا لمن بعثوا اليهم أنهم مسنودين من العناية

الالهية ، وكلما كان المجتمع بدائيا كلما كانت المعجزة أشد لزوما لاقناعهم . فالطلبه فى المدارس يحتاجون الى التجارب المعملية تجرى أمامهم فى المعامل ليقتنعوا بالنظرية التى تلقن لهم بينما يكتفى العلماء المتمكنون من العلم بالسماع أو القراءة أوالاطلاع للاقتناع بما يعرض عليهم .

ولهذا فحينما كانت البشرية فى بدائيتها ، شاء الله أن يمد أنبياءه ورسله بالمعجزات الحسية لتكون برهانا عمليا على صدق النبوة وأنهم فعلا رسل صاحب القدرة المتناهية . ولقد أمد الله موسى بمعجزة العصا حين بعثه لقوم يجيدون السحر ، وقهر جيش أبرهة المتباهى بفيله ، قهره بأضعف مخلوق ، بالطير الأبابيل التى ترميهم بحجارة من سجيل فتجعلهم كالعصف المأكول ، وذلك دفاعا عن بيته المحرم وعن كعبته المشرفة . كذلك أيد عيسى ابن مريم ببعض المجزات التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم مما سيرد ذكره فيما يلى وذلك عسى أن يخفف الناس من عنادهم ومقاومتهم - والمعجزة تكون قاصرة على من يشاهدها من الناس ، لا تتعداهم الى غيرهم الا بطريق الرواية والنقل .

ولقد روى الله سبحانه وتعالى معجزات المسيح عيسى بن مريم فى الآيات الاتية حيث يقول :

"اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك ، اذ أيدتك بروح القدس ، تكلم الناس فى المهد وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بأذنى ، وتبرئ الأكمه والأبرص باذنى ، واذ تخرج الموتى بأذنى واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين . واذ أوحيت الى الحواريين أن امنوا بى وبرسولى قالوا امنا وأشهد باننا مسلمون . اذ قال الحواريين يا عيسى ابن مريم هل يستطيع

ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا واخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين . "

٥ المائدة ١١٠ - ١١٥

وهكذا نجد أن معجزات عيسى فى القرآن الكريم هى كالاتى :

- ميلاده من غير أب ، وتأييده بروح القدس .
- يكلم الناس فى المهد .
- يخلق (يصنع) من الطين كهيئة الطير باذن الله فيكون طيرا باذن الله .
- يبرئ الأكمه والأبرص باذن الله .
- يخرج الموتى من القبور ويحييهم باذن الله .
- أنزل عليه مائدة من السماء كطلب الحواريين .

هذا ما ورد بشأن معجزات عيسى فى القرآن الكريم ، لكن كتبة الاناجيل درجوا على أن يبالغوا فى تعداد مرات تلك المعجزات وفى تكرار مراتها . بحيث خرجت عن نطاق المعجزة الغير متكررة الى نطاق الأمر الخارق المتكرر ، فما من مريض لمس عيسى أو لمسه الا وشفى من مرضه ، حتى لقد جاء المرضى والممسوسون من الشياطين والجن من كل صوب بغية الشفاء ، ولنورد ما جاء من معجزات بانجيل متى على سبيل المثال :

معجزات المسيح فى الأناجيل

جاء فى انجيل متى فى الاصحاح الثانى:

١- (ولما نزل من الجبل تبعته جموع كثيرة ، واذا أبرص قد جاء وسجد له قائلا: يا سيد - وفى الطبعة المنقحة يارب - ان أردت تقدر أن تطهرنى ، فمد يسوع يده ولمسه قائلا: أريد فاطهر ، وللوقت برأ برصه) (فقال له يسوع: أنظر أن لاتقول لأحد . بل اذهب أر نفسك للكاهن وقدم القربان الذى أمر به موسى شهادة لهم) ح ٨ ع ١ - ٨

وهذا الكلام الأخير الذى ورد عن لسان المسيح فيه شئ من الغرابة ، فهو يقول له اياك ان تخبر أحدا ، وفى نفس الوقت يقول له: اذهب واعرض نفسك على الكاهن . ليرى هذه المعجزة التى فعلتها . ثم يقول له وقدم القربان الذى أمر به موسى ، أى أرهم انك تتبع شريعة موسى ، ويشتم من هذا الكلام نوع من التبكيت أو الفخار كأنما يقول له: أرهم أنى قد فعلت ما لم يفعله سلفى موسى....

٢- (ولما دخل يسوع كفر ناحوم جاء اليه قائد مائه يتطلب ويقول: يا سيد غلامى مطروح فى البيت مفلوجا متعذبا جدا ، فقال له يسوع: انا آتى وأشفيه . فأجاب قائد المائة وقال: يا سيد أنا لست مستحقا أن تدخل تحت سقفى . لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامى - لأنى أنا أيضا انسان تحت سلطان ، فقال يسوع للذين يتبعونه: الحق أقول لكم لم أجد ولا فى اسرائيل ايمانا بمقدار هذا - ثم قال لقائد المائة: اذهب وكما آمنت ليكن لك . فبرأ الغلام فى تلك الساعة)

ح ٨ ع ٥ - ١٣

٣- (ولما جاء يسوع الى بيت بطرس رأى حماته مطروحة ومحمومة ، فلمس يدها فتركتها الحمى ، فقامت وخدمتهم) ح ٨ ع ١٤

٤- (ولما صار المساء قدموا اليه مجانين كثيرين فأخرج الأرواح بكلمة ، وجميع المرضى شفاهم ، لكى يتم ما قيل باشعياء النبى القائل: هو آخذ أسقامنا وحامل أمراضنا)
ح ٨ ع ١٦ - ١٧

٥- (فلما ركب السفينة تبعه تلاميذه واذ اضطراب عظيم قد حدث فى البحر حتى غطت الأمواج السفينة وكان هو نائما فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين ياسيد نجنا فاننا نهلك ، فقال لهم ما بالكم خائفين ياقليلى الايمان ، ثم قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم) ح ٢٣٨

٦- (فلما جاء الى العبرة - الضفة الأخرى - الى كورة الجرجسيين ، استقبله مجنونان خارجان من القبور هائجان جدا حتى لم يكن أحد يقدر أن يجتاز من تلك الطريق ... واذا هما قد صرخا قائلين: ما لنا ولك يا يسوع ابن الله اجئت الى هنا قبل الوقت لتعذبنا ، وكان بعيدا منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى فالشياطين طلبوا اليه قائلين ان كنت تخرجنا فأذن لنا أن نذهب الى قطيع الخنازير فقال لهم امضوا فخرجوا ومضوا الى قطيع الخنازير واذا القطيع كله قد اندفع من على الجرف الى البحر ومات فى المياه..)
ح ٨ ع ٢٨ - ٣٢

٧- (واذا مفلوج قد جاءوا به اليه مطروحا على فراش فلما رأى يسوع ايمانهم قال للمفلوج: اطمئن يا بنى مغفور لك خطاياك ... ثم قم احمل فراشك واذهب الى بيتك ، فقام وذهب الى بيته) ح ٩ ع ٢ - ٧

٨- (وفيما هو يكلمهم اذا رئيس قد جاء وسجد له قائلا قد ماتت الآن أبنتى لكن تعالى وضع يدك عليها فتحيا . فقام يسوع وتبعه هو وتلاميذه . ولما دخل يسوع بيت الرئيس رأى النادبين بالمزمار والجمع يصخبون ، فقال لهم ابتعدوا فان الصبية لم تمت ولكنها نائمة فسخروا منه فلما اخرجوا الجمع دخل وأمسك بيدها فقامت الصبية) ح ٩ ع ١٨ - ٢٥

٩- (واذا امرأة مصابة بنزف دم منذ اثنى عشر عاما قد جاءت من خلفه ولمست

طرف ردائه لأنها قالت فى نفسها لو اننى فقط لمست رداءه لشفيت ، فالتفت يسوع ورآها وقال لها تشجعى يا ابنتى ان ايمانك قد شفاك ، فشفيت من تلك الساعة) ٩٧ ع ١٩ - ٢٢

١٠- (واذا هناك رجل ذو يد يابسة ... ثم قال للرجل امدد يدك فمدها فعادت سليمه كالأخرى) ح ١٢ ع.١ - ١٣

١١- (ثم جئ اليه برجل كان به شيطان وكان أعمى وأخرس فشفاه حتى ان الأعمى الأخرس أبصر وتكلم)

١٢- (وحين كان المساء تقدم اليه تلاميذه قائلين: ان المكان قفر وقد فات الوقت فاصرف الجمع حتى يذهبوا الى القرى ويبتاعوا لأنفسهم طعاما ، فقال لهم يسوع لا حاجة بهم لأن يذهبوا أعطوهم انتم ليأكلوا ، فقالوا له ليس لدينا هنا غير خمس خبزات وسمكتين ، فقال هاتوها لى هنا ثم أمر أن يجلس الجمع على العشب وأخذ الخبزات الخمس والسمكتين ورفع نظره الى السماء وبارك وكسر وأعطى تلاميذه الخبزات فتناول التلاميذ الخبز والسمك للجمع فأكلوا كلهم وشبعوا ثم رفعوا من الكسر التى تبقت اثنتى عشرة قفة ممتلئة ، وكان الذين أكلوا خمسة آلاف رجل غير النساء والاطفال)

ح ١٤ ع ١٥ - ٢١

١٣- (وما لبث يسوع أن ألزم تلاميذه بأن ركبوا السفينة ويسبقوه الى الضفة الأخرى ريثما يصرف الجموع حتى اذا صرف الجموع صعد الى جبل منفرد ليصلى فلما جاء المساء كان هناك وحده ، أما السفينة فكانت فى وسط البحر وقد ابتعدت من البر نحو خمس وعشرين غلوة ، وكانت تتقاذفها الأمواج اذ كانت الريح مضادة لها. وفى الهزيع الرابع من الليل ذهب يسوع اليهم ماشيا على البحر فلما رآه تلاميذه ماشيا على البحر اضطربوا قائلين انه شبح وصرخوا من الخوف ، فكلمهم يسوع فى الحال قائلا: اطمئنوا انا هو لا تخافوا فأجابه بطرس وقال: يارب ان كنت أنت هو فمرنى أن آتى اليك على المياه ، فقال : تعالى ، فنزل بطرس من السفينة ومشى على المياه

آتيا الى يسوع ، ولكنه اذ رأى الريح عاصفة خاف واذ بدأ يغرق صرخ قائلا: يارب نجنى فمد يسوع فى الحال يده وامسكه وقال له ياقليل الايمان لماذا شككت حتى اذا ركب السفينة سكنت الريح ، فجاء الذين كانوا فى السفينة وسجدوا وقالوا حقا أنت ابن الله)

ح ١٤ ع ٢٢ - ٣٤

١٤- (ثم ذهب يسوع من هناك ومضى الى نواحى صور وصيدون . واذا امرأة كنعانية قد خرجت من تلك النواحى تصرخ قائلة: ارحمنى يارب ياابن داود ، ان ابنتى بها شيطان يعذبها عذابا اليما ، أما هو فلم يجبها بكلمة . وتقدم اليه تلاميذه ورجوه قائلين: اصرف هذه المرأة فانها لاتفتأ تصيح فى اثرنا فأجاب وقال ما أرسلت الا الى الخراف الضالة من بيت اسرائيل . فجاءت اليه وسجدت قائلة: يارب أعنى . أما هو فاجاب وقال: لا يليق ان يؤخذ خبز البنين ويلقى للكلاب[١] فقالت: حقا يارب ولكن الكلاب تأكل من الفتات الذى يسقط من موائد اربابها فأجاب يسوع وقال لها: ايتها المرأة عظيم هو ايمانك فليكن لك ما تريدين فشفيت ابنتها فى تلك اللحظة نفسها)

ح ١٥ ع ٢١ - ٢٨

١٥- (ثم دعا يسوع تلاميذه وقال: اننى اشفق على هذا الجمع لان لهم الآن ثلاثة أيام وليس لديهم ما يأكلون ولا أريد أن أصرفهم صائمين لئلا تخور قواهم فى الطريق...) وتتكرر قصة الخبز القليل والسمك المحدود حيث يطعم منه أربعة آلاف رجل غير النساء والاطفال[٢] بينما مرقس وقف عند العدد أربعة آلاف دون أن يذكر مزيدا من النساء أو الأطفال ،كما اختلف المكان الذى ذكر انه ذهب اليه فذكر متى انه نواحى مجدل بينما ذكر مرقس انه ما اسماه دلمانوثة .

متى ح ١٥ ع ٣٩ مرقس ح ٨ ع ١ - ٩

---

(١) تفكير يهودى إن فيه تفرقة عنصرية بين من هم من بنى إسرائيل ومن هم من الكنعانيين وهذا لا يليق بالمسيح الذى ينادى : الله محبة .

(٢) ولماذا لم يعدوا النساء والاطفال ، اليسوا ادميين ؟

١٦- (...... وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم على انفراد الى جبل مرتفع ثم تغيرت هيئته متجليا أمامهم فأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور واذا موسى وايليا قد ظهرا لهم يخاطبانه فأجاب بطرس وقال ليسوع: يارب حسن لنا أن تكون هنا فان شئت فدعنا لنضع هنا ثلاث مظال واحدة لك وواحدة لايليا وواحدة لموسى . وفيما هو يتكلم اذا سحابة من النور غمرتهم واذا صوت من السحابة يقول: هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت فله اسمعوا)

متى ح ١٧ ع ١ - ٥

١٧- (...... وفيما هم خارجون من أريحا تبعه جمع عظيم . واذا أعميان كانا جالسين على جانب الطريق سمعا أن يسوع مجتاز فصرخا قائلين: يارينا يا ابن داود ارحمنا فانتهرهما الجميع ليسكتا ولكنهما ازدادا صراخا قائلين: يارينا يا ابن داود ارحمنا . فتوقف يسوع ودعاهما وقال: ماذا تريدان أن أفعل لكما قالا له يارب أن تفتح أعيننا ، فتحنن عليهما ولمس اعينهما ففى الحال أبصرا وتبعاه)

ح ٢٠ ع ٢٩ - ٣٤

وبالرغم من أنه من المعروف أن الاناجيل منقول بعضها عن البعض الآخر - خاصة فيما يتعلق بأناجيل متى ومرقس ولوقا - فان هناك اختلافات جوهرية بينها فيما يتعلق بمعجزات المسيح فرغم أن بعض العبارات تكاد تكون هى بالنص فى الأناجيل المذكورة الا بعض الاختلافات الجوهرية لا فى الاسلوب فقط وانما فى الوقائع ذاتها . أما انجيل يوحنا فان ما ورد به يختلف كلية فى النص وفى المضمون عما ورد بالأناجيل الثلاثة الاخرى ، بل لقد أغفل كثيرا من المعجزات التى ذكرتها تلك الاناجيل ، كما أورد معجزات لم تذكرها تلك الاناجيل . مثال ذلك معجزة الخمر كما سيرد ذكره فيما بعد .

الاختلاف بين الأناجيل فيما يتعلق بالمعجزات:
أخراج الشياطين ممن بهم مس:

متى: اصحاح ٨ : (ولما جاء الى العبر الى كورة الجرجسيين استقبله مجنونان خارجان من القبور ....) الى آخر ما ورد بالمعجزة رقم ٦ .

مرقس: اصحاح ٥ : أما انجيل مرقس فقد وردت به هذه الواقعة بشئ من الاختلاف ، ففى حين ذكر فى متى انهما مجنونان ، ذكر مرقس انه مجنون واحد مع اختلاف المكان ...

(وجاءوا الى عبر البحر الى كورة الجدريين ولما خرج من السفينة للوقت استقبله من القبور انسان به روح نجس[1] كان مسكنه فى قبور ولم يقدر أحد أن يربطه ولا بسلاسل ، لأنه قد ربط كثيرا بقيود وسلاسل وكسر القيود فلم يقدر أحد أن يذلله. وكان دائما ليلا ونهارا فى الجبال وفى القبور يصيح ويجرح نفسه بالحجارة ، فلما رأى يسوع من بعيد ركض وسجد له وصرخ بصوت عظيم وقال: مالى ولك يا يسوع ابن الله العلى . استحلفك بالله لا تعذبنى لأنه قال له اخرج من الانسان يا أيها الروح النجس وسأله ما اسمك فأجاب قائلا اسمى لجئون ... لأننا كثيرون وطلب اليه كثيرا ان لا يرسلهم الى خارج الكورة)

ع ١ - ١٣

ثم تأتى عملية الخنازير وتقمص الارواح فيها ونزولها الى البحر وغرقها كما فى انجيل متى .

لوقا: اصحاح ٨ : (وساروا الى كورة الجندريين التى فى مقابل الجليل ، ولما خرج الى الأرض - استقبله رجل من المدينة كان فيه شياطين منذ زمان طويل وكان لا يلبس ثوبا ولا يقيم فى بيت بل فى القبور ...)

ع ٢٦ - ٣٤

وتستمر الرواية كما فى الانجيلين الآخرين تقريبا .

ورغم هذه الاختلافات فقد تشابهت الروايات الثلاث حتى فى اللفظ الذى تلفظ به المجنون ، مالى ولك يا يسوع ابن الله العلى ، وأيضا فى واقعة الخنازير وهلاكها فى البحر بعد أن تقمصتها الشياطين .

كما يلاحظ أن الأناجيل جميعها انما تفسر الجنون بانه مس من الشياطين ، ومعلوم ان الجنون مرض نفسى يمكن ابراؤه بالطب النفسى ، أما ماورد فى الاناجيل فهو يشبه ما يلجأ اليه كثير من العوام الذين يلجأون الى الزار على أنه مس من الجن أو العفاريت وهذا عمل المشعوذين.

ابراء مغلوج:

متى: اصحاح ٩ عبارة ٢ - ٧ : (.... واذا مفلوج يقدمونه اليه مطروحا على فراش ، فلما رأى يسوع ايمانهم قال للمفلوج: ثق يابنى ... مغفورة لك خطاياك قم احمل فراشك واذهب الى بيتك فقام ومضى الى بيته)

مرقس: اصحاح ٢ عبارة ١ - ١١ : (.... ثم دخل كفر ناحوم ايضا بعد أيام ... وجاءوا اليه مقدمين مفلوجا يحمله أربعة واذ لم يقدروا ان يقتربوا اليه من اجل الجموع كشفوا السقف حيث كان ، وبعد ما نضبوه دلوا السرير الذى كان المفلوج مضجعا عليه فلما رأى يسوع ايمانهم قال للمفلوج: يا بنى مغفورة لك خطاياك قم واحمل سريرك واذهب الى بيتك فقام للوقت وحمل السرير وخرج قدام الكل ...)

لوقا: اصحاح ٥ عبارة ١٨ - ٢٦ : وتتشابه مع مرقس فى انهم دلوه من السقف

يوحنا: اصحاح ٥ عبارة ٥ : (وكان هناك انسان به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة هذا رآه يسوع مضطجعا وعلم ان له زمانا كثيرا فقال له أتريد ان تبرأ؟ فاجابه المريض: يا سيد ليس لى انسان يلقينى فى البركة متى تحرك

الماء ، بل بينما انا آت ينزل قدامى آخر ، قال له يسوع قم احمل سريرك وامشى فحالا برئ الانسان وحمل سريره ومشى)

وهكذا نرى ان الروايات الثلاث قد اختلفت فى الأناجيل الأربعة ، فبينما متى ويوحنا لايذكران شيئا عن السقف ، بل فى الاول قدموا المفلوج اليه حيث هو ، نجد أنه فى الاخير وجده يسوع مستلقيا بجوار بركة ماء ينتظر ان يتحرك ماؤها حتى يكون أول من يلقى نفسه فيها ، ولكن نظرا لشلله فان الآخرين يسبقونه حيث بقى على حاله تلك ثمان وثلاثين سنة حتى جاءه يسوع فأبرأه . أما فى الثانى والثالث فنجد ان حاملى سرير المفلوج لم يستطيعوا أن يصلوا الى المسيح لتكدس الناس مما اضطر حاملى السرير ان ينقبوا السقف ليدلوا الرجل المريض بسريره ، وعندما برأ المفلوج باشارة من المسيح لم يمنعه زحام الناس على الباب ان يخرج حاملا سريره على كتفه . فالروايات الثلاث مختلفة كل الاختلاف وان تشابهت فى اثنتين من حيث ثقب السقف ، وتشابهت فى الثلاث فى قول المسيح يابنى مغفورة لك خطاياك .

شفاء الأعمى:

وقد وردت فى شفاء العمى روايات متضاربة اليك بعضها:

متى: اصحاح ٢٠ عبارة ٢٩ - ٣٣ : (فيما هم خارجون من اريحا تبعه جمع كبير واذا أعميان جالسان على الطريق فلما سمعا ان يسوع مجتاز صرخا قائلين: ارحمنا ياسيد يا ابن داود ، فانتهرهما الجمع ليسكتا فكانا يصرخان اكثر قائلين: ارحمنا ياسيد يا ابن داود ، فوقف وناداهما وقال ماذا تريدان ان أفعل بكما فقالا له ياسيد أن تتفتح أعيننا فتحنن يسوع ولمس أعينهما فللوقت أبصرت أعينهما فتبعاه)

أما فى مرقس فقد وردت روايتان يتحدث فى كل منهما عن أعمى واحد واليك هما .

مرقس: اصحاح ١٠ ع ٤٦ - ٥٢ : (وجاءوا الى أريحا وفيما هو خارج من أريحا مع تلاميذه وجمع غفير ، كان بارتيماس الأعمى ابن تيماوس جالسا على الطريق يتعطى فلما سمع أنه يسوع الناصرى ابتدأ يصرخ ويقول : يا يسوع بن داود ارحمنى فوقف يسوع وأمر أن ينادى ، فنادوا الأعمى قائلين له ثق قم هو ذا يناديك فطرح رداءه وقام وجاء الى يسوع فاجاب يسوع وقال له ماذا تريد ان افعل بك فقال له الأعمى يا سيد أن أبصر فقال له يسوع: اذهب ايمانك قد شفاك فللوقت أبصر وتبع يسوع فى الطريق)

وهذه الرواية تتشابه الى حد كبير مع متى فيما عدا عدد العميان .

مرقس الثانية: اصحاح ٨ عبارة ٢٢ - ٢٨ : (وجاء الى بيت صيدا فقدموا اليه أعمى وطلبوا اليه أن يلمسه فأخذ بيد الأعمى وأخرجه الى خارج القرية وتفل فى عينه ووضع يديه عليه وسأله أتبصر شيئا فتطلع وقال: أبصر الناس كأشجار يمشون ثم وضع يده أيضا على عينه وجعله يتطلع فعاد صحيحا وأبصر كل انسان جليا فأرسله الى بيته قائلا: لا تدخل القرية ولاتقل لأحد فيها .

يوحنا: اصحاح ٩ ع ١ : (وفيما هو مجتاز رأى انسانا أعمى منذ ولادته فسأله تلاميذه قائلين:يا معلم من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى ، أجاب يسوع: لا هذا ولا أبوه ولكن لتظهر أعمال الله فيه ، ينبغى أن أعمل أعمال الله فيه الذى أرسلنى مادام نهار يأتى ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل . مادمت فى العالم فأنا نور العالم . قال هذا وتفل على الارض وصنع من التفل طينا وطلى بالطين عين الأعمى وقال له اذهب اغتسل فى بركة سلوام ... فمضى واغتسل وأتى بصيرا ...)

هكذا - مع بعض التشابه - نجد الاختلاف بين الروايات الأربع فبينما فى الاولى قدم اليه الناس شخصا أعمى نجد فى الروايات الثلاث الأخرى انه رآهم وهو يمر وبينما المريض فى روايتى مرقس ويوحنا مريض

أعمى واحد اذا هو فى رواية متى أعميان اثنان ثم نجد أن مرقس فى روايته الثانية يسمى الأعمى باسمه . ونجده فى روايتين قد تفل احداهما فى عين الأعمى والأخرى على الارض حيث صنع منه طينا وضعه على عين الأعمى بينما هو فى الروايات الاخرى لم يحتج الى مادة خارجية يضعها على عينه وانما اكتفى بلمسه من يده .

ومع هذه الفروق تستلفت النظر عبارة مكررة فى اثنتين من الروايات بنصهما حيث يقول مرقس على لسان المسيح "ماذا تريد أن أفعل بك" وترد نفس العبارة فى انجيل متى ولكن بالنسبة لشخصين ، ألا وهى "ماذا تريدان أن أفعل بكما" وان دل هذا على شئ فانما يدل على أن كاتب أحد الانجيلين قد نقل عن الآخر ولكن بشئ من التصرف من عندياته .

ثم ها نحن نجد أن متى يروى رواية ثانية عن أعميين آخرين قد تبعا المسيح يصرخان قائلين : (ارحمنا يا ابن داود . ولما جاء الى البيت تقدم اليه الأعميان فقال لهما يسوع أتؤمنان انى أقدر أن أفعل هذا قالا نعم يا سيد حينئذ لمس أعينهما قائلا بحسب ايمانكما ليكن لكما فتفتحت اعينهما) (متى ح ٩ ع ٢٧ - ٣٠.) ثم يزيد على ذلك بأن ينتهرهما قائلا: (أنظر لا يعلم أحد) يقول ذلك لهما بينما هو يفعل معجزاته على ملأ من الناس . فالناس كلهم شهود عليها بل انه فى بعض الاحيان يحرضهماعلى اشاعة ذلك عندما قال للأبرص (اذهب وأر الكاهن وقدم القربان)

إحياء الموتى :

ونجد أيضا إختلافا كبيرا بين الاناجيل فى روايات احياء الموتى .

متى : اصحاح ٩ عبارة ٢٨ : (وفيما هو يكلمهم بهذا اذا رئيس قد جاء فسجد له قائلا : ان ابنتى الآن ماتت لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا فقام يسوع وتبعه هو وتلاميذه ... ولما جاء يسوع الى بيت الرئيس ونظر المزمرين والجميع يصخبون قال لهم تنحوا فان الصبية لم تمت بل هى نائمة فضحكوا عليه فلما أخرج الجميع ودخل وأمسك يدها فقامت الصبية فخرج ذلك الخبر الى الارض كلها .)

مرقس : اصحاح ٥ ع ٢١ : (ولما اجتاز يسوع فى السفينة أيضا الى العبر اجتمع اليه جمع كبير وكان عند البحر واذا واحد من رؤساء المجمع اسمه بايروس جاء ولما رآه خر عند قدميه وطلب اليه كثيرا قائلا : ابنتى الصغيرة على آخر نسمة ليتك تأتى وتضع يدك عليها لتشفى فتحيا . فمضى معه وتبعه جمع كبير وكانوا يزاحمونه . وبينما هو يتكلم جاءوا من دار رئيس المجمع قائلين : ابنتك ماتت لماذا تتعب المعلم بعد ... فقال يسوع لرئيس المجمع لا تخف آمن فقط ، ولم يدع أحدا يتبعه الا بطرس ويعقوب ويوحنا أخا يعقوب فجاء الى بيت رئيس المجمع رأى ضجيجا يبكون ويولولن كثيرا فدخل وقال لهم لماذا تضجون وتبكون لم تمت الصبية ولكنها نائمة فضحكوا عليه . أما هو فأخرج الجميع وأخذ أبا الصبية وأمها والذين معه ودخل حيث كانت الصبية مضطجعة وأمسك بيد الصبية وقال لها : طليثا قومى - الذى تفسيره يا صبية أقول لك قومى ، وللوقت قامت الصبية ومشت لأنها كانت إبنة إثنى عشرة سنة؟ فأوصاهم كثيرا ان لا يعلم أحد بذلك .)

لوقا : ح ٧ ع ١١ - ١٥ :أما لوقا فيحكى رواية مختلفة (وفى اليوم التالى ذهب الى مدينة تدعى نايين وذهب معه كثيرون من تلاميذه وجمع كثير فلما إقترب الى باب المدينة اذا ميت محمول ابن وحيد لأمه وهى أرملة ومعها جمع كثير من المدينة فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها لا تبكى ثم تقدم

ولمس النعش فوقف الحاملون فقال ايها الشاب لك أقول قم .فجلس الميت وإبتدأ يتكلم فدفعه الى أمه .)

يوحنا :ح ١١ ع ١ : وأما رواية يوحنا فمختلفة أيضا عن الروايتين (وكان إنسانا مريضا وهو لعازر من بيت عينا من قرية مريم ومرتا أختها وكانت مريم التى كان لعازر أخوها مريضا هى التى دهنت الرب بطيب ومسحت رجليه بشعرها . فأرسلت الاختان اليه قائلتين : هو ذا الذى تحبه مريض . فلما سمع يسوع قال هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله ليتمجد ابن الله به وكان يسوع يحب مرتا وأختها ولعازر . فلما سمع انه مريض مكث حينئذ فى الموضع الذى كان فيه يومين ... وبعد ذلك قال لهم : لعازر حبيبنا قد نام لكنى أذهب لأوقظه . فقال تلاميذه يا سيد ان كان قد نام فهو يشفى وكان يسوع يقول عن موته وهم ظنوا انه يقول عن رقاد النوم . فقال لهم يسوع حينئذ علانية لعازر مات وإنى أفرح لأجلكم لأنى لم أكن هناك اتؤمنوا ولكن لنذهب اليه)

(فلما أتى يسوع وجد انه قد صار له أربعة أيام فى القبر ... فلما سمعت مرتا ان يسوع آت لاقته فقالت يا سيد لو كنت هنا لم يمت أخى لكنى الآن أعلم ان كل ما تطلب من الله يعطيك الله اياه . فقال لها يسوع سيقوم أخوك ... قالت له أنا أعلم انه سيقوم فى القيامة فى اليوم الأخير . قال لها يسوع أنا هو القيامة والحياة من آمن بى ولو مات فسيحيا وكل من حيا وآمن بى فلن يموت الى الابد؟)

(فلما رآها يسوع تبكى واليهود الذين جاءوا معها يبكون انزعج بالروح واضطرب ... فإنزعج يسوع أيضا فى نفسه وجاء الى القبر وكان مغارة وضع عليها حجر . قال يسوع إرفعوا الحجر فقالت مرتا أخت الميت : يا سيد قد أنتن لأن له أربعة أيام ، قال لها يسوع ألم أقل لك ان آمنت ترين مجد الله فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا .. وصرخ بصوت عظيم : لعازر هلم خارجا فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطتان بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل .)

ونحن كمسلمين نؤمن بأن المسيح قد أذن له الله ان يخرج الموتى ويحييها ولكن ايرادنا لهذه الروايات جميعا انما لندلل على الاختلاف البين بين الاناجيل الاربعة التى إعتمدتها الكنيسة فى العقيدة الواحدة فهى لم تتفق على تفاصيل رواية واحدة أو حتى على مضمونها وانما لكل منها رواية تختلف عن الاخرى . ذلك إنه إذا رأى عدة أشخاص حدثا ما ثم طلب من كل منهم ان يصفه فلا تتوقع ان تأتى روايات كل منهم نسخة طبق الاصل من كلمات الآخر ، لكن جوهر الحدث فى جملته وفى تفصيله لا يختلف . أما إذا سمعوها فقد يحدث بعض الاختلاف الطفيف بينهم إستنادا الى إحتمال اختلاف قوة التصور عند كل منهم ولا تتناول هذه الاختلافات جوهر الرواية .

أما إذا رأينا إختلافا جوهريا فقد يكون مرد ذلك ان القصة مختلقة أو ان الراوى قد أضاف من عنده إضافات ليس لها فى الواقع أساس من الصحة . يريد بها الراوى ان يقوى من روايته أو يقنع بها سامعيه وقارئيه . فيأتى بواقعة لم يذكرها غيره وان دل هذا على شئ فانما يدل فى أحسن الفروض على ضعف الرواية ان لم يكن نفيها بالكلية .

معجزة الخمر كما جاءت فى إنجيل يوحنا

يوحنا : اصحاح ١ ع ١ - ٩ : (وفى اليوم الثالث كان عرس فى قانا الجبل وكانت أم يسوع هناك ودعى أيضا يسوع وتلاميذه الى العرس ، ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له : ليس لهم خمر فقال لها يسوع : مالى ولك يا إمرأة لم تأت ساعتى بعد . قالت أمه للخدام : مهما قال لكم فافعلوه ... وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود ، يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة . قال لهم يسوع إملأوا الاجران ماء فملأوها الى فوق ثم قال لهم إستقوا الان . وقدموا الى رئيس المتكأ فقدموا فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمرا ولم يكن يعلم من اين هى دعا رئيس المتكأ العريس وقال له : كل انسان انما يصنع الخمر الجيدة أولا ومتى سكروا فحينئذ الدون ، أما انت فقد أبقيت الجيدة الى الآن .) ويوحى بذلك الى جودة الخمر التى حولها عيسى من الماء .

وهذه هى المعجزة التى لم يرد ذكرها الا فى انجيل يوحنا فلم تذكر أى من الاناجيل الاخرى شيئا عنها ، وان كان شرب الخمر ليس شيئا منكرا فيها جميعا بل يفهم من انجيل لوقا ان المسيح نفسه كان معتادا شرب الخمر ، فقد ورد فى الاصحاح السابع ع ٣٢١ :

(ثم قال الرب : فبمن أشبه اناس هذا الجيل وماذا يشبهون ، يشبهون أولادا جالسين فى السوق ينادون بعضهم بعضا ويقولون زمرنا لكم ولم ترقصوا ، نحنا لكم فلم تبكوا لأنه جاء يوحنا المعمدان ان لا يأكل خبزا ولا يشرب خمرا فتقول به شيطان - "ابن الانسان يأكل ويشرب فتقولون هوذا أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطأة .) وهذا النعت المقصود به المسيح اذ هو ينعت نفسه فى كثير من الاحيان بـ"ابن الانسان" كما انه هو المعنى بعبارة "محب للعشارين والخطأة .

فإذا عرفنا ان كلا من لوقا ويوحنا هما من أتباع شاءول -بولس الرسول- ومن تلاميذه ومريديه ، لأدركنا لماذا ينسبان الى المسيح شرب الخمر . لقد وصف بولس الرسول نفسه بأنه "يهودى فريسى ابن فريسى"

وقد كان فى أول أمره متزمتا ضد المسيحية وضد دعوة المسيح حتى لقد كان يهاجم الكنائس ليخرج منها أتباع المسيح ليسلمهم للشرطة . فإذا لقيهم بالطريق أتى بهم مكبلين بالسلاسل والحبال ليزج بهم فى السجون ، وهداه تفكيره فى نهاية الامر الى ان يتظاهر بدخول المسيحية حتى تتاح له الفرصة لتدميرها من الداخل . فلا غرابة ان ينسب للمسيح وهو النبى المختار من الله لارشاد الخلق ، انه مدمن للخمر ، والخمر مذهبة للعقل مضيعة للخلق الرزين رالتصرف السليم ، وقد رأينا من قبل ونحن نتكلم عن سفر التكوين كيف ان بنات لوط حين أردن ان يضاجعن أباهن لينجبن منه ذرية - على حد قول التوراة - ، قد سقينه الخمر حتى لا يدرك ما يفعل - وما يليق هذا بنبى مرسل لهداية الناس . وقديما قالوا بحق "أن الخمر أم الكبائر"

معجزات المسيح فى الاناجيل

المعجـزة	متى	مرقس	لوقـا	يوحنا
١- شفاء الابرص	٤-١:٨	٥٠-٤٠:١	١٥-١٢:٥	—
٢- شفاء غلام قائد المائة	١٣-٥:٨	—	١٠-١:٧	٥٢-٤٦:٤
٣- شفاء حماة بطرس	١٤:٨	٣١-٢٩:١	٣٩-٣٨:٤	—
٤- شفاء المجانين	١٧-١٦:٨	—	—	—
٥- اخراج الشياطين من المجنونين الخارجين من القبور	٣٢-٢٨:٨	—	—	—
اخراج الشياطين من مجنون واحد وتسكينهم فى الخنازير	—	١٣-=:٥	٣٤-٢٧:٨	—
٦- تحويل إضطراب البحر الى هدوء.	٢٣:٨	٤١-٣٧:٤	٢٥-٢٢:٨	—
٧- ابراء المفلوج وحمل فراشه	٧و٢:٩	—	—	٩-٧:٥
ابراء المفلوج عن طريق ثقب السقف.	—	٧-٣:٢	٢٥-١٨:٥	—
٨- احياء فتاة إبنة رئيس المجمع	٢٥و١٨:٩	٤٣-٢٢:٥	—	—
احياء ميت محمول على نعش	—	—	١٥-١١:٧	—
احياء لعزر بعد موته ودفنه	—	—	—	٤٤-١:١١
٩- ابراء إمرأة مصابة بنزف دم	٢٢-١٩:٩	٢٩-٢٥:٥	٤٨-٤٣:٨	—
١٠- ابراء صاحب اليد اليابسة	١٣و١٠:١٢	٥-١:٣	١٠-٦:٦	—
١١- شفاء الأعمى والأخرس	٢٢:١٢	٣٥-٣٢:٧ ٢٦-٢٢:٨ ٥٢-٤٦:١٠	١٤:١١	٧-١:٩
١٢- إطعام ... ٥ من خمسة أرغفة وسمكتين	٢١-١٥:١٤	٤٤-٣٥:٦	١٧-١٢:٩	١٣-١:٦
١٣- إطعام ... ٤ من خبز وسمك قليل	٣٩:١٥	٩-١:٨	—	—
١٤- المسيح يمشى على الماء	٣٤-٢٢:١٤	٥١-٤٧:٦	—	٢١-١٦:٦
١٥- شفاء إبنة المرأة الكنعانية	٢٨-٢١:١٥	٢٩-٢٥:٧	—	—
١٦- التجلى	٥-١:١٧	٨-٣:٩	٢٥-٢٤:٩	—
١٧- تحويل الماء فى العرس الى خمر	—	—	—	-١:٢
١٨- شفاء أعميين	٣٤-٢٩:٢٠	—	—	—
شفاء أعمى واحد (بارتيماوس)	—	٥٢-٤٦:١٠	—	—
شفاء عمى التفل فى عينيه	—	٢٦-٢٢:٨	—	—
شفاء أعمى بالتفل فى الارض ودهان عينه بالطين	—	—	—	٧-١:٩
١٩- إخراج الروح النجس	—	٢٤:١	—	—
إخراج الروح من الأخرس والأصم	—	٢١-١٧:٩	—	—
إخراج الشيطان من رجل بالمجمع	—	—	٢٥-٢٣:٤	—
٢٠- جفاف شجرة التين	—	١٤-١٢:١١	—	—
٢١- سمعان وصيد السمك بالسفينتين	—	—	١١-١:٥	—
٢٢- إبراء إمرأة مشلولة نصف منحنية	—	—	١٣:١١:١٣	—

هذه أمثلة فقط للاختلافات بين الاناجيل المختلفة فيما يتعلق بالمعجزات

الفصل الرابع عشر

رد على أقوال المتعصبين

- الله موجود فى كل الوجود، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.
- هل رأى المسيح الله ؟ هل خلقنا لنعبد الله ؟
- (الله الآب) لا يميت بل يحيى !! ولكن الله - جلت قدرته- يحيى ويميت .
- هل يسمع الله الصلاة وهل يجيب الدعاء ؟
- تساؤلات اثارها رجل متشكك فى كتابه "صورة الله" والرد عليها .

الله موجود فى كل الوجود
ولكن

"لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار
وهو اللطيف الخبير"
قرآن كريم

رد على كتاب "صورة الله" لمؤلفه مكس ميشيل

لعل من أغرب ما قرأت كتاب بعنوان "صورة الله" طبع فى سنة ١٩٨١، ونشرته دار العالم العربى للطباعة بالقاهرة ، كتب فيه ما يأتى بالحرف الواحد(١):

"أرنى الله لأعرف أنه موجود ، وإذا كان موجودا ولكن لا تدركه الأبصار ، فأرنى أنه موجود يحبنى ويهتم بى. ليكن الله موجودا ولكن أن وجوده بلا معنى لى ولاحتياجاتى ، وهو لا يهتم بى ، فما معنى وجوده أو عدم وجوده بالنسبة لى؟

"ليكن الله قويا وهو على كل شئ قدير ، ولكن ما فائدة أو قيمة مقدرته اللانهائية بالنسبة لىّ إن لم يحرك ساكنا يوما تجاه احتياجاتى وأمراضى وهمومى وأحزانى ، وكيف تطالبنى أن أعبد إلها لا تربطنى به صلة محبة ولا يتجاوب مع احتياجاتى ولم يفعل شيئا لأجلى سوى أنه خلقنى لأحيا فى كبد عالم كله شقاء ؟"

وهذا هو ما افتتح به مؤلف الكتاب كتابه ، بل وزاد عليه قائلا:

"أرنى الله ودعنى أتحدث إليه وهو يتحدث إلىّ ، فأسأله ويجيب علىّ.. إلى آخر ما سطر سيادته من ترهات فكأن الله لم يخلق غيره ، أو

(١) لمؤلف اسمه "مكسى ميشيل" .

خلق من أمثاله عشرة أو ألفا ، حتى يجيب لكل منهم على أسئلته. وهو بهذه العبارات إنما ينظر إلى الله من زاويته هو وعلى ضوء منافعه ، وكأنما هو قد خلق بإرادته أو رهن مشيئته الشخصية ، فإن كان الأمر كذلك ولا تعجبك الحياة التى منحك الله إياها فأخرج منها إن استطعت ، ومن تظن نفسك هل أنت محور الأشياء ، وقديما قالوا رحم الله امرءا عرف قدر نفسه. هل تعرف من أنت بالنسبة لهذا الكون ، إنك لا تعدل بعوضة عند الله. هل جئت يا أخى باختيارك ، أو باختيار والديك ، وإذا لم تكن قد جئت باختيارك ولا بإرادتك فانظر أولا كيف جئت ، وإذا كان مجيئك لا يعجبك ، فأخرج منها إن استطعت بغير إذن من الله خالقك ومالك مصيرك. ستقول ما أيسر أن أنتحر ، فهيا أفعل إن كنت صادقا وأعلم بأن الله أن لم يرد لك الموت فلن تموت مهما حاولت.

فإذا كنت قد أتيت بغير اختيارك وستترك الدنيا بغير اختيارك أيضا ، إذن فأعلم أنك فى مسألة الحياة والموت ، لا إرادة لك ، وإنما الإرادة هى لله وحده. ثم هل أنت الذى أردت أن تولد ذكرا ، وهل فى استطاعتك أن تغير نوعك ، إن كنت صادقا فأفعل ، ودعنا نراك فى الصورة الأخرى. ثم هل أنت الذى اخترت لنفسك أن تكون باللون الذى أنت عليه ، أبيض أو أسود ، أشقر أم أسمر طويلا أم قصيرا ، بدينا أم نحيفا ؟ وهل أنت الذى أخترت لنفسك أن تولد فى القاهرة أو فى أسيوط ، أو فى النمسا أو فى السودان ؟ فلماذا إذن لا تلتزم الأدب ؟

انظر إلى نفسك من الداخل ، هل تستطيع أن تتحكم فى كبدك فيفرز الصفراء بالكمية التى تريدها ، وهل تتحكم فى قلبك فيدفع الدم فى شرايينك بالقدر الذى تريده ثم تعال إلى أمر أيسر من هذا ، أنك تستطيع أن تتحكم فى كمية الطعام التى تدخل معدتك - سنفترض أنك تستطيع - فهل تستطيع أن تتحكم فى كمية الفضلات التى تخرج منك ، ومتى وكيف ؟ ولو أمسكت امعاؤك عن إخراج ما دخل بها من طعام فهل أنت

تستطيع أن تتحكم فيها لتؤدى عملها ؟ حتى هذا لا تستطيع أن تفعله أو تتحكم فيه ، إذن فأشكر نعمة ربك ، وتحدث عنه بما يليق من أدب[١].

ثم بعد ذلك تعال يا أخى نناقش الموضوع بهدوء ، هل خلقت هذه الدنيا لك وحدك ، وهل تطلب من الله أن يرعاك وحدك دون سائر مخلوقاته ؟ وإذا ذهبت يوما لمقابلة وزيرا أو كبير وكان معك ألف شخص كلهم يريد أن يقابله فى نفس الوقت ، أفلا تنتظر دورك ، وإذا دخلت ووقفت أمامه أفتملك أن تتحدث إلا إذا أذن لك ، فما بالك وأنت تتحدث مع الله خالقك ، أفلا يجدر بك أن تتحدث إليه بما يليق بمقامه من جلال ومهابة ؟

تريد أن ترى الله وتحادثه ويحادثك ، ألم تقرأ قول موسى - نبى الله ومبعوثه إلى خلقه حين قال "رب أرنى أنظر إليك. قال لن ترانى ، ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا" موسى النبى يخر صعقا من خشية الله ولا يستطيع أن يراه لعظم طلعته جل جلاله ، وأنت تريد أن تراه ، وهب أنك تقول ذلك على لسان البشرية ونيابة عنها جميعا ، فهل رآه أحد من أنبيائه وهم صفوة خلقه سبحانه "يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار" ثم هل تتحمل أنت أن ترى الله. هل تستطيع أن تنظر إلى الشمس - وهى إحدى صنائع الله - لتعد كم بقعة شمسية بها ركز نظرك فى الشمس لمدة عشر دقائق وأرنى هل ستعود ببصرك سليما. أنك لا تستطيع أن تطيل النظر إلى الشمس ، فهل تقوى على مقاومة صاعقة السماء إن انقضت عليك. هذه صنائع الله فكيف بك تريد أن ترى الله ؟ صانع هذا كله ؟

إن الله نور ليس كالنور الذى عهدته ، يذهب نوره بالأبصار ، وهو قوة ليس كالقوى التى عهدتها ، هل تستطيع أن تمسك بالتيار الكهربائى ،

---

(١) روى عن احد الملوك إنه لما لم يستطيع ان يتبرز تنازل عن نصف ملكه فى مقابل ان يخرج من معدته فضلات الطعام . فانظر كم يساوى ملكه كله .

وهل تراه ؟ فى سريانه هل ترى الأثير الذى يحمل إليك صور التليفزيون ، هل ترى الروح وهى تخرج من أبيك أو أمك عند موتهما ، بل هل ترى اليقظة وهى تتركك حين تنام ، فكيف بك تريد أن ترى الله!

وتأمل ما جاء بالقرآن الكريم عن قوم موسى ، حين سألوه نفس السؤال:

"وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون" البقرة ٥٥

أخذتهم الصاعقة لمجرد قولهم هذا ، ليس لأن الله قد تبدى لهم ، ولكن الله كان بهم رؤوفا رحيما:

"ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون". البقرة ٥٦

فهل أنت مصرٌ على "أن ترى الله ؟ وهل تظن الله كائنا ماديا ملموسا باستطاعتك أن تراه بعينيك ، أو تتحسسه بيديك ، أو تسمعه بأذنيك. كلا يا أخى فى الإنسانية ، إنك لن تستطيع ، وتستطيع أن تراه فقط "بقلبك وبإيمانك" فإذا آمنت بالله فستجده فى كل مخلوقاته ، ستجده فى كل ما حولك ، بل ستجده فى نفسك حين تتحسس جسدك بأصابعك فحينما تتحرك أصابعك فهذه الحركة من فعل الله ، وحينما تحس بدفء جسدك ، فإن هذا الشعور هو من فعل الله ، وحين تنصت إلى دقات قلبك ، فإن هذه االدقات هى من صنع الله وإرادته ، إن الله نراه ليس بذاته ولكن بمخلوقاته ، ونعرفه بقدراته. وآياته[1].

---

(١) اقرا الفصل الخاص - الله نعرفه من قدراته .

فإذا كنت لا تصدق بوجود الأشياء إلاّ إذا رأيتها بعينيك ، فأرنى الألم الذى فى عينيك حين أضغط عليها بأصبعى ، وأرنى القلق فى نفسك حين يغيب ولدك عنك ، وأرنى الجزع الذى يعتريك حين يمرض عزيز عليك ويشرف على الموت ؟؟

فإذا لم تستطيع أن ترينى الألم والقلق والجزع ، فأعلم أن هناك أشياء موجودة ولكن لا ترى. ولا تحسبن "الله" على صورة الإنسان كما تقول بعض الكتب فهذا هراء وكذب ، إذ "ليس كمثله شئ".

"الذى خلقنى فهو يهدين. والذى هو يطعمنى ويسقين. وإذا مرضت فهو يشفين".
٢٦ الشعراء ٧٨-٨٠.

وإذا أردت أن تجرى التجربة ، فتمنى أن يصيبك مرض عضال ، تحتار فيه الأطباء ، وما أكثر ما يحتارون فى تشخيص كثير من الأمراض ، ثم ترقب من الذى سيشفيك وراقب نفسك حين تيأس من العلاج ، كيف ستتجه بقلبك ونفسك إلى الله الخالق القادر لكى يشفيك من المرض ، حينئذ ستعرف الله.

والذى يميتنى ثم يحيين. والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين".
٢٦ الشعراء ٨١-٨٢

لقد وجدت - يا مكس - الوقت والقدرة لتكتب ما كتبت قدحا فى خالقك وهو الذى منحك اليد التى خطت ، والعين التى أبصرت ما تكتب ، والذهن والتفكير الذى بهما فكرت فيما كتبت ، وقد صدق فيك قول الله تعالى:

"ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين".
٩٠ البلد ٨-١٠.

نعم لقد خلق لك العقل الذى به تفكر ، والذهن الذى به تشرد ، ثم أعطاك الحرية والاختيار ، ثم وضعك فى هذه الآيات:

"للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم. ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة. ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. ويجعلون لله ما يكرهون. وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى. لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون".

١٦ النحل .٦٠-٦٢

إن الله فى غنى عنك وعن الناس جميعا ، ولكن الناس ليسوا فى غنى عن الله ، وعن حبه لهم ورضائه عليهم . إن الله لا يسأل الناس رزقا ولكن الناس يلتمسون من الله الرزق ، إن الله لا يسأل الناس أمنا أو أمانا ولكن الناس يلتمسون من الله الأمن والأمان.

ثم ما معنى أن تقول: "إن كان وجود الله بلا معنى بالنسبة إلى أحتياجاتى وهو لا يهتم بى ، فما معنى وجوده أو عدم وجوده بالنسبة لي. "استغفر الله".

حين تفتح عينيك فى الصباح ألا تستنشق الهواء الذى خلقه الله ، فيدخل إلى رئتيك ، فينفذ منه الأوكسجين إلى دمك الفاسد الأزرق فيحيله إلى أحمر قان لينساب فى جسدك ليغذيك ويعيد لك القوة والنشاط ؟ ومن غير الله كان يأتيك بهذا الهواء ، الذى تجده ، مباحا لك ولغيرك من إنسان وحيوان ونبات ، بغير مقابل ، ثم هب أن الله قد أغلق أنفك وفمك ، أو منع خياشيمك أن تمتص هذا الهواء وتدلفه إلى صدرك ، فماذا يكون حالك حين تشعر بالاختناق. أليس هذا الهواء نعمة من نعم الله عليك ؟ ثم أليست أنفك وفمك وخياشيمك ورئتاك منحة من الله لك ؟ ألا إن هذه جميعا من أنعم الله ولكنك لا تشعر بها لأنك لم تفقدها يوما

من الأيام ، ويوم أن تفقدها أو تفقد إحداها ، فستدرك أى نعمة كان الله يمنحك بلا مقابل ، إلا أن تكون عبدا شكورا.

وتقول: هل الله يحبنى وينظر إلىّ نظرة "آب لابنه" ؟ أم يعاملنى كعبد وكل ما يشغل باله فى علاقته بهذا العبد الذليل ، هو أن يطيع أوامره ونواهيه ، وكفى وإلا فالعاقبة هى نار السعير ؟

وهل تستنكف أن تكون لله عبدا ، والخلق جميعا عباده ، والأرض قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، ألا له الخلق والأمر ، إن اعترافك بعبوديتك لله شرف أى شرف ، فإن المسيح الذى تؤمن به ، هو ذاته عبد لله:

"لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ، ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا. فأما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ، ولا يجدون لهم من دون الله وليّا ولا نصيرا".

٤ النساء ١٧٢ - ١٧٣

وتقول: وهل سيلقى الله الناس فى جهنم ويقف يتفرج على إحتراق جلودهم: نعم سيلقى الذين كفروا بأنعم الله فى جهنم خالدين فيها ، وما عليك إلا أن تبقى على كفرك ، فتموت عليه ، وستلقى فى جهنم وبئس المصير.

ويقول القرآن الكريم فى حقك:

"ألم أعهد إليكم يا بنى ادم ألا تعبدوا الشيطان أنه لكم عدو مبين. وأن أعبدونى هذا صراط مستقيم. ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون. هذه جهنم التى كنتم توعدون.

إصلوها اليوم بما كنتم تكفرون. اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون".
٢٦ يس ٦٠-٦٥

ويحذر المؤمنين أن ينصاعوا لأمثالك:

"إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين. ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا. يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم. إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم". ٣ آل عمران ١٧٥-١٧٧

ثم أقرأ هذه الآيات:

"ويل لكل افاك أثيم ، يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم. وإذا علم من اياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين. من ورائهم جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم". ٤٥ الجاثية ٧-١٠

نعم سيلقى الكافرون فى جهنم يحرقون بنارها ولن يقف الله يتفرج عليهم وإنما الذين سيتفرجون عليهم هم المؤمنون من أهل الجنة ، والملائكة الأطهار حيث يحق عليهم قول الله تعالى:

"وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون. ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجئ بالنبيين

والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون. ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون. وسبق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا. قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين. قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس المتكبرين".
٣٩ الزمر ٦٧-٧٢

وتقول: هل ينظر الله إلى نظرة آب لابنه - وأنت بذلك تشير لبنوة المسيح المزعومة لله ، وسبق أن ناقشنا هذا الزعم ، وقلنا أن الله ليس أبا لأحد ، لأنه "لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد".

وقد قال الله تعالى يخاطبك ويخاطب أمثالك:

"يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ، ألقاها إلى مريم وروح منه. فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة إنتهوا خيرا لكم. إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ، له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا".

النساء ١٧١

وتقول: إن المسيح قد جاء ليعلن محبة الله للخطاة ، ونستشهد فى ذلك بما جاء فى إنجيل متى:

(وبينما هو متكئ فى البيت إذ عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتكأوا مع يسوع وتلاميذه ، فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه" لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة ، فلما سمع يسوع قال لهم: لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى.. إنى رحمة لا ذبيحة لأنى لم آتى لأدعو أبرارا ، بل خطاة إلى التوبة).
متى ح ٩ ع ١٠-١٣.

ويصدق على ذلك ما جاء بإنجيل لوقا:

(أى إنسان منكم له مائة خروف وأضاع واحدا منها ، ألا يترك التسعة والتسعين فى البرية ويذهب لأجل الضال حتى يجده ؟ وإذا وجده يضعه على منكبيه فرحا... إنه هكذا يكون فرح السماء بخاطئ واحد يتوب ، أكثر من تسعة وتسعين بارا لا يحتاجون إلى توبة) لوقا ح ١٥ ع ٤-٧.

فهل هذا كلام تأتون به على لسان المسيح ؟ حقا إن السماء تفرح بخاطئ واحد يثوب ويعود إلى زمرة الأبرار ، ولكن هل تهمل السماء التسعة والتسعين بارا الذين لم يخطئوا فى الأصل ؟ وهل صاحب الخراف ، يفرح لعثوره على الخروف الواحد الذى كان ضالا ووجده ، أيهمل الخراف التسعة والتسعين ، وهل يتركهم يضيعون فى البرية بدورهم ، أو يهملهم ويكون هذا هو جزاء البر ؟ ألا فاتقوا الله فيما تقولون على لسان المسيح والمسيح منه براء.

وتقول يا أيها السيد ماكس فى كتابك: إن المسيح يرفض أن يواجه الخطيئة فى حياة البشر بحد السيف وإلا فما بقى واحد إلا ويحده بحد السيف ، فالجميع خطاة بدون استثناء. وأنت بذلك تشير من طرف خفى إلى ما وضعه الإسلام من إقامة الحدود على كل من إنحرف عن سواء السبيل ، كقطع يد السارق إذا سرق ، ورجم الزانى والزانية ، وقتل القاتل بغير حق.... إلخ.

ولتعلم يا سيد ماكس أن إقامة الحد هو عبرة للغير حتى لا يفعلوا مثل ما فعل ، وأن الخبث العالق بمعدن الذهب لا يخرج منه إلا باستعمال النار ، فإن سارقا واحدا يقام عليه حد قطع اليد سيمنع أى واحد تسول له نفسه اقتراف السرقة بعد ذلك. وأن قاتلا واحدا يقتل سيكون رادعا لغيره ، وهكذا رجم الزانى والزانية سيمنع انتشار هذه الفعلة الشنعاء. أما إذا استعملت الرأفة فإن الجريمة ستستشرى وسيزداد عدد المنحرفين ومن

يقترفون الجرائم وهذا ما نراه الآن فى المجتمعات التى تدعو إلى ما تدعو إليه ، أما المجتمعات التى تستخدم السيف ضد الجريمة ، فإن الجريمة تكاد تنمحى منها تماما. وقد يستعمل ترياق السم فى علاج السموم ودرء أخطارها وها نحن نرى الطب الحديث يحقن الجسم بالأمصال من ذات الجراثيم التى ينشد الوقاية منها. فلا يحزنك عقاب المجرمين ، ولا تشفق عليهم ، وإنما وضع هذا العلاج العنيف لوقاية الآخرين. فلولا السيف لما أرعوى الناس ولما انحسرت الجريمة ولولا الزجر لما استقامت النفس البشرية ، ولولا الضمير لكان الإنسان أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان.

وأنت تقول إن الأنبياء قد قتلوا الناس أو أمروا بقتلهم ، وخاضوا غمار حروب فاضت فيها دماء المحاربين على الأرض التعيسة أنهارا. فكل الأنبياء فى رأيك لم يفهموا الله ولم يعرفوه ولم يعرفوا مشيئته (فقد كانوا جميعا جالسين فى الظلمة وظلال الموت ، ولم يدركوا سر المحبة من الله للبشرية ، من أجل هذا قتلوا الخطاة وأحرقوا مدن الخاطئين وقد كان الله "أمامهم فى وحدانية" وإنعزالية مغلقة ، يحيا فى البر وهم ملوثون بالإثم. يحيا فى الفرح وهم يتنسمون الكآبة ، قال واحد منهم حقا أنت إله محتجب ياإله إسرائيل المخلص[١].

وأنت هنا تهاجم كل الأنبياء ، ما عدا المسيح عليه السلام ، فهو فى رأيك رسول المحبة ، القائل: من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر. وما دمت تؤمن بهذا يا أخ ماكس ، فسأرسل إليك من يضربك على خدك الأيمن عشر صفعات ، لأرى رد فعلك ، هل ستدير له خدك الأيسر ، أم ستبادله له الصفعة بصفعات أشد. ثم لماذا تغلق باب بيتك ونوافذه عليك ، إنى اقترح عليك أن تنزع الأبواب والنوافذ من دارك ، وأنا أضمن لك أن أحدا لن يؤذيك فى شخصك ، كل ما يفعلونه أن يقترضوا أموالك ومدخراتك ، وأن يستعيروا ما لديك من أشياء ثمينة ، قرضا وإستعارة لا يردان وإنما تبقى ذكرى للمحبة.

---

(١) صفحة ٢٧ من كتاب المؤلف ، وهو يشير بالعبارة الاخيرة إلى سفر اشعياء فى العهد القديم - اصحاح ٤٥ عبارة ١٥ .

وبعد أن يقتنع الناس بفلسفتك ، ونجاح تجربتك ، فستدعوهم إلى محاكاتك والاقتداء بك ، حيث يسود المجتمع روح الأخوة ، وتنقشع فيه روح الأنانية ، فلا يحرص إنسان على ما له أو عرضه ، ولا يحافظ على ولده أو أهله ، ويعيش الشرفاء أمثالك مع اللصوص وقطاع الطرق فى أمن وسلام ، وعلام يحرصون فالأمتعة مشاعة بين الجميع ، بل كل شئ مشاع ومباح ، (ويعيش الأطفال الصغار مع الأفاعى فى أمن وسلام ، ويعيش الخروف مع الذئب يجمع بينهما الإخاء والمحبة ، ويرعى الأسد مع الثور فى الحقل يأكلان العشب فى لذة وسرور ، لا يعتدى أحدهما على الآخر ، ولم يعتدى أليس يجد كل ما يطلب[1] ؟؟

ولن يحتاج الأمر حينذاك إلى أنبياء ، بل ولا إلى حكام وجنود ، فالقتلة مع المقتولين يعيشون فى وئام ، ولا يعرف الناس معنى الخطايا والآثام فكل شئ مباح لكل إنسان ، (ويخرج من جذع يسى قضيب يحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة... ولذته تكون فى مخافة الرب ، فلا يقضى بحسب نظر عينيه ، ولا بحكم يحسب سمع أذنيه ، بل يقضى بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسى الأرض ، ويضرب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفتيه ويكون البر منطقه متنيه والأمانة منطقه حقويه)[2].

أما ما جاء فى الشريعة السماوية السمحاء ، من أن العين بالعين ، والسن بالسن ، والحرمات قصاص ، فلا ضرورة لها ، وأن من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما "أحيا" الناس جميعا وليس "قتلهم" وتستوى الحسنة مع السيئة بناء على ذلك وإذن فلا محل للشريعة أو القانون ، وليتعطل حكم الله القائل:

---

(١) سفر اشعياء الاصحاح الحادى عشر عبارة ٦ وما بعدها .
(٢) المصدر السابق عبارة ١ - ٥ .

"ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق. ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا. فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا".

١٧ الإسراء ٣٣

فمن سولت له نفسه القتل فليقتل ، سوف يتقدم له أهل القتيل وذووه بالشكر والعرفان ، على كريم خدمته.

فالدين - يا أخ ماكس ميشيل - لا يحض على القتل ، وإنما ينهى عنه ، ليستتب الأمن بين الجماعة ، وإنما وضع الجزاء كرادع للنفس البشرية غير السوية حتى لا يسرى فيها روح الشر. أما إذا أعتدى على الدين والعقيدة بغرض منع المؤمنين من أداء واجبهم نحو ربهم ، أو لردهم عن إيمانهم ، فقد أجاز الله للمؤمنين أن يدافعوا عن عقيدتهم ، وأن يقاتلوا من يعتدى عليهم ، وحرم عليهم ، أن يبدأوا هم العدوان :

"أُذِن للذين يقاتَلون بأنهم ظُلِموا وأن الله على نصرهم لقدير"

٢٢ الحج ٣٩

"وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين".

البقرة ١٩٣

فالقتل هنا علاج ودواء ، ووقاية من الطغيان ، ومقابلة الشر بالشر وإلا طغى الشر وساد ، ولم يوجد من يوقفه.

بل لقد ورد فى إنجيل لوقا أن المسيح أوصى تلاميذه ، بأن يشتروا سيوفا فلم يشترونها أليس لاستخدامها:

(ثم قال لهم فى حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية هل أعوزكم شئ؟ قالوا لا. فقال لهم: لكن الآن من له كيس فيأخذه ومزود كذلك. ومن ليس له

فليبع ثوبه. ويشترى سيفا لأنى أقول لكم إنه ينبغى أن يتم فى أيضا هذا المكتوب وأحصى مع أثمة - لأن ما هو من جهتى له إنقضاء. فقالوا: يا رب هو ذا هنا سيفان ، فقال لهم: يكفى). لوقا ح ٢٢ ع ٣٥-٣٩.

بل إن بطرس قد رفع سيفه فى وجه الجند حين جاءوا للقبض على المسيح وقطع أذن أحدهم ، إذن فقد كان يحمل سيفا فى حضرة المسيح:

(ثم إن سمعان بطرس كان معه سيف فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى ، وكان اسم العبد ملخس). يوحنا ح ١٨ ع ١٠

هل رأى المسيح الله:

قالوا إن المسيح رأى الله ، ويعرفه معرفة حقيقية لأنه منه ، حيث جاء في إنجيل يوحنا - الاصحاح السابق ٢٩ "تعرفوني وتعرفون من أين أنا. ومن نفسي لم آت بل الذى أرسلني هو حق الذى أنتم لستم تعرفونه أنا أعرفه لأني منه وهو أرسلني".

كما جاء في الاصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا العبارة ٢٨ "خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم وأيضا أترك العالم وأذهب إلى الآب".

وهم يستندون إلى هاتين العبارتين ليدللوا أن المسيح قد رأى الله أليس ابنه، وهل لا يرى الابن أباه ؟ والذى نعرفه أن أحدا من الأنبياء أو الرسل لم ير الله، كما أن ذلك غير ثابت من العبارتين الآنف ذكرهما المنسوبتين إلى عيسى عليه السلام ففي الأولى يقول: (هو أرسلني وأنا أعرفه) وهذا لا يحمل معنى الرؤية، فقد أرسل الله كثيرا من أنبيائه إلى الناس، وكل الأنبياء يعرفون الله، ولكن أحدا منهم لم يقل إنه رآه.

إنجيل يوحنا: الاصحاح ١٤ ع ٦-١٠.

(قال له يسوع - لتوما - أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي! لو كنتم عرفتموني لعرفتم أبي أيضا. قال له فليبس يا سيد أرنا الآب وكفانا، قال له يسوع أنا معكم زمانا هذه مدته ولم تعرفني يا فليبس. الذى رآني فقد رأى الآب!! ألست تؤمن أني أنا في الآب والآب فيّ.)

ولننظر إلى موسى عليه السلام ، حين طلب أن يرى ربه "قال رب أرني أنظر إليك ، قال لن تراني ، ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ، فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين".

الاعراف ١٤٣

فموسى عليه السلام لم يتحمل أن يرى الجبل الذى لم يثبت مكانه حين تجلى له خالقه ، وصعق موسى حين رأى الجبل يتفتت ، فكيف به لو كان قد رأى الله رأى العين ، بل أن الله سبحانه وتعالى قالها له صراحة "لن ترانى" أو ليس عيسى عند ربه كموسى كلاهما نبى مرسل!

والنبى محمد صلى الله عليه وسلم لم يقل إنه رأى الله رأى العين ، حتى عندما أسرى به وأعرج به إلى السموات العلى ، لم يقل إنه رأى الله ، وإنما رأى آيات ربه الكبرى ، أو رأى فيها الآية الكبرى ، ورغم أنه كان قاب قوسين أو أدنى من عرش الرحمن ، إلا أن الله لم يشأ لنبيه فى هذه المرحلة وهو لم يزل على قيد الحياة يعيش بين الناس ، أن يراه رأى العين. أما رؤية الله تعالى للناس أجمعين فتكون يوم الحساب. والمؤمن يرى الله بقلبه وليس بنظره.

لكن رؤية آلاء الله وآياته سبحانه وتعالى فهى متاحة لكل البشر ، وليس للأنبياء وحدهم

"فأينما تولوا فثم وجه الله" البقرة ١١٥

وليس المقصود هنا بالوجه الجزء من الجسم وإنما قبلة الله ، وملكوت الله وآياته وبراهينه.

أما معرفة الله فهى صفة يتصف بها ليس الأنبياء وحدهم ولكن كل المؤمنين بالله سبحانه وتعالى ، فهم يعرفونه حق معرفته وإلا ما كانوا به مؤمنين.

"وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون" الذاريات ٥٦

"تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلاّ يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم". الأسراء ٤٤

هل خلقنا لنعبد الله؟

ويتساءلون هل خلقنا لنعبد الله: " فالله لم يخلقنا لنعبده ، وإلا لكان فى حاجة إلينا لنعبده .. وهو لم يخلقنا ليستعبدنا ، وإلاّ لكان سيدا مغرورا ، حاشا ولكنه خلقنا حبا ، أى أنه أحبنا أولا فخلقنا[١]!!

وهذا قول يمليه الغرور ، ولقد ركب فرعون غروره من قبل فقال "أنا ربكم الأعلى" فأين فرعون الآن أنه فى الدرك الأسفل من الجحيم.

نعم لقد خلقنا الله تعالى لنعبده ، والعبادة رمز للطاعة واعتراف بفضل الله تعالى على عباده ، وقد قالها سبحانه وتعالى فى سورة الذاريات آية ٥٦ "وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون" وهذه حكمته ومشيئته سبحانه وتعالى ، فكما خلقنا فى هذه الحياة من العدم ، ومنحنا الحياة وسخر لنا كل شئ لننعم بأنعمه ، فرض علينا أن نعبده ، والعبادة لله شرف أى شرف ، لا يحس به ولا يستطيعه إلاّ المؤمنون الذين أودع الله فى قلوبهم حبه والإيمان به.

أما القول بأنه أحبنا أولا ثم خلقنا فإن هذا لا يعفينا من عبادته ، والله يحب المحسنين ولا يحب المسيئين ويحب المتواضعين ولا يحب المتكبرين ، والله فى غنى عن حبنا له ولكننا نحن لسنا فى غنى عن حبه لنا ورضائه علينا. وإذا كان الله قد خلقنا لأنه يحبنا أفلا نكون معترفين بهذا الجميل فنرد له الحب بحب ، والمحب يبذل من نفسه لمن يحب ، ويسعى لرضاه ، وليس حبا ما لا يقترن بتضحية فى سبيل المحبوب ، فماذا نبذل نحن لله تعالى إذا لم نعبده اعترافا بفضله علينا ، منحنا كل شئ ولم يسألنا أجرا أو عطاء ، أفلا أقل من العبادة له.

---

(١) من كتاب صورة الله لمكسى ميشيل .

وما هى العبادة لله ، أن نؤمن به وأن نعترف بفضله علينا وأن نشكر نعمه ونعماءه ، وأن نتبع أوامره وننتهى عن نواهيه ، وما أمرنا إلاّ بما يصلح من أحوالنا وما نهانا إلاّ عما يضرنا أو يفسد من أمورنا. فلماذا لا نكون عبادا مطيعين. ماذا تكلفنا عبادتنا لله سوى أن نتوجه إليه بقلوبنا خاشعين خاضعين أو لم يخلقنا من عدم أو لم يوفر لنا الرزق ، أو لم يعطنا المال والبنين. فالماء رزق والهواء رزق والطعام رزق ، والصحة رزق. فليتصور أحدنا نفسه فى الصحراء وقد استبد به الجوع والعطش ، أفلا ينظر إلى السماء ويقول يا رب شربة ماء أو لقمة عيش. وإذا وقفت غصة فى حلقه منعت الهواء من الدخول إلى رئتيه ، أفلا يتوجه إلى الله ضارعا وهو يعانى الاختناق ويقول يا رب نسمة هواء.

أفلم تشعر بالسعادة يوما وقد استجاب الله لسؤالنا فمنحنا الصحة أو المال أو البنين ، أفلم نشعر بالرضى يوما وقد أشرفنا على الغرق فأنقذنا ، أو وقعنا فى مصيبة فأخرجنا منها ، أو لم نتمنَّ يوما أن يكون لدنيا كذا أو كذا من نعم الدنيا فأستجاب لنا ومنحنا ما كنا نحلم به ، فلماذا إذن لا نعترف بالجميل والله لم يسألنا أن نؤدى إليه الثمن. ولو سألنا ثمن الصحة والعافية لما استطعنا أن نؤدى ثمنها ، ولو طلب منا أن نؤدى إليه ثمن البصر أو السمع لما أمكننا الوفاء بالثمن.

أو يصدق فينا قوله تعالى:

"أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين .."

يس ٧٧

"أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون. وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ، ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون".

يس ٧١-٧٣.

فهل لا أقل من الشكر لله ، والشكر عبادة له سبحانه.

وفى إنجيل متى الاصحاح السابع (١١) "فأى إنسان منكم إن سأله ابنه خبزا أيعطيه حجرا ، وإن سأله بيضة أيعطيه عقربا ، وإن سأله سمكة أيعطيه حية. فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة ، فكم بالحرى الأب الذى فى السماء يهب خيرات للذين يسألونه".

أو يكون الإنسان أقل عرفانا بفضل الله من الجماد والطير والحيوان:

"تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلاّ يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم".

الاسراء ٤٤

ألم يصدق فينا قول الله سبحانه وتعالى:

"إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان أنه كان ظلوما جهولا".

الأحزاب ٧٢

والأمانة المقصودة هنا هى حرية التصوف - نفعل الشئ أولا نفعله - أفلا ندفع لهذه الحرية ثمنا بعبادة الله الخالق مانح هذه الحرية ، وقد بين لنا سبحانه المنهج الأمثل للإنتفاع بهذه الحرية فيما يعود علينا بالنفع ويدرأ عنا الضرر .

هل خلق الله الناس ليعذبهم ؛
وهل عذاب الله للضالين قسوة ام عدالة!

خلق الله الناس ليعمروا الأرض ولينفذوا مشيئة الله وليعبدوه:

"وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك. قال إنى أعلم ما لا تعلمون".

البقرة ٣٠.

"وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة. وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه. وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين".

البقرة ٣٥ - ٣٦

"فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم. قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا. أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون".

البقرة ٣٧-٣٩

تلك هى قصة الإنسان على الأرض ، خلقه ربه فى أحسن صورة ، وعززه وكرمه وفضله على كثير من مخلوقاته ، وأسكنه الجنة وخلق له زوجا من جنسه لتؤنس وحدته ويتخذها سكنا وملاذا لنفسه ، ثم أباح له أن يتجول فى الجنة ما شاء أن يتجول ، وأحل له أن يأكل من جميع ثمار الجنة حسبما يريد ، إلاّ شجرة واحدة حظر عليه أن يأكل منها لحكمة يعلمها الله ، ربما لأن هذه الشجرة يتخلف عنها فضلات قذرة إذا ما أكلها الإنسان ، والجنة ليست محل قذارة وإنما هى الطهر بعينه ، فلما أزل الشيطان الإنسان وأغراه أن يخالف أمر ربه ويأكل من الشجرة المحظورة ، كان لا بد أن يطرد الإنسان من جنة ربه ، وأن يترك الجنة حيث لم يعد أهلا لها ، فأمره ربه أن يهبط إلى الأرض ، وصرح للشيطان أن يهبط معه

- لحكمة يعلمها الله - وهى أختبار لمدى طاعته لأوامر ربه ، وأغلب الظن أن الله وقد أودع فى الإنسان عوامل الخير وعوامل الشر فجعله مخلوقا وسطا بين الملائكة وبين الشياطين وميزه بميزة الإرادة وألهم نفسه فجورها وتقواها ، إن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ، أو إن شاء مال مع الشيطان ومع ما يوسوس به إليه.

وهذه الإرادة الحرة - إرادة الإختيار - لم يمنحها الله سبحانه وتعالى إلا للإنسان دون سائر خلقه ، فالملائكة لا اختيار لهم ، إنما يفعلون ما يؤمرون ، فهم لا يملكون مخالفة أوامر الله ، وعلمهم محدود بما أتاح الله لهم من العلم ، بعكس آدم الذى أتاح الله له أن يبحث ويستكشف الأشياء الغامضة عليه لذلك فقد أمده بالعقل والإرادة.

ويقول الله سبحانه فى سورة البقرة:

"وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون"

البقرة ٣١-٣٣

لهذا كان خليقا بالله سبحانه وتعالى وهو العدل ذاته أن يكافئ المحسن وأن يجازى المسئ ، وقد بين لنا الخير والشر وأمرنا باتباع طريق الخير وتجنب طريق الشر ، ولم يلزمنا أو يقيد حريتنا إنما ترك لكل نفس هواها ، وهذه هى ضريبة الحرية ، من أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد.

إنى أتفق معه حين يقول إن الله لا يصنع شرا ، ولكن الشر فى الوجود كله مصدره الخطيئة وأن الخطيئة حالة إبتعاد عن الله. ولكنى لا أتفق معه

حين يقول إن الله الذى ينتقم من الناس وينكل بهم ليس هو إله يسوع المسيح ، هذا سيد العبيد ، أما إله يسوع المسيح فهو الله الآب ، أبو البنين المحبوبين إلى قلبه[١].

وكأنما يريد أن يقول إن هناك أكثر من إله ، منهم إله يسوع المسيح ، ومنهم إله العبيد ، إن هذا لهو الشرك بعينه ، وأنتم أهل كتاب ، فكيف تقولون".. إله واحد "كيف يستقيم هذا القول مع ذاك ألا فلنحتكم إلى عقولنا.

ولننظر إلى ذلك الذى يقول فى كتابه صورة الله[٢]: وقد اعتاد الناس أن ينسبوا إلى الله أنه صانع الشرور كما أنه صانع الخيرات ، وقد عرفه بذلك أحد الأنبياء فى العهد القديم[٣] أيضا قبل المسيح قال "هل تحدث بلية فى المدينة والرب لم يصفها" وأنه من فم العلى تخرج الشرور والصالحات كتعبير عن وجود إله واحد للكون.

هذا القول نحن منه براء ، فنحن نقول إن الله إله خير وما بكم من خير فمن الله ، وما بكم من شر فمن أنفسكم.

والله لم يخلق الناس ليعذبهم ، وإنما خلقهم ليهديهم سواء السبيل ، وقد فعل سبحانه وتعالى ، فأرسل رسله بالهداية يبصرون الناس بالخير والشر ، ويوصونهم باتباع الخير وينهونهم عن اتباع الشر ، فمن اتبع ذلك فله رضوان الله ومن لم يتبع أفلا يكون له جزاء.

كيف يحس المطيع المؤمن بثواب الطاعة ، إذا كان المحسن والمسئ كلاهما سينال المثوبة ، أفلا يكون هناك جزاء للمطيع يختلف عن جزاء المخطئ ، والمخطئ قد أخطأ بمحض إرادته وقد نهاه الله عن الخطأ ، فذنبه مرده إلى نفسه وإلى عمله.

---

(١) كتاب صورة الله لمكس ميشيل ص ٣١.
(٢) المصدر السابق.
(٣)العهد القديم هو الجزء الاول من الكتاب المقدس.

إذن فعقاب المسئ عدل بل قمة العدل ، كما أن ثواب المحسن عدل وقمة العدل أيضا.

ولا ننسى بعد ذلك أن الله وصف نفسه بالرحمة ، وفتح للمذنب باب التوبة:

"إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما". الفرقان ٧٠

وفى آية أخرى :
"إلاّ من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا". مريم ٦٠

فأى عفو بعد هذا من الله ، وأى عدل. يفتح للمخطئ باب التوبة بأن يعدل عن خطئه ، فوعده فى الأولى أن يبدل سيئاته حسنات ، ووعده فى الآخرة بدخول الجنة ، ووعد الله حق ، والله لا يخلف وعده. وسبحانه من رحمن وهو القائل:

"ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون".

٧ الأعراف ١٥٦

الله الآب لا يميت بل يحيى !!!

قالوا على لسان المسيح: (أنا هو القيامة والحياة. من آمن بى ولو مات فسيحيا وكل من كان حيا وآمن بى فلن يموت إلى الأبد ..) يوحنا الاصحاح ١١ عبارة ٢٥-٢٦.

(لأنه كما أن الأب يقيم الأموات ويحيى كذلك الإبن أيضا يحيى منْ يشاء) يوحنا الاصحاح ٥ عبارة ٢١.

(الموت خطر غير مطلوب دخل إلى طبيعة الإنسان حينما غادرته حياة الله وتركت خلفها الباب مفتوحا. لأن الإنسان أراد لنفسه الموت.. هذه هى الخطيئة التى دخلت إلى حياة الناس بكامل حرية إرادتهم.. وحينما دخلت الخطيئة جلبت معها الموت)

هنا تجاوز فى اللفظ وفى المعنى أيضا ، فالمسيح لا يحيى من يشاء هو ، ولكن يحيى من يشاء الله أن يحييه وبإذن من الله ، وحيث جاء على لسانه فى سورة آل عمران:

" ... أنى قد جئتكم بآية من ربكم. أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير. فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وابرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله".. آل عمران ٤٩

كما جاء فى سورة المائدة:

"إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطد بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بأذنى وتبرئ الأكمه والابرص بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى.....".

المائدة . ١١٠

هذه معجزات وقتية أوقتت بحياة المسيح ، شاء الله تعالى أن يهبها للمسيح حتى يؤمن به بنو إسرائيل ، وهى معجزات زالت وانتهت بإنتهاء حياة المسيح على الأرض ، أما قدرة الله فدائمة وأبدية.

أما قولهم بأن "الله" يحيى فقط ولا يميت أبدا فمن يقصدون بلفظ الله إن كان قصدهم المسيح بهذا اللفظ ، حسب عقيدتهم فنعم لأن الله لم يأذن له أن يميت أحدا ، أما إذا كان المقصود هو الله خالق الكون ، فلا ، لأن الله "يحيى ويميت" وهو على كل شئ قدير.

"الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا"..

٦٧ الملك ٢

كما قال تعالى فى سورة المؤمنون:

"ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر. فتبارك الله أحسن الخالقين. ثم إنكم بعد ذلك لميتون. ثم إنكم يوم القيامة تبعثون". ٢٣ المؤمنون ١٢-١٦

ثم هل أبلغ من قوله تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم:

"إنك ميت وإنهم ميتون". ٣٩ الزمر ٣٠.

ويقول مؤلف "صورة الله":

(الموت خطر غير مطلوب دخل إلى طبيعة الإنسان حينما غادرته حياة الله ، وتركت خلفها الباب مفتوحا. لأن الإنسان أراد لنفسه الموت.. هذه هى الخطيئة التى دخلت إلى حياة الناس بكامل حرية إرادتهم وحينما دخلت الخطيئة جلبت معها الموت وساد الموت على جميع الناس إذ أخطأ الجميع. وورث البشر عن بعضهم طبيعة المائتين).

وإنى لأتساءل هنا ما الذى يقصده بالخطيئة ، أهى خطيئة آدم بعصيان ربه فى الجنة وطرده منها وهبوطه إلى الأرض..! إن كان كذلك فربما يكون عنده بعض الحق. إذ ربما لو استمر آدم فى الجنة لكان خالدا ولاستمرت حياته هناك إلى الأبد. ولكنها مشيئة الله أن يهبط آدم إلى الأرض ليعمرها بعض الشئ وليفسد فيها بعض الشئ أيضا ، ثم ليحيا وليموت فى دورات متصلة إلى أن يشاء الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أما القول بأن الموت هو إختيار الإنسان فلا ، ولكن مشيئة الله ،:

"ولولا دفع اللهِ الناسَ بعضهم ببعض لفسدت الأرض..."

البقرة ٢٥١

إذ لو تصورنا أن الناس لا يموتون فماذا كان يكون حال الدنيا وكل يوم يفد عليهم بالولادة وافدون جدد ، إذن لتكدس العالم فى سنوات قليلة ولكانت هناك بمقاييسنا البشرية أزمة فى الطعام والمسكن والحركة وكل شئ ، وكان من الواجب أن تكون الحياة على إحدى صورتين ، فإما أن يتوقف الناس عن الإنجاب عند حد معين أو يضيق الناس بعضهم ببعض فتشتد المنافسة بينهم على المعروض من الأرزاق فيقتل بعضهم بعضا ، وكلا الأمرين لم يشأه الله ، وإنما شاءت حكمته أن يكون للإنسان عمر معين فى الأرض يموت بعده ، ليفسح لغيره.

"ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا".

٢٢ الحج ٤٠

هل يسمع الله الصلاة وهل يجيب الدعاء !

نعم إن الله يعلم كل ما يجرى فى ملكوته لا يغيب عنه شئ فى

السموات والأرض وكيف يفرض الله الصلاة ولا يسمعها:

"يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء".
البقرة ٢٥٥

"قل إن تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى السموات وما فى الأرض والله على كل شئ قدير".
آل عمران ٢٩

"أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون".
البقرة ٧٧

"وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون".
٦ الأنعام ٣

"وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين".
الأنعام ٥٩

"ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شئ فى الأرض ولا فى السماء".
١٤ إبراهيم ٣٨

المراجــــع

- القرآن الكريــــم
- الكتاب المقدس ـ العهد القديم والعهد الجديد . طبعة دار الكتاب المقدس في العالم العربـي .
- محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والانجيل والقرآن ـ تأليف ابراهيــم خليل أحمد (القس ابراهيم خليل فيلبس سابقا) مكتبة الوعى العربى .
- يوحنا المعمدان (النبى يحيا عليه السلام) عبد الرزاق نوفل ـ دار الشعب .
- المسيحية نشأتها وتطورها ، شارل جينيير ، ترجمة الامام عبد الحليــــم محمود ـ دار المعارف .
- المسيحية للدكتور احمد شلبى من كتب مقارنة الاديان . مكتبة النهضــــة المصرية .
- المسيحية والاسلام على ارض مصر . دكتور وليم سليمان قلادة . دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر .
- المسيح عيسى بن مريم . للامام ابى الفداء اسماعيل بن كثير . تحقيــــق وتعليق عبد الرحمن حسن محمود ـ مكتبة الاداب .
- النبوات ومايتعلق بها . فخر الدين الرازى . تحقيق احمد حجازى السقا . مكتبة الكليات الازهرية .
- النبوة والانبياء فى اليهودية والمسيحية والاسلام . مهندس احمد عبد الوهاب مكتبة وهبة .
- المسيح فى مصادر العقائد المسيحية . مهندس . احمد عبد الوهــــاب مكتبة وهبة .
- دعوة الحق والحقيقة بين المسيحية و الاسلام . منصور حسين عبد العزيز دار الاعتصام .
- الانجيل للقديس متى . دار المعارف .
- الانجيل كتاب الحياة ترجمة تفسيرية للعهد الجديد . دار الثقافــة .
- لقاء روحى بين القرآن والانجيل والتوراة . لويس زيتون . مطبعة قاصــــد خير .

- أنا والاسلام • دكتور نظمى لوقا • مكتبة غريب •
- حياة المسيح • فولتون شين تعريب نجيب غالى • مكتبة المحبة •
- مصادر الوحى الانجيلى • الدفاع عن المسيحية • يوسف درة الحداد •
- الله واحد ام ثالوث • د• محمد مجدى مرجان • دار النهضة العربية •
- الله والانسان والقيمة • دكتور نظمى لوقا • عالم الكتب •
- التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام • الشيخ محمد الغزالى ، دار التوزيع والنشر الاسلامية •
- قصص الانبياء • عرائس المجالس • ابى اسحق احمد النيسابورى المعروف بالثعلبى • دار الكتب العلمية •
- مبارك شعبى مصر • القس داود عزيز ، دار النجاح للطباعة •
- تجليات الالوهية • القس صمويل مشرقى • الكنيسة المركزية للمجمع •
- الحد الفاصل بين الايمان والكفر • عبد الرحمن عبد الخالق •
- طريق السماء • القس منسى يوحنا • مكتبة المحبة •
- الحوار بين الاديان ، دكتور وليم سليمان • الهيئة المصرية للكتاب •
- العقيدة تتكون ، الفرد نورث وايتهيد • ترجمة د• وليم فرج حنا مكتبة الانجلو المصرية •
- انجيل برنابا • دكتور خليل سعادة •
- حياة برنابا رسول المسيح • القمص بيشوى عبد المسيح،مكتبة المحبة •
- نظرات فى انجيل برنابا المبشر بنبوة النبى محمد • محمد على قطب مكتبة القرآن •
- حياة دانيال ونبوءاته ، القمص بيشوى عبد المسيح ، مكتبة المحبة •
- عزاء المؤمنين • حبيب جرجس ، مكتبة المحبة •
- حكم النبى محمد • للفيلسوف تولستوى •
- الفضائل المسيحية بحسب الانجيل • الاب متى المسكين • مكتبة المحبة ومكتبة نبع الفكر بالاسكندرية •
- المسيح بين الانجيل والقرآن • الشيخ محمود البرشومى • الكتاب الذهبى
- اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة فى المسيحية ، لواء مهندس احمد عبد الوهاب • مكتبة وهبة •
- مايقوله علماء الغرب فى تجسد الله فى السيد المسيح •
- المسيح انسان ام اله • دكتور محمد مجدى مرجان • دار النهضة العربيه

- الاسلام دين المستقبل • روجيه جارودى ترجمة عبد المجيد بارودى ــ دار الأيمان •
- مختارات من كتاب المورمون ، كنيسة يسوع المسيح لقديسى الايام الاخيرة• سولت ليك سيتى •
-
-
-

الكتاب القادم

إن الدين عند الله الإسلام